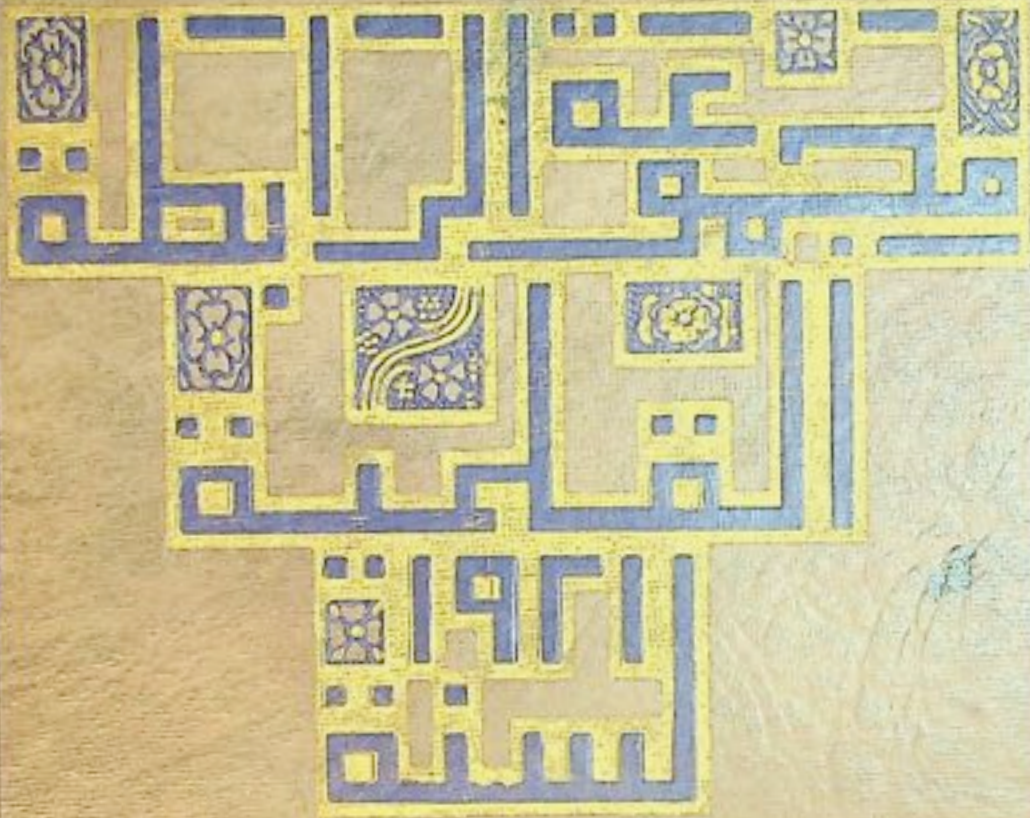




Arab American
National Museum



مجموعة الرابطة القلبية للسنة ١٩٢١

منتخبات آثار ادبية
لعمال «الرابطة القلبية»
في نيويورك



مجموع السراطين القلمية

الى انصار الرابطة القلمية الذين
ساعدها على اصدار هذه المجموعة
تقدم «الرابطة» شكرها الخالص .

مقدمة

«والذي حارت البرية فيه حيوان مستحلت من جماد»

هو الانسان — عبدة العبر وحيرة الحير . ينجي . من حيث لا يدري . ويمضي
حيث لا يدري . يحل هذه الارض ردها من الزمن فيهره جلال ما يرى ويسهره
جمال ما يسمع . فوقه نجوم لا تعد . وحوله فضاء لا يحده . وخلفه وامامه حياة
تتردى كل لحظة برداء . فصول تعقب فصولا ، واجيال تلحق باجيال . نهار
تبتله ظلمة . وظلمة يحوها نهار . ولادة وموت ، وموت وولادة . وبين الولادة
والموت اشواق لا تنطفي حتى تلتهب . وآلام لا تكن حتى تهيج . وسعادة
لا تورق حتى تذوي . وعطش لا يرتوي حتى يعود . وجوع لا يطمئن حتى يشور
هو الانسان — احجية الاحاجي . منذ راودت نفسه اليقظة حتى اليوم وهو
في صراع مستتب مع الطبيعة . لا يصصرها مرة حتى تصرعه الف مرة . ولا
يتغلب على عشرة من عثراتها حتى تقيم في سبيله الف عشرة وعشرة . ولا يرفع
الغطاء عن سر من اسرارها حتى تباغته بالف سر وسر . فهي غالبية ابدا وهو
مغلوب . ومن الغريب انه ، مع ضعفه الواضح وجبروتها الظاهر ، لا يزال
يصارعها . فلا هو يثني ولا هي ترحم . ولا هو يقر لها بالغلبة ولا هي تسحقه
فتسريح منه وترجمه .



فما السر في حرب هذا «الحيوان المستحدث» مع كون، ما هو بالنسبة إليه الا حشرة صغيرة ؟ تصرعه الحياة فلا يلبث ان يعود منتصباً على ساقيه متحفزاً للوثوب . تجرعه من المرارة الوانا فلا ينقم عليها ولا يتركها الا قسر ارادته . وتنزل به من المصائب اشكالا فيتحملها بثبات وصبر . وتقيم في وجهه من العقبات جبالا فلا تثنيه عن سيره ولا تثبط عزيمته

ان «حيوانا» ثبت في جهاده مع الكون مثل هذا الجهاد لحيوان وايم الحق غريب عجيب . فما السر في هذا الثبات ؟
اوليس السر في ان لهذا الحيوان «المستحدث» سلاحا لا تحطه العناصر ولا يفله الموت ؟ وهل ذلك السلاح الا قوى كامنة فيه هي اشد وامتن وابقى من قواه الحيوانية ؟

تلك قوى الروح غير الفانية . تلك القوى التي ترفعنا فوق الحيوانية، وترينا في دياجير الحياة وميض انوار تحجب الينا الحياة وتذكى في داخلنا شرارة امل بان لا بد ان ندرك يوما ما نحن طالبون . اي . هي قوى الروح تسيرنا عن غير معرفة منا ونشعر بها انما لا ندركها بعد . لذلك نبحت عنها حتى اذا ما وجدناها وجدنا انفسنا نعرفنا اذ ذلك منزلتنا من الكون وسرنا معه لا ضده لنتم به ويتم بنا

اجل . اننا في كل ما نفعل وكل ما نقول وكل ما نكتب انما نقش عن انفسنا . فان قشنا عن الله فلنجد انفسنا في الله . وان سعينا وراء الجمال فانما نسعى وراء انفسنا في الجمال . وان طلبنا الفضيلة فلا نطلب الا انفسنا .

في الفضيلة . وان بحثنا عن مكروب فلا نبحت الا عن انفسنا في المكروب وان اكتشفنا سرا من اسرار الطبيعة فما نحن الا مكتشفون سرا من اسرارنا . فكل ما ياتيه الانسان انما يدور حول محور واحد هو — الانسان . حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه . وحول هذا المحور تدور ادابه . فهو في كلها يسعى وراء امر واحد . وهو ان يظهر نفسه لنفسه على يدرك القوى التي تسير به في بحر الوجود . ولا قيمة لعمل ياتيه الا بمقدار ما يدينه ذلك العمل من معرفة نفسه لو يقصيه عنها . وسواء ادرك الانسان ذلك ام لم يدركه فهو ابدى بقيس كل ما تيه بهذا القياس فيحمل منها ما لا يزيد به نفسه معرفة ويحتفظ بما يشاهد فيه مظهرا من مظاهر نفسه . وما تاريخ المدنية لو فحصنا الا تاريخ هذه الغربة الدائمة والمقابلة بين الامور وانتقاء ما فيه اثر روحي جليل واهمال ما ليس فيه من اثر يذكر

ان على سطح الارض ملايين من البنايات التي شادتها يد الانسان من قديمة وحديثة . لكن الاثار الهندسية التي تقر بها العين وتتعمق بها الروح لا تعد بالملايين ولا بالالوف . وفي العالم جبال من الرسوم والتماثيل . لكن الرسوم والتماثيل التي تقف امامها بخشوع ودهشة تعد على الاصابع . وفي مكاتب العالم قناطير مقنطرة من الاثار الكتابية . فكم هي الكتب التي لا تزال تقصدها البشرية لترشف المعرفة والحكمة من مطورها ؟

قد يخطئ الانسان اليوم في حكمه على اثر من الاثار . فيستكبر الصغير ويستصغر الكبير . قد يخطئ جيلا . لكنه لا يخطئ دهورا . فالأثر الخالد لا

يموت . والميت لا يعيش . ولا يخلد من الآثار الا ما كان فيه بعض الروح الخالدة

بين كل المسارح التي تتقلب عليها مشاهد الحياة ليس كالادب مسرحا يظهر عليه الانسان بكل مظاهره الروحية والجسدية . ففي الادب يرى نفسه مثلا ومشاهدا في وقت واحد . هنالك يشاهد نفسه من الاقطار حتى الاكفان . وهنالك يمثل ادواره المتلونة بلون الساعات والايام . وهنالك يسمع نبضات قلبه في نبضات قلب سواه ويلبس اشواق روحه في اشواق روح غيره . ويشعر باوجاع جسمه في اوجاع جسم انسان مثله . هناك تتخذ عواطفه الصماء لسانا من عواطف الشاعر . وتلبس افكاره رداء من نسج افكار الكاتب . فيرى من نفسه ما كان خفيا عنه . وينطق بما كان لسانه عيا عن النطق به فيقترب من نفسه ويقترب من العالم . قرب قصيدة اثارت فيه عاصفة من العواطف . ومقالة تفجرت لها في نفسه بناييع من القوى الكامنة . او كلمة رفعت عن عينيه نقابا كثيفا . او رواية قلبت الحادة الى ايمان . وباسه الى رجاء . وخموله الى عزيمة . ورذيلته الى فضيلة . تلك مزية قد خص بها الادب . وتلك هي مملكة الادب لا ينازعه عليها منازع . وما سلطان الادب الا في انه ابدا يجول في اقطار النفس باحثا عن مسالكها . مستطلعا اثارها . مستفسرا اسرارها . وما شرف الاديب الا انه ابدا يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه . حتى اذا ما وجد اخر بعضا من نفسه في تلك الاكتشافات كان في ذلك للاديب اطيب تعزية واكبر ثواب

اذن، فالادب الذي هو ادب، ليس الا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه . والاديب الذي يستحق ان يدعى اديبا هو من يزود رسوله من قلبه ولبه

ان «الرابعة القلمية» ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية لولا اعتقادها بانها قد اتخذت من الادب رسولا لا معرضا للازياء اللغوية والبهرجة العروضية . وقد تكون مخطئة في ما تعتقد . لكن اخلاصها في الاقل يشفع بخطاياها . فهي لا تدعي لهذه المجموعة اكثر مما تستحق . فان لم يكن لها الا تشويق بعض الارواح الناشئة الى طرق الادب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثوبا . فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية وآن لنا ان تعطف ولو بالتفاتة على ذلك «الحيوان المستحدث» الذي كان ولا يزال سر الاسرار ولغز الالغاز . فعلنا نجد فيه ما هو احري بالنظر والدرس من راس السمكة في قولهم «اكلت السمكة حتى راسها»

ميخائيل نعيمة

بين ليل وصباح

لجبران خليل جبران

اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك
اسكت فالأثير المثقل بالنواح والعيول لن يحمل أغانيك وأناشيدك.
اسكت فاشباح الليل لا تهطل بهمس أسرارك. ومواكب الظلام لا تقف
أمام أحلامك.
اسكت يا قلبي، اسكت حتى الصباح، فمن يترقب الصباح صابرا يلاقي
الصباح قويا. ومن يهوى النور فالنور بهواه.
اسكت يا قلبي واسمعي متكلمًا

في الحلم رايت شحورا ينفرد فوق فوهة بركان نائر
ورايت زنبقة ترفع رأسها فوق الثلوج
ورايت حورية عارية ترقص بين القبور
ورايت طفلا يلعب بالجماجم وهو يضحك
رايت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت ونظرت حولي رايت
البركان هائجا ولكني لم اسمع الشحور منفردا ولا رايت مرفرفا.
ورايت الفضاء ينثر الثلوج على الحقول والأودية سائرا بكفانه البيضاء.
أجسام الزنابق الهامدة

ورأيت القبور صفوفا منتصبة امام سكنية الدهور وليس بينها من يتمايل
واقفا ولا من يجثو مصليا

ورأيت راية من الجماجم وليس هناك من ضاحك سوى الريح
في اليقظة رأيت الحزن والامسى فاين ذهبت افراح الحلم ومسراته؟
انبي نوارت بهجة المنام وكيف اضمحلت رسومه؟
وكيف تتجلد النفس حتى يعيد النوم اشباح امانيا وآمالها؟
اصغ يا قلبي واسمعي متكلمًا

كانت نفسي بالامس شجرة قوية سنة تمتد عروقها الى اعماق الارض
وتتعالى غصونها نحو اللانهاية

ولقد ازهرت نفسي في الربيع واثمرت في الصيف ولما جاء الخريف
جمعت اثمارها في اطباق من الفضة ووضعتها على قارعة الطريق فكان
العابرون يتناولون منها وياكلون ثم يسرون في سبلهم.

ولما انقضى الخريف وتحولت نهاليله الى الندب والولولة نظرت فلم ار
في اطباقي سوى ثمرة واحدة ابقاها الناس لي. فتناولتها واكلت فالفيتها مرة
كالعقم، حامضة كالحصرم. فقلت لنفسي: «وبحي لقد وضعت في افواه الناس
لعنة، وفي اجوافهم عدا». فماذا ترى فعلت يا نفسي بالحلاوة التي امتصتها
عروقك من احشاء الارض، وبالاربع الذي تشربته قضا نك من نور الشمس؟
بعد ذلك اقلعت شجرة نفسي القوية المسنة

اقلعتها بعروقها من التربة التي نمت فيها وترعرعت
اقلعتها من ماضيها ونزعت عنها ذكرى الف ربيع والف خريف

وعلت فزدرعت شجرة نفسي في مكان اخر
زرعتها في حقل بعيد عن سبل الزمن. وكنت اسهر بجانبها قائلا ان السهر
يدنيا من النجوم. وكنت اسقيها بدمي ودموعي قائلا ان في الدم نكهة، وفي
الدموع حلاوة

ولما عاد الربيع ازهرت نفسي ثانية
وفي الصيف اثمرت نفسي. ولما جاء الخريف جمعت اثمارها الناضجة
باطباق من الذهب. ووضعتها على ملتقى السبل. فمر الناس افرادا جماعات
ولكن لم يمد احد يده ليتناول منها

فاخذت اذ ذاك ثمرة واكلت، فوجدتها حلوة كالشهد، لذينة كالكوثر،
طيبة كالخمرة البابلية، كاتقاس الياسمين. فصرخت قائلا: «ان الناس لا
يريدون البركة في افواههم ولا الحق في اجوافهم لان البركة ابنة الدموع،
والحق ابن الدماء»

ثم علت وجلست في ظل نفسي المنفردة في حقل بعيد عن سبل الزمن

• • •

اسكت يا قلبي حتى الصباح
اسكت، فالفضاء قد اتخمته رائحة الاشلاء فلن يتشرب انقاسك
اصغ يا قلبي واسمعي متكلمًا

كانت بالامس فكرتي سفينة تتقلب بين امواج البحار وتنقل مع الاهواء
من شاطئ الى شاطئ.
ولقد كانت سفينة فكرتي خالية الا من سبعة اكواب طافحة مختلفة بالوان

مختلفة تشابه الوان قوس القزح بنضارتها
وجاء زمن ملئت فيه التنقل على وجه البحار فقلت ساعود بسفينة فكرتي
الفارغة الى ميناء البلد الذي ولدت فيه

ثم اخذت اطللي جوانب سفيتي بالوان صفراء كشمس المغيب، وخضراء
كقلب الريح، وزرقاء ككبد السماء، وحمراء كذوب الشقيق، وارسم على
شراعها ودفنها رسوما غريبة تجذب العين وتبهج البصيرة. ولما انتهيت من عملي
وقد ظهرت سفينة فكرتي كرويا نبي تطوف بين اللانهايتين، البحر والسماء،
دخلت ميناء بلدي فخرج الناس لملاقاتي بالتهليل والتعظيم وادخلوني المدينة
ضاربين الدفوف، نافخين الزمور

فعلوا ذلك لان خارج سفيتي كان مزخرفا بهجا

ولم يخل احد جوف سفينة فكرتي

ولم يسأل احد ماذا جلبت فيها من وراء البحار

ولم يدر احد اني عدت بها فارغة الى الميناء

عند ذلك قلت في سري: «لقد ضللت الناس وبسعة اكواب من الالوان
قد كذبت على باصرتهم وبصائرهم»

• • •

وبعد عام ركب سفينة فكرتي وابتحرت ثانية

سرت الى جزر الشرق فجمعت منها المر واللبان والند والصندل وادخلتها

الى سفيتي

والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر والعاج والياقوت والزمرد وجميع الحجارة
الكريمة

والى جزر الشمال فعدت منها بالخز والوشي والبرفير
والى جزر الجنوب فحملت منها الدروع المزودة والسيوف المشرفة
وسائر انواع الاسلحة

ملأت سفينة فكرتي بنفائس الارض وغرائبها، وعدت الى ميناء بلدي
قائلا: «سوف يمجديني قومي، ولكن عن جدارة. وسيدخلوني المدينة منشدين
مزمرين، ولكن عن استحقاق»

ولكن لما بلغت الميناء لم يخرج احد لملاقاتي، ودخلت شوارع بلدي فلم
يلتفت الي احد

ووقفت في ساحتها معلنا للناس ما جلبت لهم من ثمار الارض وطرائفها
فكانوا ينظرون الي والضحك ملء افواههم والسخرية على وجوههم ثم
يتحولون عني

فعدت الى الميناء كئيبا مستغربا. ولكنني ما لمحت سفيتي حتى فطنت
لامر كنت مشغولا عنه بمنازع اسفاري ودرغائبها. فنهفت قائلا: «ان امواج
البحر قد محت الطلاء من جوانب سفيتي فباتت كهيكل من عظام، وعفت
الارياح والانواء وحرارة الشمس الرموم عن شراعها فظهرت كاثواب رمادية
بالية»

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت
الى قومي فبنووني لان عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية
في تلك الساعة تركت سفينة فكرتي وذهبت الى مدينة الاموات وجلست
بين القبور المكلسة مفكرا باسرارها

• • •

اسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعاصفة الهوجاء تسخر بهمس اعماقك
وكهوف الوادي لن ترجع بصداها رنات اوتارك
اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يترقب الصباح متجلدا بما تقه الصباح
مشتاقا

ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت تستطيع الكلام
هوذا موكب الصباح يا قلبي فهل ابقى سكوت الليل في اعماقك اغنية
تلاقي بها الصباح؟

هوذا اسراب الحمام والشحارير تتطاير متنقلة في اطراف الوادي، فهل ابقى
حول الليل في جناحك صلابة لتطير معها ؟
هوذا الرعيان يسرون امام قطعانهم من الحظائر والمرايض فهل ابقت لك
اشباح الليل عزما لتسير وراءها الى المروج الخضراء؟
هوذا الفتيان والصبايا يمشون الهويناء نحو الكروم، فهل انقضت ومشيت معهم؟
قم يا قلبي . قم وسر مع الفجر فالليل قد مضى . ومخاوف الليل قد اضمحلت
مع احلامه السوداء
قم يا قلبي وارفع صوتك مترنما فمن لا يشارك الصبح باغانيه كان من
ابناء الظلام .

أخي

لميخائيل نسيه

أخي - ان ضج بعد الحرب غربي باعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

* * *

أخي - ان عاد بعد الحرب جندي لوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه،
فلا تطلب اذا ما عدت للوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا محبا تناجيهم
سوى اشباح موتانا



اخى - ان عاد يحرق ارضه الفلاح او يزرع
ويبنى بعد طول الهجر كوخا هذه المدفع
قد جفت سواقينا وهذه القل ما وانسا
ولم يترك لنا الاعدا غرما في اراضينا
سوى ليخاف موتانا

* * *

اخى - تدنم ما لو لم نشاء نحن ما تما
وقد عمّ البلاء، ولو اردنا نحن ما عسا
فلا تدب، فاذن الغير لا تصغي لشكواتنا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعمل
نوارى فيه موتانا

* * *

اخى - من نحن؟ لا وطن ولا اهل ولا جار.
اذا نمنا اذا قمنا - ردانا الخزي والعار.
لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا.
فهاهنا الرفش واتبعني لنحفر خندقا اخر
نوارى فيه احيانا...

* * *

لم اجد احدا

لا يابيا اخى ماضى

قالت مكت وما مكت مدى
انما عرفنا فيك ذا كرم
فاطلق يراعك ينطلق خيما
ما قيمة الانسان معتدا
والجيش تحت البند محشدا
والنور مسترا؟ قفلت لها
ماذا يفيد الصوت مرتفعا
والنور منبثقا ومتشرا
ان الحوادث في تايها
ما خائني فكري ولا قلبي
اعيا الكلام عليك ام نقدا
ما ان عرفنا فيك مقتصدا
واحلل لسانك يحلل العقدا
ان لم يقل للناس ما اعتقدا
ان لم يكن للحرب محشدا
كفي العلامة واقصري الفندا
ان لم يكن للصوت ثم مدى
ان لم يكن للناس فيه مدى
ابدلنسي من ضلتي رندا
لكن رايت الشعر قد كيدا

* *

كان الشباب وكان لي امل
ومحابة مثل الرياض شدى
لكنني لما مدت يدي
كالبحر عمقا ، كالزمان مدى
ومحارب كورودها عددا
وادرت طرفي لم اجد احدا...!

* *

ذهب الصبي ومضى الهوى معه
فاليوم ان ابصرت غانية
واذا تدار الكاس اصرفها
واذا سمعت هتاف شاذية
كفنت احلامي وقلت لها
وقع الخطوب علي اخرني

اصابة والشيب قد وفدا؟
اغضي كأن بقلتي رمدا
عني ، وكنت الوم من زهدا
امكت عنها السمع والكبدا
نامي ! فان الحب قد رقدا
وكذا العواصف تسكت الفردا

عمرو صديق كان يحلف لي
واذا مشيت الى المنون مشي
صدقته ، فجعلته عضدي
لكنني لما مددت يدي

ان نحت ناح وان شدوت شدا
واذا قعدت لحاجة قعدا
واقمت من نفسي له عضدا
وادرت طرفي لم اجد احدا!٠٠

هند واحببني اذا ذكرت
كانت الها ، كنت اعبد
كم زرتها والحي متبه
ولكم وقت على الغدير بها
والارض ترقص تحتها طربا
ولكم جلينا في الرياض معا
والليل فوق الارض منسل

اطا الافاعي ، او اجس مدى
واجله ، والحن كم عبدا
وتركتها والحي قد هجدا
والريح تسج فوقه زردا
والشهب ترقص فوقنا حسدا
لا طارنا نخشى ولا رسدا
والغيم فوق البدر قد جمدا

قد كاشفتني الحب مقربا
لكنني لما مددت يدي

وشكت الي الشوق ميتعدا
وادرت طرفي لم اجد احدا!٠٠

قومي ، وقد اطربتهم زمنا
هم عاهدوني ان مددت يدي
قالوا غدا تهمني سحائبنا
وظننت اني مدرك اربي
فذهبت امشي في الثرى مرحا
تبه المجاهد نال بغيته
لكنني لما مددت يدي

ساقوا الي الحزن والكمدا
ليمد كل قسى الي يدا
فرجعت ادراجي اقول غدا
ان غار تحت الارض او صعدا
ما بين جلاسي ومنفردا
او تبه مسكين اذا سعدا
وادرت طرفي لم اجد احدا!٠٠

هم هددوني حين صحت بهم
ورابت في احداقم شررا
وسعت صائحهم يقول لهم
فرجعت احبهم برابرة
مرت ليال ما لها عدد
ارتاع ان ابصرت واحد
واذا رقت رقت مضطربا
لكنني لما مددت يدي

صيحاتي الشعواء منتقدا
ورابت في اشداهم زبدا
ان اقلوه جيشا وجدا
في مهمه واظنني ولدا
وانا حزين باهت كمدا
ذعر الشبهة ابصرت امدا
واذا صحت صحت مرتعدا
وادرت طرفي لم اجد احدا!٠٠



لا تذكرهم لي ، وان سألوا
لا يملأ السربال واحد
لا تذكرني عندهم ابدا
وله وعود تملأ البلدا
من قبل اعرف منهم احدا
يا ليتني ضيعت معرفتي



الشهرة

كبت في الجزر مطرا
اودعته كل روعي
وعدت في المد اقرا
فلم اجد في الشواطئ
على الرمل
مع العقل
واستجلي
سوى جهلي

جبران خليل جبران

من

مذكرات الارقش

لميخائيل نعيمة

- توطئة -

من هو الارقش؟

لجأت مرة وصديقا لي الى قهوة سورية في نيويورك لنحتمي فيها من المطر .
ولم نك اقدمنا وطأت ارض ذلك المكان من قبل . فوجدنا المكان خاليا من
الزبائن فجلسنا بعد ان طلبنا من صاحب المحل قهوة تسلى بها الى ان تحقن
السماء قربها او يخف المطر قليلا . وما هي الا هنيهة حتى جاءنا صاحب المحل
بفنجائين من القهوة العربية . ومما استلفت نظرنا انه كان يمشي متمايلا ذات
اليمين وذات اليسار كالسكران او كمن يمشي على قطع من الزجاج برجلين
عاريتين . ولم يضع القهوة امامنا حتى ارتدى على كرسي بجانبنا وقال متنهدا .
- «واحسرتاه عليك يا ارقش . . .»

ولما رأى علامة الاستفهام على وجهنا تنهد ثانية وتابع كلامه - «هلكني
هذا الرومانزم . هلكني ولم يترك لي حالا . . . لما كان الارقش عندي ما
كنت اهتم بشي . . كنت اجلس على كرسي واقبض فلوما فقط . اما اليوم فصرت
مضطرا ان اخدم الزبائن بناتي وان اروح وآتي . . . الا تعرفان الارقش ؟
وقبل ان يسمع منا جوابا تنهد ثانية وقال متابعا حديثه : «خدم عندي ثلاث
سنوات . ثلاث سنوات بكاملها . اتاني في نهار مثل هذا النهار نصف عريان

وبدون برنيطة. المطر نازل منه من كل خيط ساقية. قلت ماذا تريد يا عماه؟ قال: «اتقبلني عندك خادما؟ فقلت بنفسى: انها حسنة لوجه الله. انا في حاجة الى خادم. فليخدم لئرى خيره من شره. قلت: اتخدم بالموءونة يا عماه؟ فبرز راسه علامة القبول. حينئذ اخذته وادفأته وجففت ثيابه وبدأ يشتغل. وما هو الا يوم او يومان حتى اصبح يعرف عن الشغل قدر ما اعرف انا مرتين. بعد شهرين خصصت له معاشا شهريا عشرة ريات مع اكله وشربه. وبعد سنة صرت اعطيه ١٥ رياتا. وقبل ان تركني شهر زدت له معاشه خمسة ريات اخرى. اما هو فمكسين لم يطلب زيادة من تلقاء نفسه ولا مرة. ولا سمعته مرة يتشكى من شيء. بل كان ابدا قانعا يشتغل من كل قلبه. اواه واحسرتاه عليك يا ارقش...»

وهنا سكت محدثنا. وكأني لا حظت ان عينيه قد تبللتا بالدموع فسألته عن اسم الخادم ووصافه الخارجية علني اهتدي اليه صدقة. فبرز راسه يمينا ويسارا واجاب.

«لو كنت اعرف اسمه او اصله وفصله لما كان قلبي حزينا. هو قصير. نحيف البنية للغاية شعره اسود طويل. عيناه سوداوان كبيرتان غارقتان تحت حاجبيه. وجهه مشوه بالجدرى — ولذلك لقبناه «بالارقش». نساله عن اسمه فيجيب — لا اعرف — اسم ابيك — لا اعرف. كم لك من العمر — لا اعرف. اغرب منه بين الناس لا رات عيني ولا عادت ترى. مجنون؟ كلا. ما هو مجنون. يكتب ويقرأ العربية والانكليزية والاسبانية والتركى والفرنسية — والله يعرف ماذا بعد. انما لا تقدر ان تجعله يفتح فمه ولا بالف حيلة. يخدم ويروح ويجيى. ما كنا نطلب منه غرضا فياتيك به كالبرق انما — ما كنا

خدم عندي ثلاث سنوات وما كان يكلمني الا بنعم ولا. وكم حاول الناس ان يحدثوه — فما كان يجيبهم بكلمة. يقضي اشغاله ما كنا وعندما لا يكون عندنا زبائن يجلس لوحده على كرسى ويسند راسه بيده ويأخذ يحملق برجليه ساعة، ساعتين: ثلاث ساعات، لا يتحرك على الاطلاق كأنه مسمر في مكانه. او كأن عينيه من زجاج. لا لا. اغرب من هذا الرجل ما رايت ولن ارى... لا يا كل لحما ولا يا كل سمكا. بقي عندي سنتين وما كان يخرج خارج القهوة الا نادرا. في المدة الاخيرة فقط اخذ يروح ويجيى قليلا...»

فلما كنت الدهشة منى ومن صديقي متبهاها بعد سماع هذه القصة الغريبة حتى تشوقنا الى معرفة اكثر مما عرفناه عن هذا الرجل السري. فسالنا محدثنا ان يطلعنا على عنوان البيت الذي يسكنه خادمه. فنفض للحال وقادنا الى وراء حاجز من الخشب في مومخر القهوة. وهناك اثار قنديلا من الغاز قائلا —

«هنا كان ما كنا. وهنا كان يقضي ليلائه»

فتأملنا في المكان حوالينا. واذا به مزدحم بصناديق عديدة وعلب من القهوة مبشرة هنا وهناك وزجاجات مرطبات ومشروبات روحية خلا زاوية راينا فيها لوحين من الخشب ممدودين فوق صندوقين وعليهما ملاءة من المقصور ولحاف من الصوف ووسادة. وبجانبهما صندوقان — الواحد فوق الاخر — مغطيان بجرائد عربية فوقها زجاجة من العبر وبجانب الزجاجة قلم. وفي زاوية اخرى حنفية ماء ومستودع للقناجين والصواني والكؤوس وموقد غاز لاعداد القهوة. فتضاعفت دهشتنا لما رايناه. ومالنا صاحب المحل متى ذهب خادمه ولم يرجع. فاجاب ان قد مر اكثر من اسبوعين على غيابه. ولما اخذنا نحاول ان نغزيه بان خادمه قد يعود قريبا هز راسه طويلا وتنهت تنهدة عميقة وقال



— لو كان لا يزال حيا لرجع قبل الان . مات الارقش مات . واحسرتاه عليك يا ارقش . . . »

فوقفت وصديقي حائرين مبهوتين وكان المطر قد انقطع . فهمنا بالخروج ولكن خطر لي وانا في الباب ان امال صاحب القهوة عما اذا كان الارقش ترك بعده اثرا او شيئا من حطام هذه الدنيا . ففكر قليلا ثم ذهب متأوها الى ما وراء الحاجز الخشبي وعاد بصندوق صغيرة قائلا — هذا كل ما تركه . »

وقبل ان نساله امرا فتح الصندوق فاذا فيها كتاب العهد الجديد ودفتر بسيط فاخذت الدفتر وفتحته واول كلمة وقع نظري عليها كانت — «مذكراتي» مكتوبة باحرف كبيرة . وقبل ان اهتم بمعرفة ما تحويه تلك المذكرات سألت صاحب القهوة — هل يرضى ان يبيعني الدفتر . وكنت مستعلا ان ادفع مهما طلب مني . لكنه رفع نظره اليّ بدهشة شديدة وقال

— ايعة؟ — هل هو من الجواهر كي ايعة! بارك الله لك فيه . اذ يعلم الله اذا كان الارقش واحسرتاه — لا يزال في قيد الحياة . اما انا — فلا كتابة ولا قراءة . بارك الله لك فيه يا خواجه . خذه . فقط اذكرونا من وقت الى وقت . وتفضلوا شرفونا . اهلا وسهلا بكم . المحل محلكم . اجعلوها عودة . »

فوعدها خيرا وانصرفنا وانا لا اكاد اصبر حتى اصل الى غرفتي واطالع مذكرات الارقش .

اما الان وقد تلوتها مرة واثنتين وثلاثا — وقد مضى على غياب صاحبها نحو السنة — فلا ارى مانعا من نشرها عل . بعض القراء يجدون فيها ما وجدته انا من اللذة . وقد عجزت بعد البحث والتنقيب عن فهم بعض عباراتها فتركت

محلها فراغا . اما طريقة الارقش في تدوين مذكراته بذكره ايام الاسبوع فقط دون تاريخ اليوم والشهر والسنة فذلك لا اقدر ان اعترض عليها وان كنت لم افهم الغاية منها .

هذا كل ما اعرفه عن الارقش فلا تسالوني زيادة

(م . ن .)

مذكرات الارقش

(الاثنين)

الناس قسمان — متكلمون وما تكون .

انا قسم الانسانية الساكت . وما بقي فكلمهم متكلمون . اما البكم والاطفال فهم من المتكلمين ايضا ، لكن الحكمة الازليمة ختمت على افواههم . اما انا فقد ختمت على فمي يدي . وقد ادركت لذة السكوت . اما المتكلمون فلم يدركوا لان مرارة الكلام . لذلك سكت وهم يتكلمون

(الاربعاء)

انا فامك بين الناس ، والتسك بين البشر اصعب منه بين الوحوش . لانك تستطيع ان تأمن جانب الوحش وان تكسب الفته باللين والمهجة واذا اخفقت وغضب عليك الوحش فلا يمزق منك سوى جسدك الفاني . اما البشر فيحسبون اللين والمهجة منك ضعفا ويتجنبون الحاق اقل ضرر بجسدك الفاني خوفا من القوانين التي سنوها . اما روحك الابدية فيستحلون جعلها مشاعا للشارد والوارد ولا قانون ولا محكمة لصددهم . لذلك تركت جسدي هدفا للاستهيم وسيجت

روحي بالسكوت. رأوا آثار الجدي في وجهي فلقبوني بالارقش. اما روعي
الملتحف بالسكوت، البعيدة عن ابصارهم القصيرة فلم يجدوا لها اسما، لذلك
يحسبوني مختل الشعور. ولكنني من وراء سكوتي استطيع ان ارى ما في
قلوبهم واقرا ما في افكارهم، لانني احكم على افكارهم لا بما ينطقون بل بما
لا ينطقون. فقلوبهم وافكارهم كتب مفتوحة امام عيني.
لذلك سكوت وهم يتكلمون

(الخميس)

الكذب اصل شقاء البشر. لو لم يكذب آدم على خالقه عندما ناداه -
«ابن انت» لصفح الله عن البشرية. وكل المتكلمين يكذبون. لكن البعض
يكذبون ويعرفون انهم يكذبون. والبعض يكذبون ولا يعرفون انهم يكذبون.
وهؤلاء الاخرون اكبر ضربة على الانسانية من الاولين. لانك لا تقدر ان
تقنعهم لا بعضا ولا بحجة بانهم يكذبون. ويكذبون لانهم يتوهمون ان اللسان
البشري قادر ان يعبر بلغة بشرية عن الفكر الذي ليس بشريا. فالفكر ليس
من اثمار الارض بل السماء. وكم تناه لم روعي كلما سمعت احدا يتكلم
باجتهاد وحده واخلاص ثم يعود فيقول لجليسه - «ما ذاك فكري» - ولو احيل
الامر الي - لوضعت في آخر كل كتاب سطرته يد بشرية من اول الكون حتى
اليوم، ولنقشت على كل تمثال حفره انسان وكل صورة مد خطوطها مصورا،
ولاضفت الى كل خطاب فاه به خطيب، او قصيدة نظمها شاعر او مقالة حررها
كاتب في جريدة او مجلة والى كل عبارة ينطق بها المتكلمون - هذه الكلمات
الثلاث «ما ذاك فكري».

الصدق يستحيل على المتكلمين، اما انا - قسم الانسانية الساكت - فكيف
اكذب؟ افكاري تتولد وتعيش وتنفخني عني وانا اراها كما هي في كل
درجات نموها - عريانة شفاقة. اذا كانت صالحة فانا اعرفها صالحة. وان
كانت طالحة انا اعرفها طالحة. ولا احاول المستحيل، فلا اوقفها عن جريها،
وهي تسير مع الوجود الذي لا محطات في سيره. ولا البسها اطمارا بالية من
لغة البشر. اما هذه المذكرات فانا اكتبها لنفسى لا للناس مع ذلك ساضع
في اخرها - «ما ذاك فكري»

الكلام ممزوج بالصدق والكذب. اما الصمت فصديق لا غش فيه
لذلك صمت وغيري يتكلم.

(الجمعة)

انا انسان صغير مجهول. لي وجه كقطعة من خشب نخرها السوس. هكذا
اظهر في عيون الناس وهذا كل ما يعرفه الناس عني. فلماذا لا يكتفون بذلك؟
اذا نادوني - «يا ارقش حات ٥ قهوة» اقدم لهم القهوة. او - «هات ٣
وسكي يا ارقش» او ورق بوكر يا ارقش» - آنيهم بالوسكي والبوكر. فلماذا
لا يزالون يسالوني عن اسمي واسم امي وامي وبلادي وعمري النخ؟ فهل اذا
عرفوا ان اسمي الياس او طنوس او يعقوب انقلب في اعينهم فلا اعود انسانا
مجهولا ولا يعود وجهي كقطعة من الخشب نخرها السوس؟ انا لا اعرف لذاتي
اسما ولا ارضى ان اعرف باسم واحد، لاني اولد ولادة جديدة كلما تولد في
راسي فكر جديد، وافكاري تتولد باسرع من لمح البصر. فاذا كنت الان داود
فانا بعد طريقة عين لست داود بل سليمان وبعد طريقة اخرى لست سليمان بل



شمشون لانني فكر والفكر لا يستقر على حال فهو كالريح تهب فوق المروج فتشتم منها رائحة المروج، وعلى الحدائق فيفوح منها شذا الحدائق، وعلى المزابل فتاتيكَ برائحة المزابل. النسمة التي تمر عليك الان ليست كالنسمة التي مرت عليك من لحظة قبلها، والتي ستمر عليك بعد لحظة ليست كالتي تمر عليك الان وهكذا الفكر. ولما كنت انا فكرا فانا في كل لحظة او اقل منها انسان جديد. اما جسدي وان كان يتغير - فتغيره بطيء. والخشبة التي نخرها السوس لا نصير صقيلة، لذلك انا «ارقش» وسابقي «ارقش» الى ان اخلع هذا الثوب وارتندي بسواه. او كما يقول الناس - «الى ان اموت»

الناس في حاجة الى الاسماء ليدونوا تواريخهم الصغيرة ويديروا محاسنهم ودوائر حكوماتهم ويعرفوا ان هذه القطعة من الارض او هذا البيت يخص حنا حنين فلا يجوز لي انا الارقش ان اقتلع بصلة من تلك الارض او ان ادخل ذاك البيت لانام في زاوية من زواياه اذا كانت العواصف تولول والثلوج تنهمر وانا في الشارع تصطك اسناني ولا ملجا ولا مأوى.

ليت شعري ماذا كان يحل بالناس لو افاقوا ذات صباح ونسي كل منهم اسمه واسم سواه! .. الشاعر يكف عن النظم لان الناس لا يعرفون من الناظم فلا يمدحون ولا يذمون. والكاتب يمتنع عن الكتابة، لان اسمه لا يدون بين اسماء الكتاب. والمصور لا يصور، اذ لا تتداول اسمه الالسنه والصحف. واذا اوجد في تصويره فيعجب الناس بصورته انما لا يقولون هذه من ريشة فلان. والتاجر يكف عن الاتجار لانه لا يقدر ان يعلن في الجرائد اسمه وبضاعته المتفردة باوصافها الكاملة. والقائد يحجم عن قيادة العسكر لانه اذا ظفر فلا احد يقول قد ظفر للعسكر الفلاني بقيادة القائد الفلاني

كل ذلك لان الناس لم يدركوا بعد ان سجلاتهم ليست سوى كتابة على وجه الماء، وان لا سجل يدوم سوى سجل الكون العظيم حيث لا ينطلق صوت، ولا تذرف دمة، ولا تصعد زفرة، ولا يولد فكر، ولا تلفظ كلمة، ولا تتحرك شهوة دون ان تطبع على صفحاته الابدية. هناك لا اسماء ولا القاب ولا انساب بل اعمال وافكار وعواطف فقط متشابهة ولكنها مختلفة، ومتحدة ولكنها منفصلة ومدونو السجل العظيم يميزون بين هذه وتلك كما يميز الاثري الماهر بين آثار خطوط اصبع يدي وخطوط اصبع سواي

انا الان في عرف ش. (١) وزبائنه ارقش - لا اكثر ولا اقل. انسان صغير مجهول له وجه كخشبة نخرها السوس. لا نفع مني الا لتقديم القهوة والومكي وورق اللعب وغسل الفناجين والصحون. لكن لو قلت لهم غدا ان اسمي عبدالرحمن باشا البغدادي لا تقلبت الاية وصاروا هم الخدم وانا السيد. دع الناس يسجلوا اسماء الناس اما انا - قسم الانسانية الساكت - فقد رضيت بما تلونه عني الاقدار في سجل الكون العظيم.

(السبت)

متى يزول عني هذا الرجفان؟ .. جسدي كالة قد حلت لوالبها. .. يداي ترتجفان. .. اسناني تصطك. .. لا اقدر ان املك عضلا من عضلاتي. .. مطارق تضرب في قلبي. .. رثائي كمنفخ حداد. .. القلم لا يثبت بين اصابعي. .. عبثا. .. عبثا احاول الكتابة. .. من هي؟ .. ولماذا. .. الافضل ان - لا. لا. هنا فوق طاقتي. ماذا تبغني مني هذه المرأة ومن هي؟ هجرت

(١) استخلصت مما يلي من المذكرات ان المقصود بحرف «ش» هو صاحب القهوة

الارجلتين فرارا منها . فما ادراها اني في نيويورك وكيف اهتدت الى صومعتي .
جلست لا كتب بعد ان انصرف الجميع ، ولم ينصرفوا حتى الساعة الثالثة
بعد نصف الليل . انرت قنديلتي واخذت قلبي بيدي فيست يدي ولم تتحرك
وللحال شعرت اني لست وحدي . فسرت القشعريرة في جلدي . وانتصب الشعر
على راسي . حاولت ان التفت الى الوراء فلم اقدر ، والى الشمال فلم اقدر . فجمد
الدم في عروقي . وشعرت بان دقائق قلبي قد خفت حتى انقطعت . حاولت
النهوض فلم اقدر ، وان افتح فمي فلم اتمكن . فجمدت كالبحر واخيرا
املت نظري الى اليمين فرايتها

عادت القشعريرة الي اصابعي نابى ان تطيعني فلا سرح
. . . . لا تزال هي هي . كما ظهرت لي في المرة الاولى ، وذلك
الجرح الواسع في نحرها لم يضمده حتى الان . والدم لا يزال يتدفق منه . وذلك
الحزن العميق الجامد في عينيها الواسعتين . وشعرها الاسود الطويل لا يزال
مسدولا على كتفيها . وثدياها لا يزالان نافرين من تحت رداها اليبض .
وبدعا اليسرى لا تزال على عنقها اليبض كأنها تحاول ان توقف الدم
من جرحها الهائل . وجهها كالعاج — لا حياة فيه . لكن عينيها رفعت نظري
اليهما فخيّل لي ان كل احزان البشرية وآلامها واوجاعها تنظر الي من وراء
اهدايهما . جامدتان لا تتحركان . لكنهما اعمق من اللجة . لا انتقام فيهما ولا
غضب ولا ازدراء — بل حزن لا قرار له . ومو بل توسل لماذا
توسل الي وماذا استطيع ان افعل لاجلها ؟

ما اهل الحزن العميق الساكت ! وهذه المرأة هي اقنوم السكوت . يخيّل

لي انها لو فتحت فاهها لتفجر الحزن من عينيها كالسيل ، ولما ارتجفت اعصابي
حينئذ لوقع نظري عليها . لكنها ساكنة . وسكوتها برعيني . انا كذلك ما كنت
ولكن سكوتي لا يخيف الناس . اما سكوتها فكله رهبة وقشعريرة .

وقفت بجانبها ولا ادري كم طال وقوفها — لحظة ام دهرا . وكما ظهرت
فجأة هكذا اختفت فجأة . وتركنتني ضعيفا مرضض الجسم كاني هبطت من
علو شاق الى الحضيض .

امر عجيب غريب ! كلما زارتني هذه المرأة اشعر بان ضبابا كثيفا يكتنف
افكاري . لذلك عبثا احاول ان اقرأ افكارها . والاغرب من ذلك انه كلما طال
وقوفها شعرت بان الضباب ينقشع عن افكاري رويدا رويدا . ومع انقشاع
الضباب اشعر بقرابة بعيدة بيني وبين هذه المرأة — كاني رايتها في حياتي
على الارض . كاني اعرفها . كأن بيني وبينها صلة . واحيانا اكاد ان اذكر
ابن رايتها وكيف عرفتها وماذا يربطني بها . واذا تكاد الغشاوة ان تنقشع عن
افكاري تماما اطلبها فلا اجدتها فيعود الضباب ويكتنف دماغي

من هي ؟ — يجب ان اعرفها واعرف ما وراء زيارتها . صبرا يا ارقش .
فبالصبر والسكوت تنال كل شيء .

(الاحد)

سكوت .

(الاثنين)

سكوت .

(الثلاثاء)

قد اشتاقت نفسي الى عرائس الليل . وصومعتي لا نافذة فيها لاراقب منها



النجوم. حتى لو كانت فيها نافذة لما قدرت ان ارى منها كوكبا واحدا لان يد الانسان قد فعلت كل ما في وسعها لتستر النجوم عن عينيه. فبنائاته الشاهقة قد حجبت عنه وجه السماء. لذلك خرجت الليلة الى شاطئ البحر وجلست هناك ورفعت بصري الى فوق. وهناك قضيت الليل كله ناسيا اني خادم في قهوة. «لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون» - وماذا يبصر او يسمع الناس؟ كانوا يمرون من حولي بالمشات وابصارهم لا ترتفع عن الارض واذانهم لا تسمع سوى دندنة اصواتهم الحقيرة وثرثرة الستهم التي لا تكل ولا تمل من حاجاتهم الجسدية وشهواتهم الارضية وآمالهم الصغيرة. سمعت واحدا يقول - «ما الطف هذه الليلة» وهو يعني انها دافئة او باردة. والبشر يقيسون الطبيعة كلها بميزان الحرارة. واخر قال - «ما اجمل النجوم» لكنه كان ينظر الى ما بين قدميه. ولا يفهم الناس ان من ينظر الى النجوم يجب ان ينظر اليها بخشوع وصمت.

ما احق البشر! تراهم يتبارون في اكتشاف او اختراع كل ما من دابة ان ينسيهم انهم خلقوا «على صورة الله ومثاله» كل يوم عندهم اسلوب جديد لقتل الروح والجسد. محلات قصف ولهو ومسارح تمثيل وصور متحركة. يذهبون اليها ليضحكوا من انفسهم او ليبكوا على انفسهم. واي صور متحركة اريب واعظم من هذه الانوار السائرة بلا انقطاع في هذه القبة التي لا اول لها ولا اخر؟ لا تطفئها عواصف ولا تعيقها عن السير مسافة. لكل منها سبيل يجري فيه ولا يتعدها. عددها اكثر من رمل البحر. من الازل تدور ولم يقف احدها في طريق الاخر وتبقى في دوراتها دون ان يخل احدها بالنظام الابدني. اما البشر فتراهم في اصطدام دائم. ان لم يكن في عرباتهم ففي

سياراتهم، وان لم يكن في سياراتهم ففي قطاراتهم، وان لم يكن في قطاراتهم ففي بواخرهم، وان لم يكن على ظهر الماء او في الهواء، فعلى الارض وهم ماشون على اقدامهم. قد اقاموا على ملتقى كل شارعين صنما يشير اليهم الى اي جهة يذهبون. وقد نشروا في ازقتهم الاعلانات - «سر الى يمينك. سر الى يسارك. قف» وعظامهم مع ذلك تنسحق تحت الدواليب وقبعاتهم تطير عن رؤوسهم عندما تتلاطم جباههم. اما هذه الاجرام السماوية العظيمة فتدور دورتها الابدية بنظام دون خلل، ولا من يقول لها «سيرى الى اليمين او سيرى الى اليسار»
انا والنجوم - تلميذ وامتاذ. فيها رايت مجد خالقي. ومنها عرفت عظمتي كفكر، وحقارتي كتراب.

(الاربعاء)

نم يكد «ش» بفتح الباب صباحا ويراني حتى انهال علي بالتوبيخ والشائم السفية.

- «اين كنت مقبورا البارحة يا ارقش النحاس؟ كيت وكيت منك ومن امك وايبك! انت سوف تخرب لي بيتي. ملعونة الساعة التي رايت وجهك فيها. الحق علي لاني آوبتك عندي واطعمتك وسقيتك واعطيتك معاشا ايضا... كيف تر كني البارح وانا مرتبط لا اقدر ان اتحرك اين كنت مقبورا...» الخ. وبماذا اجيبه؟ هل اقول له - ولا هم له في الحياة الا نقل المال من جيوب سواه الى جيبه - اني كنت ارقب النجوم؟ اذا كان لا يزال يعتقد ان في ذرة

من العقل فلا يبقى عنده شك بعدئذ في اني معنوه. انا لم احبه، لا خوفاً من ان امقط في عينيه، بل لان لا سبيل للتفاهم بيني وبينه. وكيف يمكنني ان افسر له ان مراقبة النجوم والاصفاء الى هدير الامواج اهم من طبخ القهوة وتقديمها للزبائن وقبض النقود منهم؟

قناعة الجسد فضيلة، اما قناعة الروح فجريرة.

و «ش.» قنوع بروحه طامع بجسده. اذا مرت ليلة ولم تجر عنده لعبة قمار يكفر وجهه وتغور عيناه ويتدلى شارباه ويجلس، كأنه الهم بعينه، يندب حظه وسوء طالعه. وتشتد عليه اوجاع «الروماتزم» وتكثر حاجات اولاده ومطالب زوجته ولوازم بيته ومصاريف شغله وديونه. اما الليلة التي يرى عنده زمرة كافية من مبذري الاموال ودافني الوزناة المبعطة لهم من الله فتنبسط خطوط وجهه ويرتفع طرفا شاربيه وتخرج عيناه من تحت حاجبيه الكثيفين وينسى «الروماتزم» وزوجته واولاده وتقل حاجاتهم ومصاريفه فياخذ نارجلته ويجلس باسما واضعا رجلا فوق رجل ويبدأ باعطاء الاوامر للارقش.

— «يا ارقش خذ. يا ارقش هات...»

اما زبائنه فكان الله جلهم من طين فقط. ولم ينفخ فيهم روحه. يجب ان امتشي منهم سنحارب. هنا هو الاسم الذي يعرف به هنا. اما اسمه الحقيقي فلا اعرفه. وقد وجدت قرابة بيني وبينه. وطالما شعرت بدافع يدفعني الى ان احدثه، ولكنني الى الان لم افعل، ولن افعل. هنا الرجل يمشي على سطح الارض كسر مكتوم. كلما نظرت اليه ارى امام عيني علامة سوء ال كبيرة. هو من زبائننا الدائمين. لا تمضي ليلة الا نراه فيها عندنا. ولا تقعده عن المجيء. لا العواصف ولا الثلوج ولا المطر ولا الحر ولا القرم. باتي كل مساء نحو الساعة

الثامنة فيطرح سلامه على «ش.» ويجلس على كرسي بقرب الشباك ثم يطلب ان آتية بالقهوة فيمتص منها مصة ويشعل سيكاره ويفتح جريدته ويقرأ. ولا يرفع انفه الطويل الاقنى من مطورها حتى يجتمع رهط من المقامرين في القهوة فيناديه احدهم — «سنحارب! اما قولك بندق بوكر؟» وحينئذ ينهض على مهل وياخذ كرسيه ويجلس الى طاولة القمار وهناك يظل صامتا جامدا، غارقا في اللعب الى ان ينهض الجميع وينادوا بالذهاب. فينهض ويخرج معهم. كلامه قليل للغاية. صوته مختلق لا يسمع. وحركاته بطيئة، متأنية، متقطعة. وجهه مكفر ضئيل كأن خديه قد شدا باسيار من الداخل. احابه كاصابع المذرة. ولبامه دائما قديم قدر اكثر ازواره مقطعة. اما عيناه ففيهما نور كنور القمر — هادي، بارد، عميق محزن. انا اراقب كل حركاته واسمى ان استلفت نظره الي، لكنه ياتي ويروح وكأنه لا يلاحظ اني موجود. الكل يتكلمون عليه ويضحكون منه وهو يقابل تهكمهم ببرودة عجيبة واحيانا يضحك معهم. انا اجد في سنحارب تعزية كبيرة مع اني كنت اقول لنفسي اني في غنى عن تعزية البشر.

(الخميس)

«قال الجاهل في قلبه ليس اله».

واله الجاهل غباوته.

وماذا يا ترى، يقول سنحارب؟ هل يعتقد بوجود الله ام هو كبقية الجهلاء يقول في قلبه ان ليس اله؟ خطر لي اليوم ان اطرح عليه هذا السؤال لكنني امسكت عن ذلك



من طبيعة الانسان ان ينكر ما يجبهه، فلماذا لا ينكر نفسه؟ لانه لو عرف الانسان نفسه لعرف كل شيء. فمفتاح اسرار الكون موجود فيه - وهو الفكر الذي لا يموت. لكنه لا يعرف الى الان كيف يستخدمه، اذ قد القى كل اتكاله على حواسه الخارجية. وحواسه الخارجية لا تتعدى خوارج الامور - وفي أكثر الاحيان تخدمه لانها مقيدة محصورة. اما حواسه التي لا تستند على عينيْن او اذنين او منخرين او يدين فتلك في عرفة اوهام واضغاث احلام.

انا لا اقدر ان ارى الله بعيني ولا ان المسه بيدي. اما بفكري فاراه واشعر بوجوده، لان الله ليس من المادة ولذلك لا يمكن ان يدرك بالمادة. والحواس البشرية الخمس لا تتعدى المادة. فهي قاصرة عن ادراك الله. والجاهل يعيش بحواسه الخمس فقط. لذلك يقول في قلبه - «ليس اله».

من هو الله؟ واين هو؟

كيف يقدر المحدود ان يعبر عن غير المحدود؟ اللغة البشرية مقيدة بحدود معلومة فكيف يمكن ان تصف ما لا حدود له؟ اما الفكر فهو غير محدود لذلك يقدر ان يدرك الله. ولا وصول للفكر الى الله سوى بالتأمل والسكوت. لان كثرة الكلام ملهية للفكر. والبشر يهربون من السكوت ومن التأمل. ولذلك ترى الالاف والملايين من الذين ينادون باسم الله لا يعرفون الله لانهم لم يدركوه بالتأمل والسكوت - لم يجدوه في انفسهم. ولو عرف البشر الله لما قسموه الى عبراني ومسيحي وبوذي وبرهمي واسلامي ودرزي ووثني، ولما اهرق انسان دم انسان ولا ابغض انسان انسانا من اجل الله. وما انقسم البشر بعضهم على بعض لاجل الاديان الا لانهم حاولوا المستحيل فحددوا ما لا يحدد بلغاتهم المحدودة وقاسوا ما لا يقاس بمقاييس بشرية ارضية. وسيبقى

البشر بين ممجد لعيسى، ومهلل لموسى، ومصل على محمد، وموله لبوذا، وخاضع لبابا، ومستعبد لقسيس الى ان يدركوا قوة الفكر ويسكتوا متأملين، متفاهمين بالافكار لا بالالسة.

وما هو الفكر؟

الفكر لا يحدد بلغة بشرية كما انه لا يحدد الله. ومن غباوة البشر ان كثيرين منهم يحسبون ان الفكر يتولد من المادة. فلا يميزون بين الفكر والدماغ. «متى بطلت حركة الدم بطلت حركة الدماغ. ومتى بطلت حركة الدماغ بطل الفكر». هكذا يقولون في عقولهم ولا يدركون ان الدماغ ليس سوى آلة تصل ما بين الفكر والجسد - بين المحسوس وغير المحسوس. وهذه الالة مع كل اتقانها لا تزال ناقصة لانها لا تنقل ولا تحفظ كل ما يطبعه الفكر. لكنها في بعض البشر اكثر اتقانا منها في سواهم. لذلك يحصل البعض منهم على تأثيرات من الفكر واضحة نيرة فينقلونها على قدر امكانهم بالمقاطع والكلمات. من هؤلاء - الشعراء والموسيقيون والمصورون والفلاسفة الكبار. لكن ادمغة السواد الاعظم من البشرية لا تزال بالنسبة الى هؤلاء، كالساعة الرملية الى الساعة الكهربائية. اذا مثلت ان اشبه الفكر بشيء محسوس شبهته بالكهربائية والدماغ بالاسلاك التي تحفظها وتنقلها من محل الى محل. تسير هذه القوة في اسلاكها فتصل الى شريطة سوداء نحيفة كالشعرة فتقلب نوراً. لو نظر غبي الى قنديل كهربائي لقال ان اصل النور فيه هي تلك الشعرة. لكن الشعرة تحترق او تنقطع فينقطع النور. فهل تنقطع الكهرباء من الاسلاك التي تنقلها من المحطة؟ واذا انقطعت من الاسلاك فهي في الهواء. كانت هناك قبل ان يكشفها الانسان ولا تزال هناك بعد ان

اكتشفها ومتبقى هناك الى الابد. وقد ادرك الانسان اليوم ان الكهربائية قوة عظيمة. وقد ادرك كذلك انه الى الان لم يتمكن من ان يتنفع الا بجزء من مائة بل من الف من تلك القوة. وانه اذا اخضع الكهرباء لارادته يقدر ان يعمل من العجائب اكثر مما عمله كل موميستي الديانات معا. لكنه حتى الان لم يكتشف قوة فكره ولم يخطر له انه لو تمكن من ادارة افكاره حسب هواه لكان يقول لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل.

آه، لو عرف الانسان نفسه!

ولا بد له من ذلك عاجلا او آجلا.

«اعرف نفسك»! ولا تعرف نفسك الا بالسكوت والتأمل.

فاسكت ايها الانسان وتأمل!

وهل - ترى - من حارب يتأمل في سكوته ام هو ساكت فقط?

(الجمعة)

اليوم سألت نفسي لأول مرة - من انا؟

فكان الجواب سكونا طويلا عميقا. انا مخلوق ولي خالق - وهذا مما اعرفه. لكنني انسان، والانسان يولد من اب وام، فمن هو ابي، ومن هي امي؟ هذا مما لا اعرفه. هل حملتني امرأة في بطنها تسعة اشهر؟ وهل كانت هذه الامراة تغذيني بثديها وتحرسني بحنوها وتدفعني بحرارة قلبها؟ هل كانت تقبلي وتحملني بين ذراعيها وتبسم لابتسامتي وتألم لآلمي وتسهر الليالي فوق سريري؟ هل كانت تدعوني باسم معلوم، وما هو ذلك الاسم؟ اين هي تلك الامراة في هذه الدقيقة؟ هل في هنا، او في ذلك العالم؟ هل تبلت عيناها بالدموع لما فارقتني، وهل تعرف اين ابنها الان او هل تفكر به على

الاطلاق؟ من هي المرأة التي يمكن ان ادعوها امي واين هي؟ الناس يعظمون الام ويمجدونها ويؤهلونها، فينوحون لموتها ويكون لفراقها وانا لا اعرف لي اما ولا ينقبض قلبي حزنا عند ما افكر بذلك. فانا - انا - بام وبدون ام. وانا انا - با ب او بدون اب. لا اعرف لي ابا ولا اعرف لي اما. لكن امي لا شك تعرفني وامي كذلك.

ها انا اردد - امي. امي. امي! وامي. ابي. ابي! وقلبي ساكن لا يتحرك فيه لا وتر فرح ولا وتر ترح.

فهل يمكن اني ولدت من غير اب وام؟

واين ولدت؟

الانسان يدعو المحل الذي يولد فيه «وطنه» وهذه الكلمة مقدمة في عرف البشر. تراهم يندفون الدموع عند فراق اوطانهم ويتهللون عند العودة اليها. ولماذا؟ - لانهم الفوها وتعودوها. «فالوطن» ليس سوى عادة - لا اكثر ولا اقل. والبشر عبيد العادات. ولانهم عبيد عاداتهم قسموا الارض كلها الى مقاطعات صغيرة - «هنا وطني وهذا وطنك». فالزم حدود وطنك ولا تتعد حدود وطني. واذا تعديتها قابلك بحد السيف! والسيف لا يزال يحصد اعناق البشر من يوم استعبدوا لعادة الوطن وها هو يحصد اليوم ويبقى يحصد ما دام البشر مصرين في عنادهم على قسمة الارض الى مقاطعات مختصة بهذه الامة او بتلك، وما زالوا يؤهلون صنما دعوه «الوطنية». تاها ما كي ولد في جزائر اليابان من اب ياباني وام يابانية، لذلك فهو ياباني وجزائر اليابان وطنه. ولذلك فالعالم كله في عرف تاها ما كي ينقسم الى قسمين - اليابان وغير اليابان واليابان هي القسم الافضل. لكن هنع لي كاي ولد في الصين من اب



صيني وام صينية — فهو صيني والصين وطنه. فالعالم في عرف هنغ لي كاي ينقسم الى قسمين — الصين وغير الصين، والصين هي القسم الافضل. وايفان بوجينسكي ولد في روسيا من اب روسي وام روسية — فهو روسي وروسيا وطنه. لذلك ينقسم العالم في عينيه الى قسمين — روسيا وغير روسيا. وروسيا هي القسم الافضل.

اما انا — شطر الانسانية الساكت — فلا ادري اين ولدت ولا يهمني ان ادري، ولذلك لا وطن لي، ولو كان لي وطن لتبرأت منه لان العالم في نظري هو واحد لا يتجزأ. واذا كان لا بد من وطن فهذا العالم الذي لا يتجزأ هو وطني. اما هذه الكرة التي يدعونها الارض والتي تقاسمها البشر وبتطاحنون على قسمتها فليست سوى حلقة صغيرة في سلسلة لا بدء لها ولا نهاية. واذا كان جسدي قد جبل من ترابها فهي وطن جسدي وما تركه لها متى آن الاوان — بارك الله لها فيه. لكن فكري لم يتكون من ترابها، لانه يمتد على طول السلسلة العظيمة — فهو ابن العالم الاعظم، فيه يسكن ومعه يدور. ولو كانت الارض كلها ملكا مطلقا لي وجاء زنجي من اواسط افريقيا يزاحمني على فتر منها لتخلت له عنها باسرها. اما تاهاماسكي فلو كان له نصف الارض وكان لبوجينسكي النصف الاخر لقام بزاحم بوجينسكي على نصفه «مدفوعا بعامل الوطنية وحب الوطن».

ها الناس قد اشتبكوا في حرب يقولون ان التاريخ لم يشهد مثلاً بعد. يموتون اشنع الميتات بالالوف والملايين. ولماذا؟ هل ضاقت الارض بهم؟ معاذ الله — فالارض هي هي — لا يقدر ان يضيفوا اليها او ينقصوا من حجمها ذرة واحدة سواء كانوا الف ربة او الف نسمة. لكنهم ورثوا ميراثا

مشتراكا فلم يتركوه مشتركاً بل اقتسموه ولا يزالون في خلاف على القسمة. ولكي لا يقال انهم يتناهشون ككلاب لاجل عظمة اخترعوا «الوطن وحب الوطن وشرف الوطنية» والانسان من شأنه ان يقتل اخاه الانسان من اجل ما يجله كما كان ولا يزال يقاتله ويقتله من اجل الله. وبما ان «الوطن والوطنية والشرف» عنده اسماء مبهمه فهو يقاتل لاجلها ويموت ويضحى كل ما لديه. ولعل الانسانية كالانسان — تحتاج بعض الاحيان الى حجة لتنظف ما تجمع فيها من الدم الفاسد. وهذه الحرب هي دواء الطبيعة لبعض ما في جسم الانسانية من الفساد. والوطن والوطنية من ذاك البعض.

تعود الناس ان ينظروا الى الحرب نظراً الى شر لكثرة ما يهرق فيها من الدماء وما يزهق من الارواح وما يتدمر من البيوت. وهذه النكبات هي اقل شروء الحرب لكن شر الحرب الاكبر هو انها تجر الانسانية الى الورا. اذ تحول كل قواها الى الدفاع عن المادة وقتل الروح فتخليها عن قتال عدوها الحقيقي بقتال عدو وهمي. لان عدو الانسان هو الشر الكامن فيه لا الموجود خارجا عنه.

هكذا تقول الحرب «لفون شتر» — مثلاً

— اسمع يا فون شتر! انت تشتهي امرأة قريبك وثوره وحماره وامته. وانت تسرق. وانت تزني بالفكر والفعل. وانت نمام، كذوب محتال، وانت لا تعرف الكوع من البوع. وانت فقير بالروح والجسد. وانت غبي لا تعرف شيئاً عن خالك ولا عن نفسك سوى ما تراه من جسدك وحاجاتك الارضية. وانت تكثر من شرب الجعة. وانت ضعيف الارادة، سيء النية، تضرب زوجتك بلا سبب. ولكن هذه الامور ليست بشيء. لانك ولدت في ميونخ، فانت

المانى، والمانيا وطنك. وانت، بلا شك، تحب وطنك، وعاطفتك الوطنية حية. او تعرف من هو عدوك؟ ليس السكر ولا الزنى ولا الكذب ولا النسيمة ولا الجهل ولا ضعف الارادة ولا استعبادك للجد - بل هو «جان جاردنيه» - لانه لم يولد في ميونخ ولا في بادن - ولا في دانسغ - بل ولد وراء الخط الذي مدته المانيا وقالت - «هذا هو حدي». والاغرب من ذلك انه لا يتكلم الالمانية ولا ياكل كما ناكل ولا يلبس كما نلبس ولا وجهه اشقر كوجهك هذا هو عدوك فاستل سيفك واقطع عنقه». وهكذا تقول الحرب لجان جاردنيه عن فون شتر، ولبورجنسكي عن تاهاماكي، ولتاهاماكي عن هنغ لي كاي. فيشتبكون في عراك عنيف، والذي يصرع الاخر تدعوه «بطلا»! ومن سيئات الحرب انها تجلس الرذيلة على عرش الفضيلة فتدعو الانسان الذي يقتل اخاه الانسان شجاعا وتقلده وسام «الشرف». والذي يمسك عن قتل اخيه لمقاتلة العدو الكامن في نفسه تدعوه «جيانا» وتنبذه نبذ النواة.

انا في عرف «ش» وزبائنه جبان لاني احتمل كل يوم من تهكمهم واهاناتهم ما لو كان موجها الى سواي لاستل خنجره او اشغل كفه بالضرب يمينا وشمالا طول نهاره دفاعا عن «شرفه». لكنني ارفض بتاتا ان الهو عن عدو مقتدر في نفسي باعداء ضعفاء لا يستحقون ان انفخ من اجلهم نفخة في الهواء وان ادافع عما يدعونه «شرفا» لان شرفي الحقيقي لا تبلغه السنتهم ولا تصل اليه بذاتهم. فهو بعيد عنهم بعد افكاري عن افكارهم.

(السب)

انا في نقطة، وخفقان قلبي دليل على ذلك. لكن يدي لا ترتجفان كالسابق.

قد تعودت زيارتها والليلة تاكد لي انها تزورني لا زيارة عدو بل زيارة صديق. رايت ذلك في عينيها. فالحزن الكثيف الصامت الكامن في اعماقها ليس حزن انتقام وغضب بل حزن حنو وشفقة، ولكنه لعمقه يلوح هائلا مرعبا. ولهذا يرتجف قلبي، بل هو حتى الان لا يزال يرفض بين اضلاعي مع انها ذهبت وانا اعرف انها لن ترجع الليلة. اما عيناها فلا تزالان ترقباني وانا اشعر بقربهما. وقربهما يخيفني ويؤنسني في وقت واحد.

اضطجعت على فراشي لامترجح لاني تعبت اليوم من قضاء حاجات كثيرة. ولم اطفى قنديلي لاني احببت ان استسلم قليلا الى التأملات ثم اعود فاتابع مذكراتي. كنت احاول ان اعود بافكاري الى الماضي علني اذكر من كنت، وابن ريت، وكيف وصلت الى ما انا عليه الان، وقد حاولت ذلك مرارا من قبل ولم افلح. فكنت اصل كل مرة الى حد في تاريخ ماضي أقف امامه كاني امام سور منيع - لا يخترقه نظري ولا تتجاوزه افكاري. اما الليلة فكنت ان ارى بعض ما وراء السور لكن قنديلي انطفأ فجأة فقطع مجرى افكاري ولما نهضت لاشعله وجدتها واقفة بجانب فراشي... فجمدت... لم ارتجف كما ارتجفت المرة السابقة لكن قلبي انقبض حتى ذاب واضمحل. واكتنف الضباب افكاري فنسيت بماذا كنت افكر. لكن ظلمة افكاري وظلمة الليل لم تحجبا جرحها الهائل عن عيني. شمالها لا تزال على نحرها والدم لا يزال يتسرب من بين اصابعها. اما يمينها فكانت مرفوعة تسلل الى الجرح ولا تتحرك. ورايت كذلك شفتيها تتحركان كأنهما تلفظان بعض المقاطع لكنني لم اسمع شيئا. ولعل اذني سدنا من شدة اضطرابي. اطالت مكوئها هذه المرة اكثر من المرات السابقة. فشعرت بكل جوارحي اني اعرفها وكنت

اذكر ابن رابتها، وكنت اتادبها باسمها لكنها اختفت مثلما ظهرت وتركتني في حيرة اعق من الاولى. عبثا احاول الان ان اعيد ذكرها الي فالضباب قد عاد واكتنف افكاري.

وما لا شك فيه اني اعرفها.

نعم. انا اعرفها. فمن هي؟

(الاثنين)

يوم سكوت

لو كنت ملكا مطلقا في الارض لامرت بيوم واحد على الاقل في السنة يكرمه كل الشعوب - ما عدا السوريين - للسكوت. اما السوريون فاحتم عليهم ان يسكتوا شهرا بكامله، لانهم اكثر الامم كلاما.

(الثلاثاء)

«انا والاب واحد» - هكذا قال الابن.

وانا والابن واحد.

فانا والاب واحد كذلك.

هذه، ولا شك، بدعة لا تغفرها لي ديانة من ديانات البشر. ولماذا؟

لان معظم البشر يعبدون في هيات مختلفة وتحت اسماء متعددة الها اوجده الدماغ البشري. فاللهم يحقد وثار ويعاقب ويفرح ويغتم ويطلب لذاته شكرا ويعتز بقوته وجبروته امام خليقته. ومن غرائب تعبدهم ومحبتهم لهذا الاله انهم ينفذون ويضطهدون كل من يحبه ويعبده علي غير الطريقة التي يعبدونه ويحبونه هم عليها. وكل بعد من اقدس واجباته ان يدافع عن

«حقوق» هذا الاله «وشرفه» بكل قواه، ولو اضطره ذلك الى تضحية حياته. ولا يدرون انهم بهذا الدفاع عن الله يضعونه في مصاف احقر ما صنعت يده. من المعقول ان ادافع انا عن جرو كلب يتعدى عليه صبي قاسي القلب، او عن طفل يضربه ابن ثلاثين، او عن مقطوع اليدين والرجلين يحمل عليه ذو يدين ورجلين بفاأس وبندقية. اما البشر فقد اقاموا انفسهم محامين ومدافعين عن الله الذي هو «قادر على كل شيء» وعالم بكل شيء» الخليفة تدافع عن الخالق! ... يا للسخرية

قلت - انا والاب واحد. لان الاب خلطني على صورته ومثاله. وانا نسمة منه، لا اختلف عنه. اذا كان في اعتقادي جريمة فانا مرتكب هذه الجريمة. واذا كانت جرميتي ضد خالقي، فانا راض ان اقبل عقابي من يد خالقي. فما دخل البابا او البطريرك او الشيخ او اي رئيس ديني اخر في هذا الامر الذي ينحصر بيني وبين من اطلق نفسي من الابدية؟ اذا قالوا ان الله اقامهم محامين عنه، فاللهم اذن ليس قادرا على كل شيء. كما يدعون، لانه قاصر عن مجازاة كائن حقير مجهول مثلي جبلته يده. -

اذا كان في الدين من «هرطقة» فما يفعله روماء الدين «بدفاعهم» عن الله هو عين الهرطقة لانهم ينسبون الى الذات غير المحدودة اوصافا بشرية محدودة. ويحتكرون حق الدفاع عن الله وتسوية الخلاف بينه وبين هذا القسم الحقير من خليقته الذي يدعونه البشرية، فيجدون في ذلك متجرا رابحا. لو كان مقراط حيا واقتربت منه انا - الارقش - الانسان الصغير المجهول الذي له وجه كقطعة من الخشب نخرها السوس - وقلت له - يا مقراط! انا مثلك». ترى ماذا يفعل بي مقراط؟ هل كان يرفسني برجله او يبصق في وجهي

لو يحقد علي لاني ادعيت اني اما الله ؟

وها انا - هذا الارقش بعينه - اقول لخالق كل النجوم، المنظورة وغير المنظورة، وكل ما في المسكونة - لاحكم الحكماء واعدل القضاة - لملك الملوك ورب الارباب - «خالقي! لقد صنعتني على هورتك ومثالك. انت كالشمس وانا كشعاع من الشمس، لا انفصل عنك. فانا واياك واحد» فيصبح البشر ويصبح روماء البشر - «هذا تجديف على اسمه عز وجل. فلبسوا تقتل من جدف» والله الذي يجاهدون من اجل اسمه ينظر من بين ستائر الكون الاعلى شاققا على المضطهد والمضطهدين. وحافظو سجل الحياة والموت يخطون سطرا جديدا في سجلهم الذي لا يفتنى.

لو اقر البشر بان الله اقدر منهم واعدل منهم واحكم منهم، لما حاولوا ان يدافعوا عن قوته وحكمته وعدله وعظمته بقتلهم واضطهادهم بعضهم بعضا.

(السبت)

من يوم عرفت البشر حتى اليوم لم ارَ وجه بشري ارتسم عليه اليأس المطلق كوجه ش. في هذا الصباح.

دخل، وكا نه يحمل على وجهه خيرا فظلع فادحة حلت بالعالم. كان الشمس لم تعد تضيء. والقمر والنجوم اختفت من الوجود. والسماء هبطت على الارض. واللجة ابتلعت اليابسة والهواء انقطعت انقاصه من كل اقطار المسكونة ومياه الارض اصبحت مألحة او تحولت الى دم والجنس البشري انقرض فلم يبق سواه. وكل ذلك لماذا؟ - لان البنك الذي يحفظ فيه امواله قد افلس فخرس ثلاثة الاف ريال...

«ثلاثة الاف ريال يا ارقش. ثلاثة الاف ريال. خمس عشرة سنة صرفتها اركض الليل قبل النهار. وبلحظة عين راحت... واخرابك يا بيتي. واخرابك يا بيتي. ولولكم يا اولادي... برقبتي عيله. وكلهم صغار. من ابن اطعمهم واسقيهم؟ خرب الله بيوت الذين خربوا لي بيتي. ليجعل الذهب في ايديهم ترابا والخبز في افواههم حجارة والثياب على ابدانهم عقارب وحيات... ثلاثة الاف ريال يا ارقش. ثلاثة الاف. راحت كانها ما كانت. ريال بالمشة عوض - ليكن عوضهم الموت الاحمر ان شاء الله...»

كان يقول ذلك ويفرك يديه ويلطم وجهه بكفيه ويمزق ثيابه ويضرب الارض بالكمرسي من حوله وينتف الشعر على راسه وعيناه مغرورقتان بالدموع. ظننت ان قد فقد عقله وكبت اجزم بذلك عندما انطرح نحوي كما نه بهم بضربي ثم القى يديه على كفتي وهزني بعنف حتى ارتجفت كل اعصابي «ويحك تكلم. ويحك ادع معي على الذين كانوا سبب خراب بيتي خرب الله بيتك. ويحك قل شيئا... راحت القهوة راحت الفلوس، رحنا كلنا تحت حوافر الخيل. ويحك ثلاثة الاف. ثلاثة الاف ريال يا ارقش. خمس عشرة سنة عرقت دما من اجلها - راحت. راحت. راحت... ومعها العشر ريالات بالشهر. تحب ان تشتغل ببصروك فقط اهلا وسهلا. والا فتش لك عن شغل عند غيري...»

بعد ان فهمت سبب اليأس على وجهه وتاكنت ان الكون لا يزال يتابع دورته الابدية ضحكت في قلبي لان اول فكر طرأ له بعد ما حل به هو ان يقطع اجرتي الشهرية بارك الله له فيها فانا في غنى عن اموال البشر. وامفت على الخمس عشرة سنة التي صرفها هذا الرجل في جمع ثلاثة الاف ريال ولو



صرفها على درس نفسه لادرك - كما ادرك انا - كل حقارة المال وما يشتره المال.

ما زال الناس يشترون ويبيعون فيبقى عندهم معبود واحد وهو المال - ان لم يكن في هيئة الفضة والذهب ففي هيئة الحجارة والجلود والخشب. ومتى تخلص الناس من البيع والشراء تخلصوا من معبودهم المادي وحينئذ ربما حولوا ابصارهم الى المعبود الواحد الحقيقي فوجدوه في ذواتهم.

في البيع والشراء شقاء البشر
وفي الاخذ والعطاء مفتاح الخلاص

كما اشتغل انا «بالموئونة» هكذا يجب ان يشتغل كل الناس. اما الاطفال والعجزة فيجب ان يعيشوا بكداً اقوياء والمقتدرين حينئذ لا يبقى سيد وعبد ولا رئيس ومروءوس.

(الاحد)

رايت اليوم على شاطئ البحر فتاة جالسة على صخرة. فجلست على صخرة بعيداً عنها وتحدثنا -

مالتها - (في قلبي) ماذا تفعلين هنا ايها الفتاة؟

فاجابت - (ما كتة) الناس يستحمون بماء البحر وانا استحم باحزاني

فقلت - (في قلبي) وماذا احزنك ايها الفتاة؟

اجابت - (ما كتة) فتشت طويلاً عن فتى احبه فلم اجد. وكان قلبي طافحاً بالحب. فذوى الحب فيه وبس وانقلب الى مرارة. فقلبي الان واسع

كالبحر - لكن شواطئه من ملح وامواجه من علقم.

فصمت متخشعاً امام بحر المرارة

وسالت نفسي - «ما هو الحب؟» فلم اسمع جواباً.

وسالت قلبي - «هل تعرف الحب؟» - فظل قلبي صامتاً.

وقلبي - مع ذلك - ليس بحراً امواجه من علقم وشواطئه من ملح.

(الاثنين)

لي رفيق يشاطرني فراشي وطعامي. هو متوحده ساكت مثلي، منعزل عن ابناء جنسه كما اني منعزل عن ابناء جنسي. الفته والفني، واحبيته واجبني. لا يحفل بملاطفة الغير، ولا يأنس بسواي، ولا يقبل طعاماً من غير يدي. اذا رأيته اشتغل يجلس بعيداً عني ويرافق بعينه كل حركة من حركاتي. واذا رأيته جالساً انا مل يقترب مني على مهل ويدور حولي دورة بعد دورة رافعاً نظره الي بين الاونة والاخرى حتى اذا ما التقت عيناى بعينه ومصادف في نظري ارتياحاً يقفز الى حضني ويلتف هناك على نفسه ككعكة ماترا وجهه يديه ويأخذ بالخرخرة. وكأنه بذلك يشاء ان يذكرني بوجوده ويسألني ان لا اطرحه من فكري وان اخصص له قسماً من تأملاتي. اذا تغيبت عن المكان قليلاً اعود فاجده دائماً بانتظاري وراء الباب، فيهب نحوي ويقف في طريقي كأنه يطلب ان ارفعه واضمه الى صدري. فافعل ذلك وحينئذ يغمض عينيه مستسلماً للغبطة التي نالها.

فاجأته اليوم فوجدته جامداً في وسط الغرفة وفي فمه جرد من عمالقة

الجرذان وقد شد بانياه على عنقه فلم يرفع نظره الي بل بقي في مكانه بلا حراك كأنه سمر الى الارض وعيناه جاحظتان كأنهما من زجاج والجرذ بين انياه لا يزال حيا وقد التوى شبه قوس، وذنبه الطويل يلامس الارض ويداه ورجلاه تختبط في الهواء كأنها تبحث عن شيء تقبض عليه وبعد ان تكل تعود فهدأ قليلا فيتدلى جسم الجرذ على خط مستقيم من قم رفيقي الى الارض. وحينئذ يفتح عينيه، وقد كحلها الموت، فيبحث عن مفر بدون جدوى واذا لا يجده يعود فيطبق عينيه مستسلما للقضاء وتعود يده ورجلاه تختبط في الهواء. وفت اراقب رفيقي وفريسته وكاني اشاهد اول جريمة في التاريخ - قاين يفتك بيايل - وكأن شرايين قلبي اتصلت بيدي الجرذ ورجليه، اذا خف اختباطها او زاد خفت دقات قلبي وازدادت حتى اذا خرج آخر نحب من بين احشاء الجرذ ولمعت عينا رفيقي فتحرك واتجه ليتهم جريمته بين الصناديق وجدنتني كأن الهواء قد انقطع عني وبطلت حركة رثتي.

لما ملكت نفسي نظرت الى حيث الصناديق فرايت من كان منذ دقائق رفيقا لي خارجا من هناك يلحس شفتيه بلسانه ماحيا آخر آثار جنابه وماشيا نحوي بخطوات متناقلة كأنه يتردد في الاقتراب مني ولا يدري اذا كنت انظر اليه بعدما جرى نظري الى بطل او مجرم. اخيرا دنا مني واخذ يدور حولي كمادته دون ان يرفع نظره الي. وبعد ان دار طويلا ولم يلاق تطفنا وتوددا مني عاد الى ما بين الصناديق مكسور الخاطر، محتارا، وبقي هناك.

رفيقي ليس اول هر افترس جرذا، ولا ذاك الجرذ اول من بلي من ابنا جلده بانياه هر. فلماذا هزني موت الجرذ وامال قلبي عن رفيقي؟ او ليس ما فعله رفيقي «سنة الله في خلقه»؟

يخلق الغني الفقير بالف طريقة من الطرق التي يعرفها الغني، فيقول الناس - «هذه سنة الله في خلقه. الا يخلق الهر الفارة؟» ويبطش القوي بالضعيف فيحرمه الحياة وجمال الحياة فيقول الناس - «هذه سنة الله في خلقه. الا يبطش الهر بالفارة؟» ويسلب شعب قوي شعبا ضعيفا حرته فيقول الناس - «هذه سنة الله في خلقه. الا يسلب الهر الفارة حياتها؟»

فيا ليت شعري، كيف عرف الناس سبل الحكمة الالهية وهم لا يعرفون الله وكيف حددوا سنة الخالق في خلقه وهم لا يدركون الغاية التي وجدوا لاجلها على الارض. الا فرق بين الهر وبين «صورة الله ومثاله»؟

سنة الله لا يدركها سوى الله فعثا يستر الناس جرائمهم بمثال الهر والفارة.

(الجمعة)

ش. بيكي على دراهمه ولا يريد ان يتعزى لانها ليست بموجودة. لقد مر على فقدان امواله نحو الاسبوع وهو لا يزال يمشي كأنه خيال على وجه الارض. واذا اضطر ان يذكر هذا الحادث في كلامه يشير اليه مسيا اياه «المصيبة». وقد وضع اساسا جديدا لتاريخ العالم فهو يقسمه اليوم الى قسمين - ما حدث قبل «المصيبة» وما جرى بعدها. فاذا حدث عن امر جرى في صباه لا يقول - جرى ذلك وانا صبي في العاشرة من عمري او نحو ذلك بل «حدث ذلك قبل ان اصابتني تلك المصيبة بعشر سنين». او ذاك او هذا الامر جرى «بعد ما اصابتني تلك المصيبة بثلاثة ايام» الخ.

«مصائب» البشر تكثر وتقل بالنسبة الى قلة اختباراتهم الروحية او كثرتها. لان «مصائب» البشر وهم، والوهم لا يؤثر بالروح الغنية المستيقظة.



(السبت)

جرى اليوم عندنا خلاف نحوي بين اثنين من زبائننا يدعيان معرفة قواعد اللغة العربية بكل دقائقها وبحسبان ذلك من بعض الاسباب الكثيرة التي توهلهما للوجود وترفعهما عن «العامة». ونقطة الخلاف ما اذا كان «لوط» مصروفا ام ممنوعا من الصرف. وما هي الا دقيقة حتى تحول الجدل الى مشاجرة. فتطاييرت الكراسي والصحون والفناجين. فوثب من حارب ليفصل بين الخصمين فكان نصيبه ان هبط كرسي على راسه فتسابل قليلا كالسكران ووقع على الارض يخبث بالدم المتدفق من راسه.

لا اذكر ماذا جرى بعد ذلك لان منظر الدم افقدني حواسي. افقت على فراشي والسكينة تغمرني وتغمر المكان — حتى اليوم لم اشعر بحاجة الى رفيق. اما الان فكان السكينة تضغط علي من كل الجهات ورفيق وحدتي قد اختفى منذ الاثنين بعد قتله للجعد ولم يرجع. وحيدا لو يعود الان فانا مستعد ان اصفح عن كل ما آثمه.

من حارب في المستشفى ومانع لوط وصارفه في السجن، ولوط لا يزال لوطا «ثلاثيا معتل العين». المأمة كل المأمة ليس في ان سوريا يشج راس سوري من اجل «عين» لوط «المعتلة» بل في تعامي الناس في كل قطار المعمور عن الغاية الاصلية التي وجدت لاجلها اللغات البشرية.

العاقلون — وهم قليلون — يدركون ان ليس على وجه الارض لغة كاملة بتركيبها، كافية لتأدية كل انفعالات النفس وتوجات العواطف والافكار. اما الجاهلون — وهم كثيرون — فكلهم يدعي ان لغته هي الكمال بعينه. فهؤلاء

مغرون وغرارون.

القصد من كل لغة هو البيان — الافصاح عن فكر او حالة روحية او جسدية. والقصد من كل قاعدة لغوية هو رفع الالتباس والدقة في التعبير فكل قاعدة لا ترفع التباسا ولا تساعد على دقة التعبير هي سلسلة من حديد.

الناس ينسون ان اللغة هبة اعطيت لهم من الله. وانها كبقية الهبات الالهية قد اعطيت لهم لا لتدفن، لا لتقيد بما لا يلزم من القواعد والاصطلاحات فتبقى هي هي من جيل الى جيل، بل لتنمو وتتسع وتزداد جمالا بازديادها بساطة. فافهم اللغات واجملها ابسطها — وهي لغة الافكار التي لا تربطها قاعدة ولا يحصرها قانون. اما لغة الشفاء والالسة فلم يصعد البشر بواسطته الى لغة الافكار — فابعدهم عنها اكثرهم قواعد واقربهم من اسفل السلم واقربهم منها اقلهم قواعد وادقهم تعبيرا.

اللغة التي لا تتغير ولو قليلا من جيل الى جيل — لا بل من عام الى عام — كالشجرة التي امتصت كل ما في تربتها من الغذاء فوقف نموها وايسست حرارة الشمس بعض اغصانها. فاما يقطع ما يبس من الشجرة واما تقلع بجذورها ويغرس سواها او ان يضاف الى التربة سماد ومواد غذائية جديدة. ومتكلمو اللغة العربية قد بلغوا هذا الحد من نموهم. فاما ان يطرحوا ما عتق وما زاد في لغتهم، لان هذا العتيق والزائد يتصان قسما كبيرا من موادهم العقلية، واما ان تموت لغتهم ويموتوا معها. لكن القائمين على حراسة الشجرة كثيرون والقائلون بقطع ما يبس من فروعها قليلون. وهذا شأن البشر في كل اعمالهم. يموت رئيس العائلة فيحفظ ابناؤه حذاه وما بقي بعده من امتعة قديمة ذكرا. ويبس في

بستان احدهم شجرة فلا يقطعها لان جده كان يقبل تحتها فكيف برضى ابنا
اللغة العربية ان يحرموا «كان» من خبرها المنصوب و«ان» من اسمها
المنصوب والباء من مجرورها و«لم» من مجزومها! ام كيف يجودون على
«سليمان» بضمين وعلى «النسوة الصالحات» بفتحين واجنادهم قد حرّموا
ذلك! او ليست هذه القواعد من اقدم التذكارات التي ورثوها عنهم?
ويل للشعب الذي لا يتغير ولا تتغير لغته في عالم سره التغير! كبركة ما
لا منفذ للماء فيها تملؤها الرياح والسيول اقلارا وتكثر فيها الحشرات فتنتشر
منها روائح متنته، يمكننا يقذف الزمان الذي لا يستقر اقداره الى قلب هذا
الشعب الجامد فتكثر حشرات وتنتشر منه روائح الانحلال.

(الاثنين)

ترددت طويلا قبل ان عزمت على زيارة منحارب والتردد ضعف يتج
عن خوف التندم في المستقبل خفت من ان اضطر الى الكلام والكلام في
فمي مر. لكن منحارب قد سهل الامر علي فرفض مقابلتي.
لما دخلت غرفته في المستشفى وجدته في سريره يطالع جريدة وراسه
ملفوف بقماش ابيض والى جانبه طاولة عليها عقاقير وادوات مختلفة فوقفت
في الباب محتارا لا ادري ماذا اقول ولساني ياتي ان يطعني لا طرح عليه
السلام فبقيت صامتا واقربت منه لانظر في عينيه واربه ما في عيني من
العيل والشفقة عليه وشعرت بنافع يدفعني لمد يدي الى يده فخركت يدي
من تلقاء ذاتها كأنها مستقلة عن بقية اعضائي. لكن منحارب اوقفها لما نظر
الي باشمزله وبغض وادار وجهه عني ثم ضغط زر الجرس الكهربائي فانت

للحال المعرّضة فقال لها دون ان يدبر وجهه الي «او اليها» - «خذي هذا الرجل
من هنا» - فخرجت حائرا ولا ازال في حيرة. هل خجل من لباسي او من وجهي
ام اشتد عليه الوجع فلم يشأ مقابلة احد من الناس?
ليفعل بي منحارب مهما شاء ليفتكر بي مهما شاء، اما انا فقد انزلك محلا
في افكاري لا يشغله سواه لانه قريب مني - فكلانا سر مكتوم عن الناس.

(الثلاثاء)

قوات ما كبتته البارحة فخبّلت من نفسي لاني كذبت على نفسي. لا
شك اني اشفق على منحارب واميل اليه. لكنني لم اذهب لعيادته مدفوعا بعامل
الشفقة فقط بل احببت كذلك ان استطلع شيئا عن امره - ان اعرف من هو
ومن اين. وادركت اني كذبت بعد ان فكرت بالامر طويلا فاهتديت الى
الحقيقة.

يجب ان اكفر عن ذنبي امام نفسي بان لا اكذب مرة ثانية.

(السبت)

لا ادري ماذا طرأ علي. اكاد لا اعرف نفسي. من يوم زرت منحارب
لا ازال امال ذاتي - «من انا؟» - كيفما اقبلت ارى هذا السوءال امام
عيني. اطرده من جانب فيعود الي من جانب اخر. تضعفت افكاري واصبح
التأمل ضربا من المحال. هوذا اليوم الرابع وانا كلما حاولت ان اجمع
افكاري اسمع صوتا يرن في داخلي - «من انا؟»
فمن انا؟ انا - انا. ما اعرفه عن نفسي في هذه اللحظة هو كل ما احتاج



الى معرفته. الارقش الذي كان من عشرين عاما والارقش الذي كان من عشرين جيلا والارقش الذي كان من الف جيل قد اجتمعوا في ارقش هذه اللحظة من الزمان. وانا اعرف ارقش هذه اللحظة. فصوت من يسألني - من انا؟ - ذلك ليس صوت الارقش الذي يخدم في قهوة سورية في نيويورك ويعيش ما كنا متاملا لان هذا الارقش يعرف نفسه. لكن «ارقش» اخر يسال نفسه «من انا؟» اذن انا ارقشان لا ارقش فقط. واحد قد انسحب من حلقة البشر والتحف بالسكوت ليرى ما في العالم الاعلى ويسير مع العالم الاعلى. والاخر انحجب عن البشر بستار من الاسرار البشرية وهو يحاول تمزيقها ليعود الى حظيرة البشر. فهو من العالم الادنى ويتوق الى العالم الادنى كأن بينه وبين هذا العالم حسابات قديمة يشاء تصفيتها.

لذلك قد نشبت في داخلي حرب لم اشعر بشئها من قبل. عوامل تكاد تطلق لساني من عقالة وتميل كل افكاري الى الارض واوصاب الارض. وعوامل ترفعني الى حياة الفكر المطلق. وانا بينها ارقش يعرف نفسه وارقش يجهلها، لذلك يسال «من انا؟» . وكأن هذا الارقش الثاني قد افاق من سبات عميق فوجد نفسه في محيط غريب فاحب ان يعود الى محيطه الاصلي لكنه لا يعرف من اين يعود لانه قد نسي من اين جاء. ولهذا يلح في سوءه «من انا؟» هذا الارقش هو الذي زار سنحاريب ليستطلع اسراره وهو الذي كذب. اما الارقش الاول فقد ذهب مدفوعا بعامل الحنو والشفقة. لكنه شارك الارقش الثاني في الكذب كما ان آدم ليس بريئا من الخطيئة الجديدة.

الحرب لا تزال سجالا. فاي الارقشين ترى يتغلب على الآخر؟

(الاحد)

تحدث اليوم بعضي المجهول وبعضي المعلوم. فقال بعضي المجهول بعضي المعلوم -

- من انت؟

فاجابه بعضي المعلوم

- انا لا شيء - وكل شيء..

فقال بعضي المجهول -

- ومن اين والى اين؟

فاجاب بعضي المعلوم -

- من لا شيء - الى كل شيء..

فصمت بعضي المجهول حائرا مستغفها. ثم عاد فقال -

- ومن انا؟

فلم يحرز سوى السكوت العميق. لذلك امتعض غيظا واعاد سوءه بحدة -

- قل لي من انا فانت تعرف اسراري وانا اجهلها.

فبقي بعضي المعلوم معتصما بالصمت.

حينئذ اعاد بعضي المجهول الكرة بحدة اشد من الاولى وقال مهددا -

- قل لي من انا او فاطلق سراحي وحل لساني من عقالة فقد مللت السكوت.

فتألم بعضي المعلوم وانقبض ثم نطق بحزن ومرارة -

- ليكون لك ما تشاء..

وبكى.

على الطريق

لماذا وقفت بخوف وحيرة،
يا نفس، عند الطريق العسيرة؟
الا امشي، فان الحياة قصيرة،
الا امشي!

مقر الاله بعيد، فيري
لكي تدركي الله قبل النشور
فجدي ولا تسالي عن مصيري
بمشي.

علام التفاتك نحو الطلول؟
اشاقك تذكار ماض يحول
فملت الى العود قبل الوصول؟
الا امشي!

كفاك من الماضيات الشباب -
رياض امان مقامها السراب
فقولي - «وداعا» لماذا العتاب؟
لنمش!

لماذا العتاب على ما انقضى؟
انرجع بالعتب عمرا مضى!
شقيننا ولكن شغانا الرضى.
الا امشي!

شقيننا بحمل صليب الزمان
ولكن غلبنا الشقا بالاماني
ومن ذي وذاك نظننا الاغاني
الا امشي!

انفسي، بربك خلي السامة
وهبي لنسبق تلك الغمامة
وصلي بدمع وبعض ابتسامة
فتمشي.

الا امشي! وبعد الجهاد الحقيقي
سنسبق امالنا في الطريق
ونجني الاشعة قبل الشروق
الا امشي!



البنفسجة الطموحة

لمبران خليل جبران

كانت في حديقة منفردة بنفسجة جميلة الشايات، طيبة العرف تعيش مقتنعة بين اترابها وتمايل فرحة بين قامات الأعشاب.

ففي صباح، وقد تكلفت بقطر الندى، رفعت رأسها ونظرت حوالها فرات وردة تتناول نحو العلا بقامة هيفاء ورأس يتسامى متشامخا كأنه شلة من النار فوق مسرجة من الزمرد.

فتحت البنفسجة ثغرها الازرق وقالت متنهدة - «ما اقل حظي بين الراحين، وما اوضع مقامي بين الازهار. فقد ابتدعتني الطبيعة صغيرة، حقيرة اعيش ملتصقة باديم الارض ولا استطيع ان ارفع قامتي نحو ازرقاق السماء او احول وجهي نحو الشمس مثلما تفعل الورود»

وسمعت الوردة ما قالته جارتها البنفسجة فاهترزت ضاحكة ثم قالت - «ما اغباك بين الازهار، فانت في نعمة تجهلين قيمتها. فقد وهبتك الطبيعة من الطيب والظرف والجمال ما لم تهبه لكثير من الراحين. فخلر عنك هذه الميول العوجاء والاماني الشريرة وكوني قنوعة بما قسم لك واعلمي ان من خفض جناحه يرفع قدره، وان من طلب المزيد وقع في النقصان»

فاجابت البنفسجة قائلة

- انت تعزني ابتها الوردة، لانك حاصلة على ما اتناه، وتغمرين حقارتي بالحكم، لانك عظيمة. وما امر مواعظ السعداء في قلوب التمساء. وما اقسى القوي اذا وقف خطيبا بين الضعفاء!»

وسمعت الطبيعة ما دار بين الوردة والبنفسجة فاهترزت مستغربة ثم رفعت صوتها قائلة

- «ماذا جرى لك يا ابنتي البنفسجة؟ فقد عرفتك لطيفة بتواضعك عذبة بصغرك، شريفة بمسكتك، فهل استوهنتك المطاعم القبيحة، ام سلبت عقلك العظمة الفارغة؟»

فاجابت البنفسجة بصوت ملوّه التوسل والاستعطاف

- «ابتها الام العظيمة بجبروتها، الهائلة بحنانها، اضرع اليك بكل ما في قلبي من التوسل، وما في روحي من الرجاء ان تجيبي طلبي وتجعليني وردة ولو يوما واحدا»

فقالت الطبيعة - «انت لا تدرين ما تطلبين ولا تعلمين ما وراء العظمة الظاهرة من البلايا الخفية فاذا رفعت قامتك وابدلت صورتك وجعلتك وردة تندمين حين لا ينفع الندم»

فقالت البنفسجة - «حوالي كياني البنفسجي الى وردة مدينة القامة، مروعة الرأس. ومهما يحل بي بعد ذلك يكن صنع رغائبي ومطامعي»
فقالت الطبيعة - «لقد اجبت طلبك ابتها البنفسجة الجاهلة المتمردة ولكن اذا داهمتك المصائب والمصاعب فلتكن شكواك من نفسك»

ومدت الطبيعة اصابعها الخفية السحرية ولمست عروق البنفسجة فتحولت بلحظة الى وردة زاهية متعالية فوق الازهار والراحين.

ولما جاء عصر ذلك النهار تلبد الفضاء بغيوم سوداء مبطنة بالاعصار ثم هاجت سواكن الوجود فابرقت وارعدت واخذت تحارب تلك الحدائق الانصاب واقتلت الازهار المتشامخة ولم تبق الا على الرياحين الصغيرة التي تلتصق بالارض او تختبئ بين الصخور.

اما تلك الحديقة المنفردة فقد قاست من هياج العناصر ما لم تقاسه حديقة اخرى.

فلم تمر العاصفة وتنقش الغيوم حتى اصبحت ازهارها هباء منثورا ولم يسلم منها بعد تلك المعمعة الهوجاء سوى طائفة البنفسج المختبئة بجدران الحديقة. ورفعت احدى صبايا البنفسج رأسها فرات ما حل بازهار الحديقة واشجارها قابست فرحا ثم نادى رفيقاتها قائلة

— «الا فانظرون ما فعلته العاصفة بالرياحين المتشامخة تيبا واعجابا»

وقالت بنفسجة اخرى — «نحن نلتصق بالتراب، ولكننا نسلم من غضب العواصف والانواء»

وقالت بنفسجة ثالثة — «نحن حقيرات الاجسام غير ان الزواجر لا تستطيع التغلب علينا»

ونظرت اذ ذاك مليكة طائفة البنفسج فرات على مقربة منها الوردة التي كانت بالامس بنفسجة وقد اقتلعتها العاصفة وبعثت اوراقها الرياح والقها على الاعشاب البلية فباتت كقتيل ارداه العدو بهم.

فرفعت مليكة البنفسج قامتها ومدت اوراقها ونادت رفيقاتها قائلة — «تأملن وانظرن يا بناتي انظرن الى البنفسجة التي غرتها المطامع فتحولت الى

وردة لتشامخ ساعة ثم هبطت الى الحضيض. ليكون هذا المشهد امثولة لكن» عندئذ ارتعشت الوردة المحتضرة واستجمعت قواها الخائرة وبصوت يتقطع قالت

— «الا فاسمعن ايها الجاهلات المقتنعات، الخائفات من العواصف والاعصار. لقد كنت بالامس مثلكن اجلس بين اوراق الخضر مكثية بما قسم لي، وقد كان الاكتفاء حاجزا منيعا يفصلني عن زواجر الحياة واهوائها ويجعل كياني محدودا بما فيه السلامة، متناهيا بما يساوره من الراحة والطمانينة. ولقد كان بامكاني ان اعيش نظير كن ملتصقة بالتراب حتى يغمرني الشتاء بثلوجه واذهب كمن ذهب قبلي الى سكين الموت والعدم قبل ان اعرف من اسرار الوجود ومخباته غير ما عرفته طائفة البنفسج منذ وجد البنفسج على سطح الارض. لقد كان بامكاني الانصراف عن المطامع والزهد في الامور التي تعلو طبيعتها عن طبيعتي. ولكن اصغيت في سكين الليل فسمعت العالم الاعلى يقول لهذا العالم «انما القصد من الوجود الطوبى الى ما وراء الوجود» فتمردت نفسي على نفسي وهام وجداني بمقام يعلو عن وجداني. وما زلت اتمرد على ذاتي واشوق الى ما ليس لي حتى انقلب تمردي الى قوة فعالة واستحال شوقي الى ارادة مبدعة فطلبت الى الطبيعة — وما الطبيعة سوى مظاهر خارجية لاحلامنا الخفية — ان تحولني الي ورده ففعلت، وطالما غيرت الطبيعة صورها ورسومها باصابع الميل والتشويق وسكنت الوردة هنية ثم زادت بلهجة مفعمة بالفخر والتفوق.

— اي لقد عشت ساعة كوردة. لقد عشت ساعة كملكة. لقد نظرت الى الكون من وراء عيون الورود. وسمعت همس الاثير باذان الورود. ولمست



ثنايا النور بأوراق الورود. فهل يئس من تستطيع ان تدعي شرفي؟
ثم لوت عنقها، وبصوت يكاد ان يكون لهاثا قالت

— «انا اموت الان. اموت وفي نفسي ما لم تكنه نفس بنفسجة من قبلي.
اموت وانا عالمة بما وراء المحيط المحدود الذي ولدت فيه. وهذا هو القصد
من الحياة. هذا هو انجوهر الكائن وراء عرضيات الايام والليالي»

واطبقت الوردة اوراقها وارتعشت قليلا ثم ماتت وعلى وجهها ابتسامة
علوية — ابتسامة من حققت الحياة امانيه — ابتسامة النصر والتغلب —
ابتسامة الله.

الضوء البعيد

لرشيد ايوب

لبست شمس الوشاحا آه ما احلى المنيب
نام قلبي واستراحا وقضى ذلك الغريب
في الانام

فاحفروا قبوري بجانب خيمتي عند الكروم
حيثما كنت اراقب في دجى الليل النجوم
لا انام

واخبروا نايي وكوبي ثم لا تنسوا الجراب
رفقائي في كروبي انني تحت التراب
لا اضم

دقة الناقوس عندي كل انغام الطرب
قأضربوه عند لحيدي يوم تفرج الكرب
بالحمام

لك يا نفسي حياة بعدما بقي العصا
فالاماني جانعات عليلها بالحصي
لتنام

هي تذكارات شاعر عاش في الدنيا شريد
ومضى في الامر حائر يقصد الضوء البعيد
في الظلام

البثرون * سنة ٢٥٢٠ م

لوليم كاتسغليس

شهر ايار او نوار كما يسميه العامة في سوريا هو اجمل اشهر السنة واكثرها رونقا وزهاء في كل اقطار العالم وبنوع خاص في سوريا حيث تظهر الطبيعة باهى رداءها واصفى سماء واعذب هواً اذ ينتشر عبر الازهار مالئا الفضاء عطراً والعين سرورا والصدر انشراحاً هناك يعانق الشاطئ الاخضر البحر الازرق كما يعانق الحبيب الحبيبة وكانى به يفاخر سائر الشواطى والمدائن بجمال حبيبه قائلاً: «من له مثل هذا البحر الفتان».

هناك - بين تلك الهضاب والرياض - بين اريج الياسمين والمنتور وبخار المياه اذ تلطم الصخور فتصاعد في الفضاء كاللؤلؤ المنتور، هناك عند اقدام الجبال المزينة باشجار الشربين والارز في شهر ايار من سنة ٢٥٢٠ كنت ترى الجماهير من الناس قد ملأت الطرقات والفضاء كلها متجهة نحو بناية هائلة في جوار البثرون من القوم من جاء من مصر وفلسطين ودمشق ومنهم من العراق وحلب وحماه وحمص وطرابلس وغيرها من مدائن سوريا في المناطق السريعة التي تمر في الجو مر البرق وفي النقلات العمومية المرتفعة عن الارض نحو مائتي ذراع التي تسير على دولااب واحد فوق شريط من الفولاذ بسرعة المناطق تقريبا ومنهم وهم الفقراء من جاءوا من الامياكن القريبة في سيارات عظيمة الحجم هي من طراز النقلات القديمة العهد.

قلت ان هذه الجماهير كانت متجهة نحو بناية عظيمة في جوار البثرون

لوليم كاتسغليس

ذلك لسماع محاضرة الاستاذ محمد جمال العلم الزهاوي. فالمحاضرات العمومية التي تقام على نفقة حكومة العالم المتحد تجري في تلك البناية في شهر ايار وفي دمشق في شهر آب وفي القاهرة في كانون الثاني. هذا لابناء اللغة العربية الخالصة.

اما البناية التي مر ذكرها فهي كناية عن قاعة مستديرة مساحة دائرتها لاتنقص عن الميل. مقاعدها مرتفع احدها عن الاخر بحيث يرى الجالس في ارفع المقاعد ما يراه في اوطاها. جذرائها من زجاج وسقفها من الالومنيوم ومنصة الخطابة او المنبر في صدرها. على ان بناها محكم هندسيا بنوع ان يسمع الصوت في اقصى المقاعد عن المتكلم بجلاء ووضوح كما يسمع في اقربها اليه وهذا فوز كبير للمهندسة الحديثة في البناء وتحسين شروط السماع او الاكوستيك.

الاستاذ محمد جمال العلم الزهاوي هو من صنف المرشدين اذ لا يخفى ان جماعة العلماء العمال ممن نالوا اكثرية الاصوات لاجتهادهم وتفوقهم يقسمون الى ثلاثة اصناف او اقسام: المجريون وهم الذين يعملون في البحث والتنقيب والاختبار والاكتشاف والاستنباط.

والمصنفون وهم الذين يؤلفون الكتب وينشئون المقالات فينشرون بين الورى نتائج الاعمال.

والمرشدون وهم الذين يخصصون قسما من اوقاتهم للخطابة والمحاضرات. وكان الاستاذ محمد من هؤلاء وقد اشتهر بين المتكلمين بالعربية بالفصاحة مع توفد الذهن وملاحة الاسلوب فضلا عن وافر علمه وسعة معارفه.

فلما احتشد الناس في القاعة وامتلات المقاعد والقوم بين حديث وضحك

ولعب وهرج ومرج اذ ظهر نور احمر في وسط القاعة من جهة السقف وكان هذا النور لوحا كبيرا ظهرت عليه كتابة بالكهربائية ما كتبها : «فتحت الجلسة فمابكم بالسكون والسكوت» .

وما كادت تظهر هذه الكتابة حتى عم السكون فكان القاعة خاوية خالية لا يسمع فيها سوى نبضات قلوب الالوف المجتمعة من رجال ونساء . اذ ذاك انتصبت رئيسة الجامعة القحطانية المرشدة استير ليفي وقالت : «سادتي !

ان الوقت المخصص لهذا الاجتماع ساعتان كما تعلمون فالبرنامج هو هذا : موسيقى آلية ثلاث دقائق . ثم نشيد جوق الجامعة للفتيات . ثم محاضرة الاستاذ المرشد محمد جمال العلم وموضوعها «الجيل العشرون» يتلو ذلك نشيد جوق الجامعة النابلسية للفتيان وتختتم الجلسة بقرار مستشار المعارف الاديب مخائيل البناء عن اهم اعمال الحول . اشكركم» .

فلما جلست الرئيسة ظهر على المنصة الالاتيون فلبوا نغما لطيفا قصيرا كي لا يمل الناس . ثم عدد من الفتيات فانشدن نشيدا متقنا مطربا وهي قصيدة قديمة جدا لشاعر عاش في الجيل العشرين كان يسكن القارة الاميركية وينظم في العريسة ومن الغريب ان شعره راق رقيق خال من الحشو المبطل بالرغم من وجوده في ذلك الجيل المظلم المتوحش . ثم انتصبت الاستاذة محمد واليكم خطابه قال :

«سادتي !

كنت اطالع من عهد قريب مجموعة خطب ومحاضرات لانس مختلفين في الجيل العشرين وقد استلقت نظري في اكثرها ان الخطباء في ذلك الجيل كانوا يخصصون ثلث كلامهم لاطراء الحضور بالمبالغة السخيفة واطراء انفسهم

بذكر عجزهم وقصورهم وهو اسلوب مبتذل لالقات الانظار الى مقدرتهم والثلث الثاني لحشو الكلام الرنان المصفوف صفا . والمركب تركيبيا . مبنى دون معنى . ما يثبت انهم كانوا يرتاحون الى هذا النوع من الثثرة التي لا فائدة منها والتي لا تدل الا على شيء واحد وهو عناية الكاتب او الخطيب بالتفتيش عن الكلمات والجميل التي تروق له وجمعها مترادفة سواء كانت لازمة او لم تكن والثلث الاخر لموضوع المحاضرة او الخطاب .

لا اخالني يا سادة راجعا بكم الى تلك العصور المتاخرة . اما اطراؤكم كم فلا حاجة لي اليه لانكم ادرى بانفسكم مني وقد تكونون الى الانتقاد احوج منكم الى المديح . واما الاقرار بعجزني فاخشى ان يحمل محمل الكذب اذ لولا اهليتي لما كنت حيث انا بالتصويت الشعبي والانتخاب .

وهنا تبدو لي ملاحظة اخرى غير مختصة بخطباتهم فهي تشمل ايضا كتابهم وشعراءهم الا النذر القليل من السابقين المولدين وهو التشابه العظيم في اقوالهم حتى ان اكثرهم كان يردد عبارات وجملا واحدة وينهج الاسلوب عينه الذي ينهج سواه وهذا يدل على امرين : اما ان المواصفات لم تكن موجودة البتة فلم يدر احدهم بما كتب الاخر وهذا مردود تاريخيا ومنطيقيا اذ لا يعقل تكرار توارد الخواطر حتى في اللفظ . واما انهم كانوا راسخين في قيود التقليد العقيم والسرقة الادبية وهذا الاصح . وقد قال الاستاذ المجرب حسين النافعي في كتابه الجليل : «تأثير الاديان في العصور المظلمة» . ما معناه :

«اما كون ابناء اللغة العربية اكثر استسلاما للتقليد من معاصريهم فلا سبب كثيرة . اهمها تأثير الاديان عليهم فالاديان كما كانوا يفهمونها في تلك الايام المحزنة كانت شديدة التحفظ بحرفية تعاليمها لا ترتاح الى البحث

وتحرم الجدل . علوة الاستقلال وحرية العقول . وقد رسمت تعاليمها المشوهة بالتفسير والتأويل في قلوب الشرقيين ونفوسهم رسوخ المرض العضال في الجسم النحيل انما الفرق بينهم وبين المريض هو ان المريض يكره علته ويسعى للتخلص منها اما هم فكانوا شديدي التمسك بعلمهم يتعصبون لها ويناضلون من رام مداواتهم وبراءهم منها . ولذلك ولما كانت اديانهم مقلدة ومحافظة نشأوا على التقليد والخوف من كل جديد وان كان فيه التقدم والاصلاح .

ومن الاسباب ايضا ذلهم وعدم معرفتهم الحياة الحرة المنطلقة من القيود كما يعرفها العالم اليوم فبينما كانت الامم من حولهم نائلة بعض الاستقلال يومئذ كانوا هم مستعبدين لسواهم وقد الفوا تلك الحالة فقتلت فيهم العبودية قوة التوليد والاستنباط . اضيف الى ذلك الجهل فقد كانوا ، الا الافراد ، قليلي البضاعة العلمية يجهلون لغات المعاصرين وآدابهم مما ضيق عليهم المسالك اهـ . هذه جملة من هذا الكتاب النفيس واني انصح لكم ان تقرأوه اذا سمح لكم الوقت لانه كبير الفائدة ثمين البحث في عوامل النفس وثوران العواطف اذا هي ضلت السبيل وتمردت على ارشاد العقل .

من الغريب ان الناس في تلك العصور كانوا يتوهمون انهم بلغوا شأوا كبيرا من التمدن والرفي مع ان اثارهم تدل على انحطاط وتأخر . اجل انهم وضعوا اساسات الاختراعات والاكتشافات التي حسنها من جاء . بعدهم حتى وصلت الى الدرجة التي تتمتعون اليوم بشمارها . وان بعضهم كانوا قد بدأوا يدركون الحقائق الكبرى ولكن هؤلاء هم الافراد القلائل اما الاكثرية الغالبة فكانت تهزأ بهم وبتعاليمهم وكثيرا ما كانت تضطهدهم .

من ذلك ان المذاهب الفلسفية التي تعرف اليوم باسمائها القديمة كانت تدعى عندهم اديانا اي انهم كانوا يعتبرونها شرائع منزلة من السماء يجب عليهم اتباعها بالحرف والمناظرة عنها ومحاولة اقناع الآخرين بصحتها . واكراههم على اعتناقها اذا نسى لهم ذلك . فكان اتباع المسيح وهم الاكثرية ولهم الصولة والحول كثيرا ما يضطهدون المتهذهين بمذهب موسى او اليهود وفي بلادنا الشرقية كان المسلمون يحتقرون النصارى وينبذونهم واحيانا يفتكون بهم وهم ابناؤ جنس واحد وبلاد واحدة ولغة واحدة لغير سبب الا الاختلاف في المذهب الفلسفي . ولم تك «الوطنية» ، تلك الافة التي سفكت باسمها دماء كثيرة ، اقوى من العاطفة الدينية الا في بعض الدول التي كانت تدعي التفوق وتفاخر بكونها جعلت الوطنية فوق الدين .

اواه ! يا سادتي . كم كانت الانسانية تشقى في تلك الايام السوداء وما اسعدنا لوجودنا في عصر اصبحت فيه تلك العقائد البربرية اثارا تاريخية بدلا من ان تكون آفات حقيقية تحرمنا السعادة وتورثنا الشقاء والبلاء .

قلت ان بعض الدول التي كانت تدعي التفوق وضعت الوطنية فوق الدين اي انها هربت من الدلف الى تحت المزاب . فبدلا من ان تنحر باسم الدين صارت تنحر باسم الوطنية بطريقة اعم . وليس هذا فقط بل تبرر عملها وتقده باسم الوطن . كلمة كان معناها ملتبسا على الناس يا ولونها كما تشاء اغراضهم او ميولهم البربرية . فكان ضمير الانسانية كان ماثلا او متخديرا . او كأن شيطان العالم لما فرغت يده من سلاح الدين اخترع سلاح الوطنية لتظل الانسانية راسفة في قيوده تحت قدميه .

في الجيل العشرين ظهر في البلاد الروسية مذهب البلشفة الذي هو اقرب



الى الاخاء العمومي الذي يتمتع العالم به الان من كل مذهب تقدمه. ولكنه لم يلبث طويلا حتى مات. ذلك لانه اخطأ استعمال الوسائل. فامتطى سيف الظلم لآبادة الظلم. وفي قبضة السيف عدوى تسربت الى جسمه فنخرت عظمه واخطا ايضا بالتسرع اذ حاول ان يهدم في عام ما بناه العالم في مليون عام فكان نصيبه مثل نصيب اسلافه الكوميونسم والسان سيمونسم النخ. على انه لم يندثر تماما اذ ترك اثارا في عقول المفكرين الذين فحصوه وعرفوا مواضع الضعف فيه فبنوها واقتبسوا منه ما كان مفيدا ومطابقا لحاجات الانسانية فصارت العقول تتمخض به جيلا بعد جيل حتى ولدته كاملا.

اتدرون يا سادتي ان الشعوب القاصرة في ايامنا هذه التي هي تحت وصاية اخوانها ممن هم ادرى منها هي بالحقيقة ارقى مما كانت امم الجيل العشرين جميعها؟ قد تستغربون هذا القول ولكنه حقيقة راحنة فشعوب اواسط افريقيا مثلا لم تصل الى ما وصلنا اليه من المعارف والتسلط على العناصر ولكنها راغبة في الاستفادة ساعية للتعليم راضية بوصايتنا مخلدة الى السكون والمحافظة على الشرائع العمومية. بينما في الجيل العشرين وفي بلادنا هذه عينها ثارت ثائرات القوم وهدرت الدماء لانتداب فرنسا الوصاية عليهم مع ان فرنسا كانت ارقى امم تلك العصور وما ذلك الا لان اغلب سكان سوريا كانوا من المحمديين فرغبوا عن فرنسا لا لذنوب ارتكبتها او لقصور اظهرته بل لانها على غير مذهبهم الفلسفي الذي كانوا يسمونه ديننا كما ذكرت لكم سابقا.

تلك كانت حالتهم في اديانهم. جهل مطبق يقوده علم فاسد. فعامية الناس كانت جاهلة كنه الدين وزعماء الدين من كهان وشيوخ كانوا يضرمون فيهم

عاطفة التعصب لمناهبهم والبغضاء لمن كان خارجا عنها ليظلوا في زعامتهم راتعين. وفي رقاب العامة مالكيين. فلو تركوهم وشأنهم لاهتدوا الى السبيل وادركوا سريعا كما ادرك من خلفهم على الارض ان الدين هو الاخلاق والاعمال فان تساوت في الناس بالرفقي كانوا من دين واحد ومذهب واحد وما دون ذلك باطل والباطل عدو الخالق وآفة المخلوق.

قلت ان ذلك الجيل الذي نسميه مظلم لم يخل من بعض المحاسن. فقد شهد تقدم الكهرباء. تقدما يذكر وان كانوا لم يتوصلوا الى الانتفاع منها كما هي الحالة الان. وشهد ايضا مولد المنطاد. واختراع المواد الانفجارية التي كانوا لبربرتهم يستعملونها في الحروب للقتل والتدمير فاصبحنا وقد حسناها نستعملها كقوة محركة اوجدت العجائب. وفي ذلك العصر بدأ العلماء والجراحون يدركون فوائد التطعيم البشري ونقل الدم والغدد ولكنه ظل طفلا في المهد حتى جاء الجيل الذي بعده فتقدم ولم يبلغ تمام نفعه الا في الجيل الثاني والعشرين. وحسنوا قليلا في الاشعة الخارقة التي كانوا يسمونها اشعة رتجن نسبة الى مكتشفها. واخترعوا الغواصات ولكنهم لم يتوصلوا الى استخراج الراديوم من الهواء وحصر قوته الهائلة فكل هذه الاختراعات والاكتشافات كانت لا تزال في المهد لم يجنوا كل فوائدها. فكانت الامراض منتشرة انتشارا كبيرا والناس يموتون بالاجوع والالام بدلا من ان ينظفوا يهدو وبلا الم كما هي الحالة الان بفضل الاشعة الخارقة التي صرنا بواسطتها نستطيع ان نرى ما في داخل الجسم كما نرى ما في خارجه. والاشعة البنفسجية والاشعة الزرقاء واستخدام الراديوم للتطعيم بالغدد الحية التي تصلح

ما فقد من دم الانسان وتجدد فيه مادة الحياة وغير ذلك من الامور التي يطول شرحها .

وهناك سبب اخر لكثرة اوجاعهم وقتلها بيننا وهو انهم كانوا يفرطون في الاكل والشرب فيحملون دماءهم سبوما من المأكولات التي لم تقو معدهم على هضمها كلها ومن المشروبات الروحية السامة . بينما نحن الان نكتفي بالاشياء المغذية السريعة الهضم كالخضر والفواكه والالبان ونشرب علاوة على الماء الاكبر الذي هو عصير الفواكه لا تزيد فيه كمية الكحول عن الاثنين في المائة . ولا ناكل اللحوم كما كانوا يفعلون ففي بعض الخضر كالعدس والفاصولياء وفي اللبن والجبن ما يغني عن المادة الغذائية في اللحوم وعن سبومها ايضا . فبينما كان معدل التعمير في عصرهم من الخمسين الى السبعين وكان عدد الذين يموتون قبل الاربعين يعادل الثلث نرى اليوم ان معدل التعمير اصبح فوق المائة وان الذين يموتون قبل السبعين لا يعدلون واحدا من مائة واكثرهم يموتون من حوادث طارئة غير منتظرة .

انظروا الى البعد الشاسع بيننا وبينهم . انظروا الى البناء الفخم الذي شيدناه على الاساس الضعيف الذي تركوه لنا . انظروا كيف اتنا نستخدم العناصر كما نشاء فنحول مجاري الاهوية ونلجم العواصف ونستزل الامطار ونقطع المسافات الشاسعة بضع ساعات مما لم يحلموا به . ان ضغط الهواء ، تلك القوة الهائلة ، كانت عندهم بابا مغلقا الا في بعض الصغائر فجعلنا منها قوة تهز الارض هزا . واوجدنا الشروط الجوية والطقسية الملائمة ضمن جدران نقالاتنا فسخرنا بالسرعة وصرنا نجتاز من الخمسمائة الى الالف ميل في الساعة دون خطر او انزعاج .

كل هذا يا ماذني . كل هذه التحسينات المفيدة وغيرها مما لا يساعدني الوقت لذكرها تم بفضل الاخاء العمومي وتوحيد الشرائع في الارض مع توحيد العملة وتحديد مفعولها ومنع الاحتكار وقتل عاطفة الطمع في نفوس البشر مما ابطل الشحناء والحروب ولولا ذلك لكنا اليوم متأخرين متوحشين هائمين في همجيتنا كما كان الناس في الجيل العشرين . ولا رب عندي ان اولادنا سيزيدون على افعالنا حتى يبلغ العالم من الكمال الدرجة التي نواها له الاله الذي هو الكل والكل هو الاله . اشكركم لاهفائكم .

الامال الضائعة

لرشيد ايوب

جلست بقرب شاكي	اردد طيب ذكراك
واطوي بيد احلام	كبت فيها مطاياك
وفيما النفس حائمة	ترفرف فوق مغناك
تفجر في الدجى برق	تلاه مدممي الباكي
اتاركني اخا مهر	متى عهدي ببقياك
اذا غنت على بالي	اويقاني واياك
ورحت اعاب الدنيا	جلست بقرب شاكي



الله يسعدنا ويبرئنا

لعبد المسيح حداد

لم يكن من يستطيع ان يفهم اصل الخلاف بين ابراهيم الصالح واخيه فريد وقد بدأ الخلاف بينهما في اول اسبوع وصل فيه الصغير الى هذه البلاد. وبعد ان كان ابراهيم يستعد لاستئجار منزل خصوصي يشري له اثاثا جميلا ليعيش مع اخيه فريد كمائلة صغيرة لبث في غرفته المفروشة وطرد اخاه من عنده فاضطر المسكين وهو دون السابعة عشرة الى ان يستأجر غرفة له زرية جدا وان يعمل كاجير في محل تجاري ليعيش مستقلا.

حكى لي فريد الصغير عن خلافه مع اخيه فقال انه لا يعلم لماذا كرهه اخوه ولم ياتهم امامه ولا اخل باعتباره كاخيه الاكبر وولي نعمته ولكنه لسبب بسيط جدا ارتأى ابراهيم ان يفرقا وان يعيش كل منهما لنفسه ومد منعت اجتماعاتهما معا الا اذا كانا وحدهما واذا ذاك يستعمل ابراهيم سلطته على اخيه فيأمره امرا وينفض طرف سترته باصابعه علامة انه هكذا يريد ان يعمل واذا ابى فلا يكون مسمولا.

ان خلاف الاخوان على هذه الصورة امر غريب جدا فليس بينهما من خطأ ارتكبه احدهما ضد الآخر ولا بينهما ما لا يحى على ان الاثنين ناجحان باشغالهما وابراهيم رجل يبلغ الخامسة والثلاثين وقد صار له نحو عشرين سنة يعمل في اميركا ولما انتهى فريد المدرسة الابتدائية استقدمه اليه على امل ان يفتح محلا تجاريا يكون فيه رئيسا واخوه مديرا الا ان الامور انتهت بالجفاء.

بين الاثنين في اول اسبوع لوصول فريد الى اميركا.

اما فريد فشاب ذكي له المام بالعلوم وولع بالمطالعة. قليل الكلام ولكنه رصين لا يتكلم الا اللازم الذي يفيد عكس اخيه الاكبر فانه كثير الكلام كثير الدعوى يتدخل في كل موضوع ويحشر نفسه في كل مشكل وقد ولع ايضا بالمطالعة الصحفية والكتبية وانما ولما سطحيا فكان يحفظ اسماء اعظم الرجال من سياسيين وعلماء وفلاسفة وشعراء فاذا تكلم في اجتماع يكثر من ذكره تلك الاسماء فينظر الناس اليه كرجل عليم في صدره كنوز علم وعرفان فاذا كان الحديث عن السيامة اسرع فذكر بسمارك وغلادستون وقال فلان قال كذا وكذا ومن اطلع على كتبه او ما قاله بسمارك او غلادستون ليكذبه؟ واذا كان الحديث عن الشعر ذكر في الحال المتنبي وابا العلاء مع بعض ايات لكليهما يقولها باللفظ المكسر ثم يعمق بتاريخ الشعر فيذكر هوميروس وبتندرخ بالاسماء الى هيكو وموسيه وووو... حتى يسكت الحاضرون ويعطوه موقف الكلام ولا يعدم ان يرى منهم اعجابا بسعة معارفه ووفرة علومه حتى صار عندهم مرجعا لكل امر ومضرب المثل في العلم بكل باب من ابوابه.

ودام هذا معه حتى وصل فريد الى نيويورك فصار يحضر مع اخيه بعض الاجتماعات ويراه راكبا مركب الشطط باكثر احاديثه فكان يسكت اولا حياء منه ولكنه بعد ان استأنس صار يعترض على غلط اخيه ويصلحه فكان ابراهيم يحرق الارم غيظا ويلعن الساعة التي وصل فيها اخوه لينزع عنه مقامه كعالم بين الناس.

ومرة كان الاخوان في سهرة حافلة وكان الفونوغراف يشف اسماع الحاضرين والكوموس دائرة عليهم واخراسطوانة سمعوا فذهبوا بسحرها كانت

اسطوانة للصليبان ينشد فيها «يا ليل لصب ٠٠٠» فكان بعضهم يعيدها ويعيدها ويساعده غناء بها واستشهادا بمعاني آياتها الجميلة حتى وقف عند «رقد السمار وارقه» فقال في القوم «من هذا السمار؟»

فاجاب احدهم وقال: «اظن ان السمار هو الذي يلقى السامير» .
فضحك الكل من جوابه .

وقال ثان: «اظن السمار هو اليراي السور لا بل السمار»

وقال ثالث: «لا بل هو السمرمر الذي يطارد الجراد» .

واختلف القوم على معنى الكلمة وابراهيم الصالح يتنحى وقد غاب عن الحضور بفكره ليأتي لهم بمعنى الكلمة لهم فكان كلامه فصل الخطاب . واما اخوه الصغير فريد فكان الحال عنده كالتياترو فما كان يبدأ من الضحك بكل ما استطاع شدقه وبكل ما في رثيه من القوة .

واخيرا صاح صاح وقال: «عندنا ابراهيم الصالح وتجاسر على تفسير الكلمة فلنسمعه الان يحل لنا المشكل» .

وسكت الحاضرون ووقف الفوتوغراف وصاروا كلهم اذانا مستعدة للسمع وعيونهم مصوبة على نقطة واحدة هي وجه ابراهيم الصالح .

عندئذ لم يعد لابراهيم من مهرب . فعار عليه ان لا يحل مشكلة صغيرة كهذه وهو لم يعودهم ذلك ففتح فيه اولا بيطء كلي وعيناه محمقتان ووجهه يتطاوول وكان بطرف نظره يحدج اخاه فريدا لهذا تلثم قليلا ولما تحنن الله على صبر القوم خرجت من فيه كلمة «اظن» خمس مرات وبين كل مرة واخرى فرصة دقيقتين حتى اخيرا فاض بحل المشكل طارحا عنه التردد المصنع وقال: «ان السمار هو السامري عنول اليهودي ويظهر ان قائل تلك الايات

يهودي فيكون المعنى ان العدو نام وهو لم ينم بل ارقه الالم»
ويظهر ان فريدا في تلك الساعة نسي ان اخاه الاكبر كان المتكلم ولهذا استعان بكل ما في قدرته على الضحك حين كان الكل صامتين وعلى وجوههم سيمااء الرحمة يتوقعون القول الفصل من رب العرفان عندهم وهذا ما دعا ابراهيم ان يستشيط غيظا من اخيه فشتمه ولولا حرمة الناس لكان ضربه فاتبه فريد لامره وعقب ضحكاته الطويلة عبوسة فجائية فاستصغح اخاه واقرباؤه مخطيء . وانه نسي نفسه لتفاسير القوم كلمة «سمار» البعيدة الصواب .

عندئذ قال له اخوه: «انت يا فريد مثل كل ولد يأتي من سوريا مملوء دعوى ولا تحترم معارف الآخرين بل تظن ان ما تلقنته في المدرسة هو كل العلم مع انه ينقصك تهذيب كثير . والان «يا عيب الشوم» دعوتنا نخجل امام الناس فقم بنا قم» .

وقد الح الحاضرون على ابراهيم ان يعدل عن فكره بالرحيل وان يهدي روعه قليلا وان اخاه سيتعلم فيما بعد فيحسن سلوكه ويعرف كيف يجالس الناس . وكان احد الحاضرين الذين فسروا الكلمة شديد الاستياء من جواب فريد لآخيه بان تفاسير القوم اضحكته فخاطبه بملء الاشمزاز قائلا: «وهل عندك تفسير احسن اي نعم نحن لم نتعلم في المدارس مثلك ولكن لا اظن ان كلامنا يوجب ضحك الناس الا اذا كان ضحكك بلا سبب والضحك بلا سبب من قلة الادب» .

هنا تبدلت هيئة فريد الصغير فقال بصوت لطيف والحيرة اخذه منه ما اخذنا «اعذروني يا اخوان على ما بدر مني فانا لم اقصد بضحكي الحط من كرامة الذين فسروا كلمة «سمار» بل ان تفاسيرهم جعلتني اضحك لانتا في مجلس



سرور ويجوز فيه لاي كان ان يضحك»

اما ابراهيم فظل واقفا يشد بذراع اخيه ليخرج من تلك الجلسة لثلا يحدث ما يكدره اكثر. ولكن رجلا متقدما في السن اعجبه منطلق فريد فنهض باسمه وتقدم الى ابراهيم مائلا اياه ان يعود الى مكانه لمحو اثر الخلاف خوفا على خاطر الصغير القادم من البلاد فقد شعر بنفسه ان فريدا انكسر خاطره فاضطر ابراهيم الى الجلوس وعاد الرجل المتقدم في السن فقال لفريد: «يا فريد لا تزعل يا ابني لا بأس عليك مسألة صغيرة. لا تستحي فكل الحاضرين اخوان اي يا ابني اقم وقل لنا الان كيف تفسر سمار لضحك نحن عليك كما انت ضحكيت علينا»

فضحك القوم ملقا على فريد ما عدا ابراهيم الذي كان السم يغلي في قلبه ولكنه لم يجسر ان يعترض ولما رأى فريد ان الحاضرين سري عنهم تبسم وقال:

«ان كلمة سمار جمع سمير والسمير هو الذي يسهر الليل فيكون معنى الشاعر ان الساهرين ناموا الا هو فقد حرمه النوم الم يعذبه»

فضحك ذلك المتقدم في السن ضحكة كبيرة وقال: «اي والله الان اخذنا ثارنا منك» وضحك لضحكته الحاضرون الا ابراهيم الذي نهض في الحال يريد الذهاب مع اخيه بداعي ان السهرة طالت.

تلك السهرة لم ينم فريد مع اخيه ومنذ تلك السهرة لم يعد يضم الاخوين اجتماع وعندما يسأل ابراهيم عن سلوك اخيه يهز راسه ويتندب قائلا: «ما احب اشرى البلوى لنفسه مثلي فقد كنت بلا هم فجئت باخي ليزيد سروري فكان انه حرمني الراحة ولكن امير كا واسعة فالله يسعدني ويسعدكم»

النهر المتهجد

ليخائيل نعيه

يا نهر، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريف؟
ام قد هرمت وخار عزمك فاثنتيت عن المسير؟

بالامس كنت مرنا بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها احاديث الدهور

بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينه اللحد العميق

بالامس كنت اذا اتيتك با كيا سليتي
واليوم صرت اذا اتيتك ضاحكا ابكييني

بالامس كنت اذا سمعت تنهدي وتوجعي
تبكي. وها ابكي انا وحدي، ولا تبكي معي

ما هذه الا كفان - ام هندي قيود من جليد
قد كبلك وذللك بها يد البرد الشديد؟

ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجنو كئيبا كلما مرت به ريح الشمال

والحور يندب فوق رامك نائرا اغصانه
لا يسرح الحسون فيه مرددا الحانه
تاتيه اسراب من الغربان تنعق في الفضاء
فكانها ترثي شبابا من حياتك قد مضى
وكانها بنعيها عند الصباح وفي المساء
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقاء

• • •

لكن سينصرف الشتاء وتعود ايام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكرر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلتي باسرار البقاء، ثملتي بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في مياهك انجم الليل البهيم
والبدر يسط من سماء عليك ستر من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكبيك العارين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشخ افقه ويبس مخضر الفن

وتعود للصفصاف بعد الشيب ايام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

• • •

قد كان لي، يا نهر، قلب ضاحك مثل العروج
حر كقلبك فيه اميال وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمعت كوجهك فيه امواج الامل
فتساوت الايام فيه - صباحها ومساءها
وتوازنت فيه الحياة - نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف او الشتاء،
سيان نوح البائسين وضحك ابناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى احد
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم

• • •

يا نهر ذا قلبي اراه - كما اراك - مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك، وهو - لا... لا



العاصفة

لمبران خليل جبران

١

كان يوسف الفخري في الثلاثين من عمره عند ما ترك العالم وما فيه وجاء ليعيش وحيدا متزهدا صامتا في تلك الصومعة المنفردة القائمة على كنف وادي قاديشا في شمال لبنان

وقد اختلف سكان القرى المجاورة في امره فمنهم من قال - «هو ابن اسرة شريفة مثرية وقد احب امرأة فخانته عهده فهجر الديار وطلب الخلوة توصلنا الى السلوان» ومنهم من قال - «هو شاعر خيالي قد انصرف عن ضجة الاجتماع ليدون افكاره وينظم عواطفه» ومنهم من قال - «هو متصوف متعبد قد اقتنع بالدين دون الدنيا» ومنهم من اكفى بقوله - «هو مجنون» .
لما انا فلم اكن من رأي هذا ولا ذلك لعلمي ان في داخل الارواح اسراراً غامضة لا تكشفها الظنون ولا يبوح بها التخمين . غير انني كنت اتبنى لقاء هذا الرجل الغريب واشتهي محادثته . وقد حاولت مرتين التقرب اليه لامتطلع حقيقته واستفسر مقاصده وامانيه ، فلم انظر منه بسوى نظرات حادة وبعض الفاظ تدل على الجفاء والبرودة والترفع . ففي المرة الاولى ، وقد لقينته سائرا بقرب غابة الارز ، حيث به احسن ما حضرني من الكلام فلم يرد التحية الا ببز

رامه ثم تحول عني مسرعا . وفي المرة الثانية وجدته واقفا في وسط كرمة صغيرة بقرب صومعة فدنوت منه قائلا «قد سمعت بالامس ان هذه الصومعة ينساها ناسك سرياني في القرن الرابع عشر فهل لك علم بذلك يا سيدي؟» فاجاب بلهجة خشنة «لا اعلم من بنى هذه الصومعة ولا اريد ان اعلم» ثم ادار لي ظهره وزاد سائرا «لماذا لاتسال جدتك فهي اقدم عهدا واكثر علما بتاريخ هذه الودية» فتركنه مكسوبا نادما على تطفلي .
وهكذا مر عامان وحياة هذا الرجل المكتشفة بالاسرار تراود خيالي وتتمايل مع افكاري واحلامي .

٢

ففي يوم من ايام الخريف وقد كنت متجولا بين تلك التلؤلؤ والمنحدرات المجاورة لصومعة يوسف الفخري ، فاجاني تنني العاصفة باهوائها وامطارها واخذت تتلاعب بي مثلما يتلاعب البحر الهائج بمركب كسرت الامواج دفته ومزقت الريح شراعه ، فتحولت نحو الصومعة قائلا في نفسي - هذه فرصة موافقة لزيارة هذا المتنسك ومتكون العاصفة عندي واثوابي المبللة شفيعي .
بلغت الصومعة وانا في حالة يرئى لها ولم اطرق الباب حتى ظهر امامي الذي طالما تشوقت الى لقائه حاملا بيده طائرا مهشم الراس منبوش الريش وهو يختلج كانه على اخر رمق من الحياة . فقلت بعد ان حييته «اعذرني يا سيدي على مجيئي اليك في هذه الحالة ولكن العاصفة شديدة وانا بعيد عن المنزل» .

فتفرس في عابسا واجاب بصوت يساوره الامتنكاف

— «الكهوف كثيرة في هذه النواحي وقد كان بإمكانك الالتجاء إليها»
قال هذا وهو يلامس رأس الطائر بانعطاف لم أر مثله في حياتي فعجبت
لمرأى الضدين — الرافة والخشونة — في وقت واحد وتحيرت في أمري.
وكانه قد علم بما يخالج ضميري فنظر إلي نظرة استيضاح واستعلام ثم قال
— «إن العاصفة لا تاكل اللحوم الحامضة فلم تخافها وتهرب منها؟»

فاجبته — «العاصفة لا تحب الحوامض ولا الموالح ولكنها تميل إلى
الرطب البارد ولا اذك بانها ستجدني لقمة لذينة اذا قبضت علي ثانية»
فقال وقد انفجرت ملامحه قليلا — «لو مضغتك العاصفة لقمة لحصلت على
شرف لا تستحقه»

فاجبته — «نعم يا سيدي، ولقد جئت إليك هاربا من العاصفة لكي لا انازل
ذلك الشرف الذي لا استحقه!»

فحول وجهه محاولا اخفاء ابتسامة ضئيلة، ثم اشار نحو مقعد خشبي بقرب
موقد تناجح فيه للنار وقال — «اجلس وجفف اثوابك»

فجلست بقرب النار شاكرا وجلس هو قبالي على مقعد محفور في الصخر
واخذ يغمس اطراف اصابعه بمزيج زيتي في طامة فخارية ويدهن بها جانح
الطائر ورأسه المجروح، ثم التفت نحوي قائلا — «قد دفعت الريح هذا
الشحور فبهط على الصخور بين حي وميت»

فقلت «والريح قد حملتني ايضا إلى بابك يا سيدي وانا للان لا ادري ما
اذا كانت قد كسرت جانحي او هشت رأسي»

فنظر إلى وجهي بشيء من الاهتمام وقال — «حبذا لو كان للانسان بعض
اطباع الطيور. حبذا لو كسرت العواصف الجنة البشر وهشت رؤوسهم»

ولكن الانسان مطبوع على الخوف والجبانة فهو لا يرى العاصفة مستيقظة
حتى يختبيء في شقوق الارض ومغاورها»

فقلت، وقصدي متابعة الحديث، — «نعم ان للطير شرفا ليس للانسان،
فالانسان يعيش في ظلال شرائع وتقاليد ابتدعها لنفسه. اما الطيور فتحبى
بحسب الناموس الكلي المطلق الذي يسير بالارض حول الشمس»

فلمعت عيناه وانبسطت ملامحه كأنه وجد بي تلميذا سريع الفهم ثم قال
— احسنت، احسنت، فاذا كنت تعتقد حقيقة بما تقول فاترك الناس وتقاليدهم
الفائدة وشرائعهم التافهة وعش كالطيور في مكان بعيد خال الا من ناموس
الارض والسماء»

فقلت — «اني اخشع بما اقول يا سيدي»

فرفع يده وقال بصوت يمازجه التعت والتصلب — «الاعتقاد شيء والعمل
به شيء آخر. كثيرون هم الذين يتكلمون كالبحر اما حياتهم فشيبة بالمستنقعات
كثيرون هم الذين يرفعون رؤوسهم فوق الجبال اما نفوسهم فتبقى هاجعة
في ظلمة الكهوف»

قال هذا ولم يدع لي فرصة للكلام بل قام من مكانه ومدد الشحور على
جبة قديمة بقرب النافذة ثم تناول رزمة من القضايا اليابسة والقفاها في الموقد
قائلا — «اخلع حذاءك وجفف قدميك فالرطوبة اضر بالانسان من كل شيء»
آخر. جفف اثوابك جيذا ولا تكن خجولا»

فاقتربت من النار والبخار يتصاعد من اثوابي الرطبة. اما هو فوقف في
باب الصومعة محدقا بالفضاء الغضوب

وبعد هنيهة مآله قائلا — «هل جئت الى هذه الصومعة منذ زمن بعيد؟»

فاجاب بنون ان يلتفت نحوي — «جئت الى هذه الصومعة عندما كانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه» . فسكت قائلاً في سري — «ما اغرب هذا الرجل وما اصعب السبيل الى حقيقته، ولكن لا بد من معادئته ومعرفة خفايا روحه، وسوف اصبر حتى يتحول شموخه الى اللين والدعة» .

٣

وغمر الليل تلك البطاح بردائه الاسود ونمت العاصفة وغزرت الامطار حتى خيل لي ان الطوفان قد جاء ثانية ليبيد الحياة ويطهر الارض من ادرانها وكان ثورة العواصف قد ولدت في نفس يوسف الفخري تلك الطمانينة التي تجيء في بعض الاحايين مظهاً لرد الفعل فتحول نفوره مني الى الاستئناس بي، فقام واشعل شبعين ثم وضع امامي جرة طافحة بالخمر وطبقاً عليه الخبز والجبن والزيتون والعسل وبعض الاثمار المجففة، ثم جلس قبالي وقال يلطف — «هذا كل ما عندي من الزاد فتفضل يا اخي وشاركني به» تناولنا العشاء صامتين صاغين الى ولولة الريح وبكاء الامطار، غير انني كنت انبصر وجهه بين اللقمة والاخرى، مستفسراً ملامحه عن غوامضه، سائلاً معانيه عن الميول والمقاصد المستحكمة بوجدانه .

وبعد ان رفع البائدة تناول من جانب الموقد ابريقاً نحامياً وصب منه قهوة صافية زكية الرائحة في فناجين ثم فتح علبة مفعمة بلفائف التبغ وقال بهدوء — «تفضل يا اخي» .

فاخذت لفاقة رافعا يدي فتجان القهوة وانا لا اصدق ما تراه عيني فنظر

الي — وكأنه قد سمعني مفكراً فابتسم هازاً راسه ثم قال بعد ان اشعل لفاقة وشرب قليلاً من القهوة — «انت بالطبع تستغرب وجود الخمر والتبغ والقهوة في هذه الصومعة . وقد تستغرب وجود الطعام والفراش، وانا لا الومك فانت واحد من الكثيرين الذين يتوهمون ان البعد عن البشر يستوجب البعد عن الحياة وما في الحياة من الملذات الطبيعية والمسرات البسيطة» .

فاجبته — نعم يا سيدي فقد تعودنا الاعتقاد بان من يتنحى عن العالم ليعبد الله يترك وراءه كل ما في العالم من الملذات والمسرات ليعيش وحده متنسكاً متقشفاً مستكفياً بالماء والاعشاب» .

فقال — «لقد كان بامكاني عبادة الله وانا بين خلقه لان العبادة لا تستلزم الوحدة والافراد وانا لم اترك العالم لاجد الله لانني كنت اجد في بيتامي وفي كل مكان اخر، ولكنني هجرت الناس لان اخلاقي لا تنطبق على اخلاقهم واحلامي لا تتفق مع احلامهم، تركت البشر لانني وجدت نفسي دولاباً يدور بين دواليب تدور يساراً، تركت المدينة لانني وجدت بها شجرة مسنة قاسدة قوية هائلة عروقتها في ظلمة الارض واغصانها تتعالى الى ما وراء الغيوم، اما ازهارها فمطامع وشروخ وجرائم، واما اثمارها فويل وشقاء وهموم . ولقد حاول بعض المصلحين تطعيمها وتغيير طبيعتها فلم يفلحوا بل ماتوا قانطين مضطهدين مغلوبين على امرهم» .

واتكأ اذ ذاك الى جانب الموقد وكأنه قد وجد لفة في تأثير كلامه علي فرفع صوته اكثر من ذي قبل وزاد قائلاً — «لا، لم اطلب الوحدة للصلاة والتنسك، لان الصلاة وهي اغنية القلب، تبلغ آذان الله وان تصاعدت ممزوجة بصياح الوف الالوف، واما التنسك، وهو قهر الجسد وامانة رغبته، فمسالة

لا مكان لها في ديني لان الله قد بنى الاجسام هياكل للارواح وعلينا ان نحافظ على هذه الهياكل لتبقى قوية نظيفة لاثقة بالالوهية التي تحل فيها. لا يا اخي لم اطلب الوحدة للصلاة والتشف بل طلبتها هاربا من الناس وشرائعهم وتعاليمهم وتقاليدهم وافكارهم وضحيتهم وعويلهم. طلبت الوحدة لكي لا ارى اوجه الذين يبيعون نفوسهم ليشتروا باثمانها ما كان دون نفوسهم قدرا وشرفا. طلبت الانفراد لكي لا التقي بالنساء اللواتي يسرن ممدودات الاعناق غامزات العيون وعلى ثغورهن الف ابتسامة وفي اعماق قلوبهن غرض واحد. طلبت الانفراد لكي لا اجالس ذوي «النصف معرفة» الذين يصرون في المنام خيال العلم فيتخيلون انهم اصبحوا من المدارك بمقام النقطة من الدائرة، ويرون في اليقظة احد اشباح الحقيقة فيتوهمون انهم قد امتلكوا جوهرها الكامل. المطلق. طلبت الخلوة لانني مللت مجاملة الخشن الذي يظن اللطف ضربا من الضعف، والتساهل نوعا من الجبانة، والترفع شكلا من الكبرياء. طلبت الخلوة لان نفسي تعبت من معايشرة المتمولين الذين يظنون ان الشمس والاقمار والكواكب لا تطلع الا من خزائهم ولا تغيب الا في جيوبهم، ومن الساسة الذين يتلاعبون باماني الامم وهم يذرون في عيونها الغبار الذهبي ويملاون آذانها برنين الالفاظ، ومن الكهان الذين يعظون الناس بما لا يتعظون به ويطلبون منهم ما لا يطلبونه من نفوسهم... طلبت الوحدة والانفراد لانني لم احصل على شيء من يد بشري الا يعد ان دفعت ثمنه من قلبي. طلبت الوحدة والانفراد لانني شئت ذلك البناء العظيم الهائل المدعوحضارة — ذلك البناء الدقيق الصنع والهندسة القائم فوق راية من الجماجم البشرية. طلبت الوحدة لان في الوحدة حياة للروح والفكر والقلب والجسد. طلبت

البرية الخالية لان فيها نور الشمس ورائحة الازهار وانغام السواقي. طلبت العجبال لان فيها يقظة الربيع واشواق الصيف واغاني الخريف وعزم الشتاء. جئت الى هذه الصومعة المنفردة لانني اريد معرفة اسرار الارض والدنو من عرش الله».

وسكنت متنفسا الصعداء كانه القى حملا ثقيلا عن عاتقه وقد تلمعت عيناه باسعة غريبة محيرة وظهرت على وجهه امارات الالفقة والارادة والقوة. ومرت بضع دقائق وانا انظر اليه مسرورا بظهور ما كان محجوبا عني ثم خاطبته قائلا — «انت مصيب في كل ما قلته، ولكن الا ترى يا سيدي ان بتشخيصك امراض الاجتماع واوصابه قد ابنت لي انك احد الاطباء الماهرين وانه لا يجدر بالطبيب الاعراض عن العليل قبل ان يشفى او يموت؟ ان العالم بحاجة ماسة الى امثالك وليس من العدل ان تعزل عن الناس وانت قادر على نفعهم».

فحلق بي هنيئة ثم قال بلهجة ملوها القنوط والمرارة — «منذ البدء والاطباء يحاولون انقاذ العليل من علته. فمنهم من جاء بالمباضع ومنهم من جاء بالادوية والمساحيق، ولكنهم ماتوا جميعا بدون رجاء ولا امل ويا ليت عليل الدهور يكتفي بملازمة مضجعه القنوط ومواءسة قروحه المزمنة ولكنه يمد يده من بين اللحف ويقبض على عنق كل من يزوره ممرضا ويخنقه والامر الذي يغيظني ويحول الدم في عروقي الى نار محرقة هو ان ذلك العليل الخبيث يقتل الطبيب ثم يعود ويغمض عينيه قائلا لنفسه «لقد كان بالحقيقة طبيبا عظيما»... لا يا اخي. ليس بين الناس من يستطيع ان ينفع الناس فالحارث وان كان حكيما ماهرا لا يقدر على استنبات حقله

في أيام الشتاء».

فاجبته قائلا - «قد يمر شتاء العالم يا سيدي وبجيء بعده ربيع بهي جميل فتظهر الازهار في الحقول وترنم الجداول في الاودية».

فقطب ما بين عينيه متنهدا ويصوت تعانقه الكآبة قال «ليت شعري هل قسم الله حياة الانسان - وهي الدهر بكامله - الى فصول تشابه فصول السنة بمسيرها وتتابعها؟ هل يظهر على سطح الارض بعد الف الف عام طائفة من البشر تحيي بالروح والحق؟ هل ياتي زمن يتمجد فيه الانسان فيجلس عن يمين الحياة فرحا بنور النهار وطمانينة الليل؟ هل يتم ذلك يا ترى - هل يتم ذلك بعد ان تشيع الارض من لحوم البشر وترتوي من دماهم؟

وانتصب اذ ذاك واقفا رافعا يمينه نحو العلاء كأنه يشير الى عالم غير هذا العالم - «تلك احلام بعيدة، وليست هذه الصومعة منزلا للاحلام، لان ما اعلمه يقينا يشغل كل فحة وكل قرنة فيها، بل يشغل كل مكان في هذه الاودية وهذه الجبال. اما ما اعلمه يقينا فهو هذا - انا كائن موجود، وفي اعماق وجودي جوع وعطش، ولي الحق ان اتناول خبز الحياة وخرمها من الانية التي اصنعها يدي، ومن اجل ذلك تركت موائد الناس وولائهم وجئت هذا المكان وسابقي فيه حتى النهاية».

واخذ يمشي ذهابا وايابا في وسط تلك الغرفة وانا اتامله وافكر بكلامه وبالعوامل والبواعث التي صورت له الجامعة البشرية بخطوط عوجاء والوان قاتمة، ثم استوقفته قائلا - «اني احترم افكارك ومقاصدك يا سيدي، واحترم وحدتك وانفرادك غير انني اعلم - والعلم مجلبة الالمف - ان هذه الامة التهمة قد قبلت بتنحيك وابتعادك رجلا موهوبا قادرا على خدمتها وايقاظها».

فاجاب - هازا راسه - «ليست هذه الامة الا كالامم كافة، فالناس من جيلة واحدة وهم لا يختلفون بعضهم عن بعض الا في الظواهر والمظاهر الخارجية التي لا يعتد بها، فتعامة الامم الشرقية هي تعامة الارض بكاملها وليس ما تحسه رقا في الغرب سوى شبح اخر من اشباح الغرور الفارغ، فالرياء يظل رياء وان قلم اضافره، والغش يبقى غشا وان لانت ملامسه، والكذب لا يصير صدقا اذا لبس الحرير وسكن القصور. والخداع لا يتحول الى امانة اذا ركب القطار او اعتلى على المنطاد، والطمع لا ينقلب قناعة اذا قاس المسافات او وزن العناصر، والجرائم لا تصبح فضائل وان سارت بين المعامل والمعاهد... اما العبودية - العبودية للحياة، العبودية للباضي، العبودية للتعاليم والعوائد والازياء، العبودية للاموات فستبقى عبودية وان طلت وجهها وغيّرت ملابسها - العبودية تظل عبودية حتى وان دعت نفسها حرية. لا يا اخي ليس الغربي ارقى من الشرقي ولا الشرقي احط من الغربي وما الفرق بينهما الا كالفرق الكائن بين الذئب والضبع. ولقد نظرت فرايت وراء مظاهر الاجتماع المتباينة ناموما اوليا عادلا يفرق التعامة والعبادة والجهالة على السواء فلا يميز شعبا عن شعب ولا يظلم طائفة دون طائفة».

فقلت وقد بلغ بي الاستغراب حد الالتباس - «اذا فالمدينة باطلة وكل ما فيها باطل؟»

فاجاب متهيجا - «نعم باطلة هي المدينة وباطل كل شيء فيها، فما الاختراعات والاكتشافات سوى الاعيب يتسلى بها العقل وهو في حالة الملل والتضجر، وما تقصير المسافات وتمهيد الجبال والاودية والتغلب على البحار والفضاء غير اثبار غشاة مملوءة بالدخان لا ترضي العين ولا تغني القلب ولا

ترفع النفس . اما تلك الالغاز والاحاجي التي يدعونها بالمعارف والفنون فهي قيود وسلاسل ذهبية يجرها الانسان مبتهجا بالمعاني وورنين حلقاتها ، بل هي اقفاص ابتداء الانسان بتطريق اعمدتها واسلاكها منذ القدم غير عالم بانه لا ينتهي من صنعها الا ويجد نفسه اسيرا مسجوناً في دخلها . . . نعم باطلة هي اعمال الانسان ، وباطلة هي تلك المقاصد والعرامي والمنازع والاماني وباطل كل شيء على الارض ، وليس بين اباطيل الحياة سوى امر واحد خليق بحب النفس وشوقها وهيامها — ليس هناك غير شيء واحد .

قللت وما ذلك يا سيدي ؟

فوقفت دقيقة ساكناً ثم اغمضت اجفانه واضعا يديه على صدره ، وقد اشرق وجهه وانبسطت ملامحه ، وبصوت عذب مرتعش قال — «هي بقطة في النفس هي بقطة في عمق اعماق النفس . هي فكرة تفاجئ وجدان الانسان على حين غفلة وتفتح بصيرته فيرى الحياة مكتنفة بالانعام ، محاطة بالهالات ، منتصبه كبرج من النور بين الارض واللا نهاية . هي شعلة من شعلات ضمير الوجود تتأجج فجأة في داخل الروح فتحرق ما يحيط بها من الهشيم وتصلد سابعة مرفقة في الفضاء الواسع . هي عاطفة تهبط على قلب الفرد فيقف مستغرباً مستهجنًا كل ما يخالفها ، كارها كل شيء لا يجارها ، متمرداً على الذين لا يفهمون اسرارها . هي يد خفية قد ازلت الغشاء عن عيني وانا في وسط الاجتماع بين اعلى واصحابي ومواطني فوقفت مندهلاً مندهشاً قائلاً في نفسي — ما هذه الوجوه وما شان هؤلاء الناظرين اليّ وكيف عرفتهم ، واين لقيتهم ، ولماذا اقيم بينهم بل لماذا اجالسهم واحادثهم ؟ هل انا غريب بينهم ام هم الغرباء في ديار بنتها الحياة لي واسلمتني مغاتيها . . . »

وسكت فجأة كان الذكرى قد رسمت على حافظته صوراً واشباحاً لا يريد اظهارها ، ثم بسط ذراعيه وقال همسا — «هنا ما حل بي منذ اربع سنوات فتركت العالم وجئت هذه البرية الخالية لاعيش في البقعة متمتعاً بالفكر والعاطفة والسكينة

ومشي اذ ذاك نحو باب الصومعة ناظراً الى اعماق الليل ثم هتف كأنه يخاطب العاصفة — «هي بقطة في اعماق النفس فمن يعرفها لا يستطيع اظهارها بالكلام ومن لم يعرفها لا ولن يدرك اسرارها» .

٤

ومرت ساعة طويلة بمنطقة بهس الفكر ونداء العاصفة ويوسف الفخري يمشي تارة في وسط تلك الحجرة ويقف طويلاً في بابها محدقاً بالفضاء العابس اما انا فبقيت صامتاً شاعراً بتموجات روحه ، مستظهِراً اقواله ، منكراً بحياته وما وراء حياته من لذة الوحدة وآلامها . وعند انقضاء الهزيع الثاني من الليل اقترب مني ونظر طويلاً الى وجهي كأنه يريد ان يحفظ في ذاكرته رسم الرجل الذي باح له سر وحدته وانفراده . ثم قال يبطء — «انا ذاهب الان للتجول في العاصفة ، هي عادة اتمتع بلذتها في الخريف وفي الشتاء . . . هالك ابريق القهوة واللفائف ، وان طلبت نفسك الخمر تجدها في الجرة . واذا شئت النوم تجد اللحف والمساند في تلك القرنة» .

قال هذا والتف بجبة سوداء كثيفة ثم زاد مبتسماً — «ارجوك ان توصل باب الصومعة عندما تذهب في الصباح لانني ساصرف الغد في غابة الارز» ثم سار نحو الباب وتناول من جانبه عكازاً طويلاً وقال — «اذا فاجأتك

العاصفة ثانية وانت في هذه النواحي فلا تتأخر عن الالتجاء الى هذه الصومعة
ولكنني ارجو ان تعلم نفسك حب العواصف لا الخوف منها... مساء الخير
يا اخي».

وخرج الى الليل مسرعا

ولما وقفت في باب الصومعة لارى وجهه كان الظلام قد اخفاه ولكنني
بقيت بضع دقائق اسمع وقع قدميه على حصباء الوادي.

٥

جاء الصباح وقد مرت العاصفة وانقشعت الغيوم وظهرت تلك الصخور
والغابات متشعة بنور الشمس فتركت الصومعة بعد ان قفلت بابها وفي نفسي
شيء من تلك اليقظة المعنوية التي تكلم عنها يوسف الفخري
ولكنني لم ابليغ منازل الناس وارحركاتهم واسمع اصواتهم حتى وقفت
قائلا في سري - «نعم، ان اليقظة الروحية هي اخلق شيء بالانسان بل هي
الغرض من الوجود، ولكن ليست المدنية بما فيها من التلبس والاشكال من
دواعي اليقظة الروحية؟ وكيف يا ترى نستطيع انكار امر موجود ونفس
وجوده دليل على اثبات صلاحيته. قد تكون المدنية الحاضرة عرضا زائلا
ولكن الناموس الابدي قد جعل الاعراض سلما تنتهي درجاته بالجواهر المطلق»
ولم اجتمع ثانية بيوسف الفخري لان الحياة ابعدتني عن شمال لبنان في
اواخر ذلك الخريف فبحثت منفيًا الى بلاد قصية عواصفها داجنة. اما التمسك
فيها فضرر من الجنون.

أنفس الشعراء

لرشيد ايوب

الى «مواكب» جبران

لما بدا البرق في الظلماء ملتهبا وراح يطوي فضاء الله واحتجا
ناديت ربي وطرفي يرقب الشها رباه يا خالق الاكوان واعجبا
كم تشبه البرق هذا انفس الشعرا

يا ليل مهلا ولا تشفق على بصري فما تعودت فيك النوم من صغري
يا ليل مهلا تطل لا بد من مهري حتى يودع طرفي نجمة السحر
تلك التي عشقتها انفس الشعرا

دعه يغيبض بلج الكاس ادمعه فقد تذكر نائي الدار اربعه
وهات عودك واضربه لسمعته لكن توق رعاك الله اضلعه
تلك الاضالع فيها انفس الشعرا

يا ماكني سفح صنين وكم سفحت للصب عين لبلواكم وما برحت
كانه نازح عنكم وما نزلت نفس له لسواكم قط ما جنحت
لا والذي عبدته انفس الشعرا

مل الكمنجة معنى انة الوتر والريح ان هينمت سلها عن الخبر
والطير ان بكرت تشدو على الشجر سلها وسل كل روض زاهر عطر
تجيك يا صاح هذي انفس الشعراء

يا هائما بابنة العنقود تطربه منها الحميا وفعل الراح يحسه
استغفر الله مما بت تنبه للراح ان الذي في الكاس تشربه
يا صاحبي رشحه انفس الشعراء

طوباك يا ساكنا في الغاب تونه الالهة الشعر والاشباح تحرسه
يضم كل لطيف الروح مجله ملائكة من صفا الايام اكومه
وحوله تغنى انفس الشعراء

لله «ناي» مبتنا روح صاحبه حتى وقفنا حيارى عند واجبه
فصحت والليل زاه من كواكبه يا نافخ الناي يحدو في مواكبه
بنعمة الناي هامت انفس الشعراء

يا نسة في مروج الحب نافعة حيث الحمانم لا تنفك نائحة
ناشدتك الله ان باكرت سائحة عند السواقي بجو الروح سائحة
فبينمي تترنح انفس الشعراء

ايها الليل

لجران خليل جبران

يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين
يا ليل الاشباح والارواح والاخيلة
يا ليل الشوق والصبابة والتذكار

ايها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر، المتقلد سيف
الرهبنة، المتوج بالقمر، المتشح بثوب السكوت، الناظر بالف عين الى اعماق
الحياة، المصفي بالف اذن الى انة الموت والعدم.

انت ظلام يرينا انوار السماء، والنهار نور يغمرنا بظلمة الارض.
انت امل يفتح بصائرنا امام هبة اللانهاية، والنهار غرور يوقفنا كالعميان
في عالم المقاييس والكمية.

انت هدوء يبيع بصمته خفايا الارواح المستيقظة السائرة في الفضاء العلوي،
والنهار ضجيج يثير بعوامله نفوس المنطرحين بين منابك المقاصد والرغائب.
انت عادل يجمع بين جنحي الكرى احلام الضعفاء باماني الاقوياء. وانت
شفوق يغمض باصابعه الخفية اجفان التعساء، ويحمل قلوبهم الى عالم اقل
قساوة من هذا العالم.

بين طيات اثوابك الزرقاء يسكب المحبون انفاسهم، وعلى قدميك المغلفتين
بقطر الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم، وفي راحتك المعطرتين
يطيب الاودية يضع الغرباء تنهدات شوقهم وحنينهم، فانت نديم المحبين
وانيس المستوحدين ورفيق الغرباء والمستوحشين

في ظلالك تدب عواطف الشعراء، وعلى منكبيك تستيق قلوب الانبياء،
وبين ثنايا ضفائرك ترتعش قرائح المفكرين، فانت ملقن الشعراء والموحي
الى الانبياء والموعز الى المفكرين والمتاملين.* * *

عندما ملئت نفسي البشر وتعبت اجفاني من النظر الى وجه النهار سرت
الى تلك الحقول البعيدة حيث تهجع اشباح الازمنة الغابرة.
هنالك وقفت امام كائن اقم جامد مرتعش ساثر بالف قدم فوق السهول
والجبال والودية.

هنالك حدثت شاخصا بعيون الدجى، مصغيا لحفيف الاجنحة غير المنظورة
شاعرا بلامس ملابس السكوت، مستبلا امام مخاوف الظلام.
هنالك رايتك ايها الليل شبحا هائلا جميلا منتصبا بين الارض والسماء،
متشحا بالسحاب، منطلقا بالضباب، ضاحكا من الشمس، ساخرا بالنهار،
مستبزنا بالعبيد الساهرين امام الاصنام، غاضبا على الملوك الراقدين فوق الحرير
والديباج، محمقا بوجوه اللصوص، خافرا بقرب اسرة الاطفال، باكيا لايتسام
الساقطات، مبتسما لبكاء العشاق، رافعا يمينك كبار القلوب، ساحقا بقدميك
صغار النفوس

هنالك رايتك ايها الليل ورايتني، فكنت بهولك لي ابا وكنت باحلامي لك
ابنا، فازيحت من بيننا سائر الاشكال وتمزق من وجهينا نقاب الظن والتخمين
فابحت لي ياسرارك ونواياك، وابنت لك امانى وآمالى. حتى اذا تحولت
اهوالك الى انغام اعذب من همس الازهار، وتبدلت مخاوفي بانس اطيب
من طمانينة العصفير، رفعتني اليك، واجلستني على منكبيك، وعلمت عيني
النظر وعلمت اذني السمع، وعلمت شفتي الكلام، وعلمت قلبي محبة ما لا

يحبه الناس وكره ما لا يكرهونه، ثم لمست باناملك افكاري فتدقت
افكاري نهرا راكضا مترنما يجرف الاعشاب الذابلة، ثم قبلت بشفتيك روحي
فمايلت روحي شلة متقدة تلتهم الانصاب اليابسة.

لقد صحبتك ايها الليل حتى صرت شبيها بك، والفنك حتى تمازجت اميالي
باميالك، واحببتك حتى تحول وجداني الى صورة مصغرة لوجودك. ففي نفسي
المظلمة كواكب متلمعة ينشرها الوجد عند المساء وتلتقطها الهواجس في
الصباح. وفي قلبي الرقيب قمر يسعى تارة في فضاء متلبد بالغيوم وطورا في
خلاء مفعم بمواكب الاحلام. وفي روحي الساهرة سكونة تبيح بتفاعيلها سرائر
المحبين وترجع خلاياها حدى صلوات المتعبدين. وحول راسي غلاف من
السحر تمزقه حشرة المنازعين ثم تخيطه اغاني المتشبين.

انا مثلك ايها الليل وهل يحسبني الناس مفاخرا اذا ما تشبهت بك وهم
اذا تفاخروا يتشبهون بالنهار؟

انا مثلك وكلانا متهم بما ليس فيه

انا مثلك باميالي واحلامي وخلقى واخلاقي

انا مثلك وان لم يتوجني المساء بغيومه الذهبية

انا مثلك وان لم يرصع الصباح اذيالي باشعته الوردية

انا مثلك وان لم اكن منطلقا بالمجرة

انا ليل مسترمل منبسط هادى. مضطرب وليس لظلمتي بدء وليس لاعماقي
نهاية، فاذا ما انتصبت الارواح متباهية بنور افراحها تتعالى روحي متمجدة
بظلام كآبتها.

انا مثلك ايها الليل ولن ياتي صباحي حتى ينتهي اجلي

ابتهالات

لميخائيل نعيمة

كحل اللهم عيني

بشعاع من ضياك

كي تراك

في جميع الخلق: في دود القبور، في نسور الجوى، في موج البحار،
في صهاريج البراري، في الزهور، في الكلا، في التبر، في رمل القفار،
في قروح البرص، في وجه السليم، في يد القاتل، في نجع القتيل،
في سرير العرس، في نعش الفطيم، في يد المحسن، في كف البخيل،
في فؤاد الشيخ، في روح الصغير، في ادعا العالم، في جهل الجاهل،
في غنى الثري، وفي فقر الفقير، في قذى العاهر، في طهر البتول.

واذا ما راودتها سورة النوم العميق

فاغمض اللهم جفنيها الى ان تستفيق

* * * * *

وافتح اللهم اذني

كي تعي دوما نداءك

من علاك

في ثغاء الشاة، في زأر الاسود، في نقيق البوم، في نوح الحمام،
في خرير الماء، في قصف الرعود، في هدير البحر، في مر الغمام،
في غنا الحسون، في نذب الغراب، في ديب النمل، في هب الرياح،
في طنين النحل، في نغمة العقاب، في صراخ الليل، في همس الصباح،
في بكاء الاطفال، في ضحك الكهول، في ابتهالات العراة الجائعين،
في اتحاب الناي، في دق الطبول، في صلاة الملك والعبد السجين.

واذا ما قرب الموت ووافاه الصمم

فاختنم ربي عليها رثما تحيا الرمم

* * * * *

وليكن لي يا الهي

من لساني شاهدان

صادقان

ان افه بالحق فليشهد معي او افه بالبطل فليشهد علي،
واذا ما قام غيري يدعي يا الهي الحق في بطل وغي،
فليكن سيفي لساني حده في سبيل الحق ماض لا يهاب،
لا يكف الضرب حتى ضده ينتهي عن غيه نحو الصواب.

واذا ما خان نطقي قلبي فاراه البطل في الحق الصريح
في كلام الغير، فاجعل من فمي للساني ايها الباري ضريح
فلسان يعلن الحق وسرا يذبحه
ليت شعري، غير صمت الموت ماذا يصلحه؟

* * * *

واجعل اللهم قلبي

واحة تسقي القريب

والغريب

ماؤها الايمان. اما غرسها فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص. اما شمسها فالوفا والصدق والحلم الجميل
فاذا ما راح فكري عبثا في صحارى الشك يستجلي البقاء
مر منهوكا بقلبي فجثا تائباً يمتص من قلبي الرجاء
واذا ما املي يوما مشي تائها في مهب العيش الحقيق،
عاد لما كاد يقضي عطشا يحتمي الايمان من قلبي الرقيق
واذا الايمان ولي والرجا اضحى ضريح،
فليتم قلبي الى ان ينفخ البوق الاخير

قصة ديك الجن الحمصي

حكاية غرام شاعر عربي قديم

لنسيب عريضة

١

ابتدأت القصة في الربيع. الا تعرفون ذلك الربيع - ربيع سوريا؟ الا
تذكرون السماء زرقاء صافية بعيدة القمر؟ الا تذكرون اللذة التي يشعر بها
الانسان حينما يضطجع على العشب في احد المروج او على ضفة النهر ويضع
يديه تحت راسه وينظر الى السماء الزاهرة ليلا ويعد نجومها ويستغرق في احلام
فردوسية، فيشعر بتخدر في نفسه وكيانه، فلا يدري الا وقد امتزجت خلاصة
روحه بالحن الخريبر والحفيف ويبيض النجوم وذرات الاثير؟
اجل. ابتدأت قصتنا في الربيع حين كان النهر والمرج والبستان والانسان
تتلذذ جميعا بانقاس لنعامي وارواح الخزامى. حين تقترب الشمس من
الارض اقتراب الحبيب من الحبيبة لتزيل بحرارتها المنعشة غشا الشتاء
الجليدي عن القلوب، فتتملص اعصاب القلب من قيودها الباردة وتسعى الى
الحب ونوره والهيام ولهبه ظامته، مشغوفة، مستسلمة

* * * *

جلس عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن مع اصحابه بعد العشي في
منتزه الميماس على مرج بسطت عليه الازهار طنائفها وامالت اعناقها صاغرة

لحلقة من اخوان الصفاء وشبان الظرف والادب خرجوا مع شاعرهم الى
الروض لينقبوا آمين غفلات دهرهم وقد استراحت نفوسهم على وسائد
النسيم المخملية واصغت آذانهم الى نعيم اوتار اللاعبين وانشاد المغنين.
وديك الجن بينهم يتايل طربا ويهتز عجا وينشد المقطع بعد الاخر من اشعاره
النفيسة التي فتنت اهل العراق بعد اهل الشام وخر لها ابو نواس ساجدا خاضعا.
دارت الخمرة بين المتنادمين في اقتداح كاد ان يشربها النسيم قبل وصولها
الى ثغور الشارين وامتزجت اناث الطرب بانشاد الالحان الحجازية ورنه
الاوتار وحديث الندامي. فتألفت من هذا جلبة لطيفة شعريّة تشق عباب
السكينة وتشبه لحنا موسيقيا مركب الانغام، صعب التوقيع، من الحان الفها
بعد اجيال فاغتر ويتوفن.

ولما صمت المغنون وكف العازفون ليرتاحوا اقترب بكر بن رستم، وهو
شاب جميل الطلعة لبس الكيامسة وتجلبب بالظرف والتصق بديك الجن
يخلص له الود ويحسن النية، واسر الى صديقه الشاعر

— ان قلبي منقبض هذه الليلة رغم الالحان والراح. وكانني بصوت يهس
في داخلي ان يد القضاء سيرت منذ الليلة نجم حياتي نحو الافول.
فقال ديك الجن متعجبا.

— اراك على غير هدى هذه الليلة يا صاح. فيم تشاؤمك وليس حولك
الا ما يدعو الى التفاؤل والامتنان. افي عنفوان الشباب تهذ بذكر الموت!
وسمع احد الندامي الماجنين كلمات ديك الجن الاخيرة فهتف مغنيا بصوت
يهدج ويتلجلج سكرا وحمية هذا البيت

— ولا تبكين على نامك وان مات ذو طرب فابكه

فقهه الندامي من الضحك وعلت جلبتهم ولغظهم. وانشد فريق منهم في اثر
الاول يتناخر باصوات جافية وقد سرت في عروقهم حمى الطرب وجلست
على عرش دماغهم سلطنة الخمرة.

رحمة العود والجنوك عليه وصلاة القانون والمزمار

وكانت الحانهم شاذة عن القاعدة متنافرة ضحك لها الصدى ضحكة مريّة
مرددا بعدهم بلهجة المستهزئة. — والمزمار... والمزمار... والمزمار...
فابتسم ديك الجن وبسط يده. فهذا الندامي هدوء الطبيعة قبيل العاصفة
فقال الشاعر.

— قد جئنا الى هنا يا اخوان لنسر ونطرب. ولكن هذا المسكين بكر لم
يشرب من الخمر ما يكفي لايقاظ قلبه النائم فقام ينمي الينا نفسه قبل حلول
اجله. اتنا في عصر الشباب يا بكر. والشباب ربيع الحياة. وبه تزهر الامال.
فلماذا بدأت بقطع براعم امالك قبل ان تزهر؟ اذا كنت تهوى فلا تستصعب
نيل من تحب. وان كانت لك بنية صعبة المنال فلا تياس من الظفر بها فان
كل شيء سهل المنال في الشباب. اترون هذه السماء؟ انتم تظنونها بعيدة.
ولكنني استطيع ان انا لها بيدي. اتريدون ان اثب وثبة فابلغها. اكاد والله افعل
ذلك واجني لكم قطاف الجوزاء وازهارا من المجرة. هات الكاس يا صاح
ولنشرب. املا كاسك يا بكر. اشرب الخمر فترى السماء تحت رجليك
والشموس حواليك وترى ذاتك جالسا بين حوريات النعيم تقبض على ازمة
القضاء واعنة الاماني. اشربوا يا اخوان.

افرح الندمان الكوموس وهتفوا وقد عزفت الاوتار بشدة خفق لها قلب
السكينة فطار شعاعا. واذا بصوت زاجر جهوري قد علا من وراء المتنادمين



هاتفا بلهجة التهديد والتعنيف .

— ويحكم يا اثقياء يا بني الطعام . هلا كففت عن المنكرات وامتنعتم عن شرب الخمرة وازعاج المؤمنين في ما تفعلونه من القبائح علنا .

فجمد القوم وخمدت نار طربهم ونشاطهم فظلوا ساكنين ما عدا واحدا منهم قال واجلا بلهجة ضعيفة .

— اهلا ومرحبا بابي الطيب . تفضل يا مولانا . على الرحب والسعة . فزمجر ابو الطيب غضبا ودنا منهم فابرزت الظلمة ملامحه فظهر بقرينهم قصير القامة دميم النظر وقال بصوت يهدج غضبا وبرفته رجل لا يبان منه سوى عمامته .

— اذا لم تنفروا في الحال وتكفوا عن شرب المسكرات والطرب اوقعت بكم النكال . وقد اتيت بكاتب القاضي معي هذه الليلة ليشهد على ما تفعلونه فاذا عدتم الى مثلها ضربكم الحد وفي اولكم ابن عمي الخليل عبد السلام . سكت الندماء . ولكن تذرهم الصامت كاد ان يملأ الفضاء واوشك غضبهم ان يتجسم ويكبر فيصل الى ما لا تحمد عقباه . فتدارك ديك الجن الامر وقال لاصحابه .

— لقد اكتفينا الليلة من الطرب فلنصرف . فقد شاء ابن عمي ان يذكرنا بطريقته اللطيفة ان الحياة ليست كلها طربا ولهوا فشكرا له على غيرته واهتمامه بهم بنا يا بكر وابقوا اتم يا اخوان اذا اردتم فلا بأس عليكم . فان ابن عمي لا يريد ان ينقص عليكم ليلتكم وانما يقصدني بلطفه وحدي . ويهتم بهديتي دونكم . استودعكم الله .

قال هذا ونهض من بين اصحابه مع صديقه بكر بن رستم . وبعد هنيهة

ابتلعتها الظلمة الرهيبة فاخفيا فيها كأنهما ذابا واندمجا مع دياجيرها .

* * * * *

لم يمش ديك الجن مع رفيقه على طريق المدينة بل سارا يتوغلان في غياض الميماس حتى وصلا الى الجسر قرب الطاحون التي بناها الرومانيون على العاصي فقطعا الى الضفة اليسرى وسارا في طريق غير مطروقة متوجهين نحو الشمال كأنهما يقصدان ان يهربا من العمران ويتبعدا عن الانسان

وبعد قليل خرجا من منطقة الرياض والبساتين ووصلا الى الوعر وهو سهل صخري على مقربة من ضفة العاصي اليسرى به تنتهي اطراف هضبات لبنان واذبال آكام عكار . وانبطت امامهم الارض مسقوفة بسماء النجوم تزلج عليها العين من افق الى آخر

وكانت الظلمة الباهرة تغطي الغبراء . وقد تفتحت عيون الليل الساهرة تفتح الاكام . وتنفس فؤاد السكون الصعداء . وكانت السكينة صافية رائقة روق الماء الزلال غامرة العالم كله بامواجها السحرية متصاعدة حتى السماء جالسة على عرش الارض بسلطان

بعد ان سار ديك الجن ورفيقه مسير نصف ساعة صامتين تلاعب بروحيهما يد الحزن غير منصتين الى همس السكينة او مهتمين بسماع ما تتنفسه الارض من الاسرار اذا بالطريق قد قادتهما الى ضفة العاصي . فجلسا ليستريحا وقد طفق قلب ديك الجن من الحزن ونضج من الاضطراب والحنق على ابن عمه وما ياتيه نحوه من الاضطهاد . فقد كان ابو الطيب يتعقبه في كل خطراته حتى انه ليعكر عليه كل مجلس صفو ويثقل عليه وعلى خلانه . ويستخف بهم امام الناس

ولكن اضطراب نفسه ما عثم ان نعس في داخله فخفت وطاته امام
السكينة المظلمة المحيطة بالارض

وفي هذه السكينة المعكرة بهمس الخريز، وفي تلك الظلمة المظلمة يضيئ
النجوم تمايلت على الشاطئ الثاني اشجار روض لم تبتينها العين في الظلمة
الا اضمامة واحدة. فآثر لونها في دماغ ديك الجن وخيل له انه يستنشق من
تلك الغابة رائحة طيبة لطيفة تخضع نفسه بتأثيرها ولذتها وانه يشعر في تلك
الرائحة الزكية شعور من يقبل عادة نائمة قد انفتحت شفتاها الورديتان نصف
فتحة.

وخيل له ايضا ان ما يسمعه من خريز المياه ليس خريزا بل انما هو قلب
السكينة يلقى دقات مسموعة في نفسه. وان النسيم الذي يلامسه ليس نسima بل
انما هو جسم الظلمة الرقيق وقد طعنته رماح النجوم فالتصق بجسم ديك الجن
مذعورا متشبها مستغيثا.

واتصل باذن نفسه رنين الليل السري يدوي كأنه هتاف قلوب الاف من
العاشقين الذين لوعهم الجوى. وسمع ذلك الرنين الاصم الشفاف آتيا من
اعماق الظلمة الناعمة كأنه رنة اجراس صغيرة فضية او طنطنة قيثار
صغيرة تحركها انامل الاثير. وهذه الطنطنة وذلك الرنين هما صدى الحان
تنشدها الارض في عناق السكينة بالاف من الاصوات السحرية. او هما تدفق
دم الحياة في العروق المنبجعة.

وبينما هو في نصف غيبوبة اذ ابريقه بكر بن رسم قد وكزه مشيرا الى
الجهة المقابلة. فاتبه وتامل متوجعا كأنه زهرة اقلعت يد اليقظة من روضة
الاحلام والاماني. ولكن الموسيقى التي كان يسمعا في غيبوبته لم تصمت

بل ازدادت جلاء وقوة آتية على صهوة النسيم من عبر النهر وقد ابتلعت الحانها
انغام الخريز والحفيف وتدفقت موجة واحدة صاعدة الى السماء.

اصاخ ديك الجن بسمعه قليلا فادرك ان هذه الالحان الجميلة ليست من
عالم الاحلام بل من عزف البشر. ونعمن قليلا في الظلمة فرأى من خلال
اشجار الروض بضيئ نور تغالبه الظلمة ورأى على ذلك النور شبه اشباح تروح
وتجى. وتمايل كأنها جنيات ترقص امام فريستها فنشط كمن حل من عقاله
وقال لبكر.

— هلم بنا نقصد تلك الغابة. فاني اخال ان الفردوس قد انتقل من السماء
الى الارض وان رضوان وحورياته قد احتلوا هذه البقعة الى وقت قصير.

اسرع الصديقان يتطلبان معبرا في تلك الجهة التي لم يطرقاها من قبل.
وبعد قليل وصلا الى الجسر المعروف بجسر طاحونة خرخر فقطعاه عائدتين
الى منطقة الرياض والبساتين. وعرض لهما بعد الجسر مرج كبير على ضفة
العاصي فسارا تفرق ارجلها في مخمل عشه الرطب قاصدين غابة الحور التي
بدات تتجسم اشجارها امامهما كقامات اناث الجبابرة.

بين الاشجار على مرجة صغيرة تجلت للرفيقان نار مومججة يشب نورها من
جهة الى جهة ويلتطم بالظلمة العنيفة فيتهاذى قليلا ثم يسري في عروقها ويطرد
الظلال الكثيفة الى تحت الاشجار البعيدة الهاجعة. ثم تضيء اطرافه بين زخارف
الاوراق والاغصان.

وعلى مقربة من النار فتيات في ثياب بيضاء يشبهن سربا من عذارى الجن
قد جلسن في حلقة يعزفن على المعازف وينشدن الاغاني باصوات مطربة وفي
وسطهن غادة يشع منها الجمال ويقطر منها الدلال ترقص على انغام الالات

رقصا مدهشا فتأخذ حركاتها بمجامع القلوب.

نظر ديك الجن الى الفتاة الراقصة ولم يستطع ان يميل عنها نظره فلبث جامدا يتطلع اليها كان نظراته قد سمرت في قامتها الجميلة بمسامير سحرية. وشعر ان روحه قد فارقت جسده ومالت بشكل نسمات لطيفة بين قدود تلك الغايات حتى وصلت الى الفتاة الراقصة فعاثتها ملتفة حولها في عاصفة الرقص. ولما فترت حركات الراقصة الحسناء نهضت الفتيات ما عدا العازقات وألفن حلقة حولها وبدأن برقص جميل متناسق فاخذت الغادة مزهرا وداعبته باناملها اللطيفة وانشدت بصوت جميل بيتين وضع لهما لحنامطربا احدا العراقيين فاشتهر اللحن، والبيتان لديك الجن :

انت حديثي في النوم واليقظة اتعبت مما اهذي بك الحفظة
كم واعظ فيك لي وواعظة لو كنت مما تنهأ عنك عظة
فسرى صوتها الجميل في عروق ديك الجن حتى بلغ صمامة قلبه ففتحا
فطارت بقايا الحزن من فؤاده واحتلت مكانها عاطفة واسعة لطيفة ادفأت
جسده وروحه وكادت ان تصهر مبهجة ونمددها لتسع كل المسكونة وتغمرها
بالحب واللفظ. فصاح الشاعر من قلب قريح وقد برّح به الطرب
— آه. احسنت لا فض فوك.

وقع هذا الصوت على الفتيات وقوع موجة هبطت فجأة على النار فاخذتها
فصرخت الفتيات خشية وروعا وترا كضن مذعورات من هذه المباغلة. ولكن
الغادة التي كانت ترقص بينهن سكنت روعهن. واخذت مصباحا فتقدمت نحو
الجهة التي صدر منها الصوت وصاحت متسائلة.

— من الرجل المخترق حرمة الادب. وماذا يتبغي في سكون الليل؟

فتقدم الرفيقان خارجين من مكمنهما. وامعن الشاعر النظر في الفتاة فاذا
هي على جمال لم يخلق الله مثله. فتحركت في فؤاده موجة كبيرة حارة
تلاطمت اطرافها على شواطئ جوانحه ونم تنكسر بل تدفقت مياها — مياه
البيام والخشوع والجوى متغلغلة في كل جارحة من جوارحه. فقال وهو يشعر
بحركة لم يالها في جنانه.

— عفوا ايها الحسناء. نحن غرباء عن هذه البقعة. وقد عطشنا في طريقنا
ورائنا هذا النور فقصدناه مستقيين.

— ويحك يا طفيلي. اتيتنا مستقيا والعاصي امامك. ما اقبح عندك.
فوجم ديك الجن وقد اسقط في يده وخفق قلبه من نظرات الفتاة العابسة.
فتدارك بكر بن رستم الامر وقال.

— لا تلومينا يا زين النساء. فهذا ديك الجن الشاعر وانا رفيقه. قد كنا
مارين فسمعناك تترنمين بيتين لرفيقي. فاجذبنا ناركم كما يجذب النور
الفراشة. وهل في هذا من حرج؟
فابتسمت الفتاة وقالت.

— لا اخالكما الا طفيليين. ولو كان رفيقك شاعرا ما كان طفيليا.
— انه وعيشك شاعر حمص الذي فتن اهل العراق.
— اذا كان رفيقك الشاعر الذي تذكره فليرتجل لنا ابياتا توه كد صدق
دعوتيه.

قالت الجارية هذا والتفتت الى رفيقاتها فاقتربن منها وقد سكن روعهن
لدى روية الشابين وعلمهن انهما لا يريدان شرا.

فابتسم ديك الجن ونظر الى اعماق عيني الفتاة. وكان ما رآه هنالك من

المعاني والاسرار هاله فمسح جبهته وقال مرتجلا

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الومن
كي استريح وتنظني نار تومجج في البدن
دنف تقلبه الاكف على فراش من شجن
اما انا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فاحمر وجه الفتاة قليلا وقالت .

— الاشعار لا باس فيها . ولكن من لنا بمن يقنعنا انها لك وانك لا تحفظها
من قبل فرويتها لنا لتباهي بها .

— لقد كنت استطيع ان ارتجل سواها اكراما لك ايتها الحسناء . ولكنك
قد تنسينها كلها لسواي كما نسبت هذه . بيد اني ساغير لك هذه الساعة قافية
هذه الايات فتقتنعين ان الاشعار لي لا شريك لي فيها ولا منازع .

— هات لنرى

فانشد ديك الجن بصوت متهدج من الهيام وهو لا يرفع نظره عن الفتاة

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت المنام
كي استريح وتنظني نار تومجج في العظام
دنف تقلبه الاكف على فراش من مقام
اما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فسرت ابتسامة طافحة في وجه الفتاة وقالت .

— احسنت . ولكن تغيير القافية مرة واحدة لمن اسهل الامور فهل لك ان

تغيرها مرة اخرى لاصدقك؟

— ومرتين اذا شئت يا كريمة النسب . ثم انشد

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الرقاد
فعسى انام وتنظني نار تومجج في الفؤاد
دنف تقلبه الاكف على فراش من قتاد
اما انا فكما علمت فهل لوصلك من معاد

ثم انشدتها مرة اخرى مغيرا كلمات آخر الايات على هذه الصورة .
الهجوع . الضلوع . دموع . رجوع .

— قد صدقت انك شاعر ماهر . ولكن كونك شاعرا لا يسوغ لك ان تهجم
على اوانس حرائر في مجالسهن المصونة .

— ولكنكن ايها الحسان جالسات في البرية لا في الخداركن .

— ان هذا المكان وما حوله مع ذلك الدير الصغير والقرية التي بجانبه
واسمها الدوير هو حمى لنا النصارى لا يتخطاه المسلمون اكراما لشواعرنا . فهو
لنا منزل واحد بلا اسوار . وخدر لا يحجبه الا الوقار . وقد جرت العادة ان نخرج
اليه نحن عذارى النصارى من المدينة في بدء الربيع يوم الاثنين اول الصوم
الكبير الذي ندعوه نحن «اثنين الراهب» ونعيد الكرة عليه بين كل آونة
واخرى فنقضي نهارنا وليلتنا بالنزهة واللهو . فجئت الليلة انت ورفيقك وافلست
علينا لهونا . ولولا انك من اهل العلم والادب لطرحت صوتا يخف اليه كل
سميدع من شبانا فيطردونكما طردا شائنا . اذهبا في طريقكما .

— ولكن من يبصر جمال وجهك ولا يضل الطريق؟

— هوذا الطريق امامكما تسلكانها حتى تبلغا القرية ومن ثم تريان على ضوء

النجوم قبب مقام السيد خاند بن الوليد فلا تضلان الطريق .

— شكرا لك يا ربة الخدر. ولكن هل اذا صرت نصرانيا يتاح لي ان
اخترق حرمة هذا المكان واشاهد جمال هذا الوجه الفتان؟

— استعنت عليك بالله ايها الشاعر الماكر

— ان الله الذي استعنت به جميل ويحب الجمال. وقد قال نبينا — «الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكرت اختلف» وارى روحي تحوم
حول روحك حتى تكاد ان تمازجها. فروحي وروحك موءتلفتان رغم تفاوت
الاديان. وقد قال نبينا ايضا — «المرء على دين خليله».

ثم التفت الى رفيقه وقد طفح وجهه بشرا وقال

— ايه بكر بن رستم سليل الاكاسرة الكرام. احفظ عني هذه الايات التي
اوحتها اليّ محاسن هذه الانسة الكريمة.

لما نظرت اليّ عن حلق المهى وبست عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان اهيف وكبيب غصن عقلة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك خاضعا وعزمت فيك على دخول النار
ثم صمت. وبعد دقيقة سكوت حبي الفتاة مودعا ومار مع رفيقه. ولكنه ما
عتم ان وقف والتفت نحو الفتاة سائلا مستعطفا

— هل لك يا ذات البهاء ان تنعمي عليّ بمعرفة اسمك. لكي استنزل به

الالهام في خلوات الوحي.

فتضاحكت الفتيات ولكن الغادة اطرقت وقد توردت وجنتاها وقالت.

بصوت يقرب من الهمس

— اسمي ورد بنت الناعمة

— ما احيلى هذا الاسم واطيب شذاه. منذ الان اصبح اسمي عبد ورد لا
عبد السلام.

٢

هبّ ديك الجن من فراشه قبل الفجر تاركا اياه كما يترك السجين ظلمة
الحبس بعد ان حاول طول الليل ان ينام فلم يغمض له جفن. وفي قلبه من
حب ورد ما لا يسهه فوءاد بشري الا اذا كان قلب شاعر كبيرا يضم الكائنات
ويغمرها.

انه احبها بكل جوارحه منذ اول نظرة. ولكن اليأس كان يعكر ينبوع اماله
كلما فكر في حب نتائج عقيمة. كيف لا وهو حب شاعر مسلم مندفع مع اهوائه
لفتاة نصرانية عفيفة الطرف كريمة الاصل. فقد كان النفور مستحكما في
تلك الايام بين ابناء محمد المتنصرين وابناء النصرانية المغلوبين الذين لم
ينسوا انهم كانوا منذ عهد قريب اسياد البلاد.

خرج من منزله في الحي الشرقي هائما على وجهه. فابصر الفجر قد عرّى
الارض من لباسها كما يعري النخاس الاماء في سوق الجواني. وشاهد يد
الصباح الضئيلة تحول المدينة المهيبة الرابضة في الظلمة الرقيقه الغبراء الى
بيوت ودماكر مخيفة مسجونة بين الازقة.

فسار على غير هدى يتلهى بافكاره ولا يعلم الى اين تسوقه قدماء حتى شعر
بعد تطواف طويل بضنك وتعب. فارجعه الوصب من جو الخيال الى دنى
الحقيقة فشاهد نفسه على ضفاف العاصي قريبا من غابة الحور التي كانت
بالامس مسرحا للفتيات.

سبحت خيالات الصباح في لوقيانوس الجو. ومدت الشمس يديها بالاف
من الاشعة العناق جسم الارض. فتموجت لبحج الاثير بين مدالالوان وجزرها.
وبكت الارض شغفا وسعادة للقاء الشمس قتلات دموعها نقطا المامية من
الندى المستقية على اراجيح الاوراق والبراعم. وبسطت الظلال طنائها
المخملية تحت اروقة الاشجار وهب النسيم عيلا متدفقا آتيا بسرعة من الغرب
كساعي بريد مستعجل فابلق رسائله العطرية المرسله من القمم الى السهل فطابت
باربعها الافاق. فلما تنشقت البلبل رائحتها ناغت وسبحت باصواتها فهزت
اشجار الحور رؤوسها بعظمة وسمعت في حفيفها انات طرب وحنين كأن في
اصولها تحت الثرى روح طروب ونوع بالغناء يصرخ مستعبدا للنشيد ويستحلف
الشادي الأيكف.

اما العاصي فكان يجري في منحدره متدفقا بسرعة وقد نشطت مياهه
وهرعت في جريها تراحم نفسها كأنها فرس كريمة تجري في المضمار والزبد
على اشداقها. وكان للمياه هنالك خير وهدير ولا سيما حيث كان العاصي
ينقلب ظهرا لبطن منحدرها دفعة واحدة بكل قوته من شلال «خرخر» الجميل
مسرعا بفروغ صبر لتقطع امواجه المسافة الشامعة التي تفصلها عن
احضان حبيبها البحر.

كل هذا لم يؤثر على مخيلة الشاعر الذي اعتاد ان ينظم من كل مشهد
من هذه المشاهد قصائد برمتها بل نظر الى الطبيعة بعين غير مبالية. ثم قصد
غابة الحور ملتصقا متحفرا وهو يحسب انه سيباغت الفتيات هنالك كعهده
بالامس.

كان المكان خاليا خاويا قد تربعت فيه الظلال تحت رواق كثيف. وخيل

لديك الجن انه يسمع في حفيف الغابة ضحكة مستهزئة. فتتنفس الصعداء كان
صدره بر كان يقذف الحمم والصخور. وجلس يائسا في طرف الغابة تحت
شجرة مزهرة من الزيزفون يراد ازهارها النسيم ويقتصب منها لربحها العذري
معتديا على حياثها بين اشجار الصفصاف المتفلية في الشمس على اقدام العاصي.

وبعد استراحة هجعت فيها نفسه الظامئة هب قلبه مذعورا على صوت فتيات
ماثرات بالقرب يتكلمن وسمع ديك الجن قهقهتهن وكلامهن فاصاح اليهن
بكل جوارحه وقد خفق قلبه وكاد ان يشب من بين اضلاعه

— اضحك معي يا صبايا على ورد. فانها لم تنم الليلة البارحة

— لعلها عاشقة...

— الم ترين انها لم ترقص البارحة ولم تنم بعد ذهاب ذينك الشاين
الشاعر ورفيقه اللذين تطفلا علينا بالامس.

— اذا كانت قد عشقت فلا حرج. ولا سيما ان ذلك الشاعر ورفيقه من

اجمل شبان حمص. وقد ضرب بهما المثل. ولكنهما... مسلمان...

— كفا كن هذرا يا صديقات. وهلم بنا الى النهر فقد صهرت الشمس الهواء.

واشد الحر. فيها لنغتسل قبل ان ياتي احد من الرجال.

ابتعلت الاصوات في جهة اخرى. لان الفتيات ذهبن الى مكان بعيد عن

الشلال الصغير ليستحممن.

فلبث ديك الجن في مخبئه هنيئة يتلمس فيها افكاره وعواطفه ويسائل فيها

نفسه. — اصحيح يا ترى؟ اصحيح ان وردا تميل اليه ام ذلك مزاح من الفتيات؟

وبعد ان شبع من الاماني وتعب من حسابان ما يتوقع نهض وترك غابة

الحور قاصدا المكان الذي ذهبت اليه الصبايا. فانبط امامه مرج تتدلى اقدامه

الى النهر. وراى على منتهى ضفة العاصي شجيرات من الصفصاف تغطس اغصانها في الماء. فصار مستترا بها حتى طرقت اذنه رنة ضحك الفتيات. فالتصق بالارض مخبئا واجال طرفه في ما حوله.

كان المرح يرتجف شوقا وهياما ويقبل الشمس والهواء والسماء. والنهر — وقد سال مترقفا لا اثر فيه لشكوى الخربير — تتعم مياهه متقلبة في عناق متوهج. . . . في عناق من؟

في عناق فتيات سجد الحسن تحت اقدامهن وتسارعت ذرات الاثير النيرة للثم اجسامهن بكل شفة.

مثل لعين الشاعر هنا مشهد من اجمل المشاهد واجلها واعظمها. الا هو امتزاج الانسان بالطبيعة.

اجسام جميلة ناصعة باهرة. وشباب زاهر. وسرور خالص — هذا ما قدمه الانسان.

نور متدفق منشط. وماء مترقق وريعي يغمر الكون — هذا ما قدمته الطبيعة تمازجت هذه كلها في منظر واحد وتحركت مشاهد متقلبة امام عيني ديك الجن. فحدد بصره وارسل له العنان مقلبا اياه بين تلك الاجسام الوردية المتنعة في عناق الماء حتى عرف بينها قامة حبيبته ورد. فاستقر عليها كما يستقر الطائر على شجرة وحيدة في القفر.

اجتلى بصر الشاعر محاسن حبيبته المتعددة عن بعد وتصورت له بازاء هذا المشهد جنة الخلد بافراحها فتغل عليها مفضلا هذا المنظر واثرت الصور الشبيهة بالرومي امامه على مخيلته فتجرد عن كيانه الجسدي ومارت روحه محلقة فوق النهر حتى بلغت الفتيات المستحبات فامتزجت بينهن مشاركة اياهن في

الضحك واللعب.

وكان سرب الفتيات يستحم في الماء بلصق الشاطئ. تحت اغصان الصفصاف المخيمة فوق الماء فظهرن للعين كالزنايق المائية البيضاء. وكن لا يتجرأن على اتوغل في النهر لجهلن السباحة. ولكن وردا انفصلت عنهن بعد هنية مستقلة على ظهور الامواج لعلمها بالسباحة بعض العلم.

وبينما روح الشاعر تسبح متنقلة من غبطة الى اخرى اذا بها خفت مرتاعة في جسده وقد سمعت صوت استغاثة اليمة صادرة من النهر تلتها اصوات الفتيات مستجندات. فتطلع ديك الجن فراهن قد هرعن الى الشاطئ مذعورات فلم ير بينهن وردا. فاستولت على جسده قشعريرة باردة وهب من مخبئه واجال نظره الحاد فراى عن بعد جسدا يعارك مياه النهر وقد اوشكت ان تبثله. فعرف به جسد ورد الناصع وقد تغلبت عليه امواج النهر الغدارة.

كالشهاب المنطلق من سجن الابدية قذف ديك الجن نفسه في النهر وكان مباحا ماهر فخاض عباب الامواج غاطسا المرة بعد الاخرى حتى خرج بعد دقيقة من بين الامواج الفاغرة فاها وعلى يديه جثة ورد بلا حراك ثم سبح بصعوبة حتى بلغ الشاطئ فوضع الجسد العاري على عشب النهر واكب فوقه لا يجسر على لمسه وهو لا يعي ولا يدرك ماذا حدث ولا يعلم ماذا يجب ان يفعل. انبسط جسم ورد الناصع على المرح بلا حراك وقد ازدادت نصاعته. وكان كل شي ما حوله يتحرك. فالفراشات والعشب والودود على الاشجار والبراعم واشعة الشمس كل هذه كانت تتحرك. وكانت عملية الحياة تتم في كل ذرة من الطبيعة الا في ذلك الجسم البض البارد.

نظر ديك الجن الى امارير ذلك الوجه المتجمدة والى تقاطيع ذلك الجسم

الهامة ثم مد يده بتأني ولمس بها صدر الفتاة كأنه يلمس بذلك قدس الأقداس فاحس ببرودة اخترقت عظامه وكادت أن تصل إلى روحه.

وكانت الفتيات يلبسن ثيابهن مختبئات بين فروع الأشجار والانبجاء وفد عقد الرعب لسانهن فلم يجسرن على الظهور والكلام.

فسجد ديك الجن على ركبتيه أمام البتة كما يسجد المؤمن لمناجاة خاشعة أمام ربه وتلك روحه صالة حارة لم تسعها الألفاظ البشرية. ثم تصاعد من قلبه نداء اليم لا عجب يشبه زمجرة العواصف تجسم فيه كل معنى الحزن والتضرع. ثم لم يطق الاحتمال فأنحنى على البتة يبكي.

وكان دموع العاشق الحارة اخترقت دروع الموت الباردة وسقت فتيلة الحياة المنطفئة بزيت حار ثم أشعلتها فسرت الحرارة في عروق الفرقة فبدأ القلب ينبض نبضات خفيفة. وبعد هنيهة فتحت ورد عينيها الكبيرتين فرأت الشاعر يبكي فوقها فتعلمت تلملم من يتخلص من وثاق ثم رفعت رأسها بصعوبة واجالت نظرها في ما حولها فعرفت ماذا جرى وفهمت أن الشاعر الحزين هو منقذها. ففرست فيه بعطف وحنان غير مكرثة بصديقاتها اللواتي اتين يسترنها بالثياب. وبكل ما في القلب من قوى الحب ومعرفة الجميل والميل إلى الحياة مدت يديها إليه بطيئا وقلبا يخفق كمصفور خائف والقت بنفسها عليه.

وهناك لأول مرة ضمها ديك الجن إلى قلبه. وهناك في عناق أشعة الشمس المخدرة شرب كأسا طافحة من قبلاتها وهو يسر إليها كلمات الحب والهيام. وهناك تعانق الإسلام والنصرانية في شخصين محبين هازئين بأجيال

من الخرافات والضغائن والشرائع الفاسدة.

* * * * *

لم يذع في حمص خبر كان أكثر دهشة وأعظم غرابة من خبر حب ديك الجن للفتاة النصرانية وعزمه على الزواج بها.

جاء يوم العرس بأفراحه. فاشترك فيه بنو الإسلام وإخوانهم بنو النصرانية نازعين الاحقاد من قلوبهم. ولما جلت الألوان والعقائل العروس مكللة بالازهار على ختنها أمام الحضور دهش كل من رآها لجمالها الرائع ومحاسنه الناضجة ومعانيه الساحرة فاخذ ديك الجن يدها وانشد فيها تلك الايات الشيرة التي تناقلتها السنة الرواة فخلدتها. وها هي.

انظر الى شمس القصور وبدرها	والى خزامها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ايضا في اسود	جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنت يختبر اسمها	من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها	عجبا ولكني بكيت لخضرها
تسقيك كأس مدامة من كفها	مقرونة بمدامة من ثغرها

٣

مضت اشهر برمتها على ذلك اليوم الذي ادخل فيه ديك الجن زوجته النصرانية الى منزله بعد ان ولع بها بين الرياض وانتشلتها من فم الامواج اشيرا برمتها ظل العروسان يتبادلان الحب ويحتنيان من اثمارة الدانية القطاف وتلذذان بسعادتهما دون ان يرتويا منها. ودون ان يعكرها مكدر وكان ديك الجن في سعاده العظمى يشعر انه قد اصبح ملكا عظيما جليل.



الشأن تخضع له الاقاليم ويخضعون له ان مملكته واسعة لا حدود لها ولا نهاية وان فيها كل الغنى ومنتهى العظمة وخلابة السعادة . كيف لا وقد كانت تلك المملكة حبه الواسع البهين - ذلك الحب الذي املأ جوارحه كلها وكاد ان يفيض منها فيملا الدنيا بأسرها !

الا انها لمملكة واسعة هو فيها السلطان المطلق . وفيها جنات ووحدات وانهار مقدمة وبحار وجداول واخضرار وكنوز - كلها له - وكل هذه المملكة الواسعة العظيمة محصورة في امرأة جميلة حلوة الشائل ، نقية زاهرة كاشعة الاصيل ، رقيقة كتف ، شفاقة المحاسن لطيفة كذرات الاثير القريبة من عرش الله . غفل ديك الجن عن الدنيا بأسرها ولم يعد يهتم باحد سوى زوجته الحبيبة الحسنة . وكأنه نسي ان في الكون سواها من البشر فلم يشغله عنها لهو ولا عمل ولم يحفل بالايام والسنين ولا بمظاهر الطبيعة من ربيع وخريف او شروق وغروب . ولماذا ينبغي ان يحفل ؟ اليس ابتسامة ورد شروق الصباح واغضاؤها هبوط الظلمة ؟ اليس الربيع مزدهرا في محاسن وجهها والشتاء اما هو اعراضها ؟ وكان بكر يزورها بين كل آونة واخرى مغتبطا بسعادة صديقه الشاعر متمنيا له دوامها . وطالما كان يعيد وصديقه ذكرى تلك الليلة التي قادهما فيها القدير الى غابة الحور في الدوير - تلك الليلة التي هجم فيها ابو الطيب على حلقة صفوها فمكر صفاءها وحال بين لهما والذتهما واضطرهما الى مبلوحة الميما والهيما بين رياض لم يطرقاها من قبل .

وقد نسي ديك الجن عدوة ابن عمه ولجأته . وكان اذا ذكره بكر امامه بكلمة جارحة يقول .

— انا لا اذم من كان السبب في اظهار بدر مضيء في سماء حياتي المظلمة .

ولا العن من سدد خطواتي نحو فردوس جامع ظفرت فيه بالسعادة والراحة . اما ابو الطيب فكان يتودم قليلا لديك الجن ويظهر له الحب مضمر عكس ذلك . فقد كان لا يزال يحقد عليه في قلبه منذ زمن لغير ما سبب سوى الحد . وكان ديك الجن قد هجاء قديما بقصيدة جارحة لحواله بينه وبين ما يؤثره وياتيه من ملذاته ، ولابرامه اياه في كل فرصة ، فزاد ذلك في حنق ابي الطيب فاضمر الشر في قلبه الاسود لابن عمه . واثار كامن حقه في الملة الاخيرة زواج ديك الجن بورد الحسناء ، واغضبه ما رآه من سعادتهما ، فصمم على ان يكدر صفو حياتهما بكل واسطة ممكنة . وكان ديك الجن قد استدان منه مقدارا من المال لاسعاف بعض اصدقائه فقام الان ابو الطيب بطالبه بالمال مشددا متهددا بشكواه الى القاضي .

وكان ديك الجن متلافا لا يبقى على مال . ترك له ابوه ثروة ونال هو ثروة مثلها من الاميرين الهاشميين احمد وجعفر ابني علي اللذين كانا يحبان له لاختصاصه اياهما بقضائده . ولكنه اتلف كل ذلك الغنى بكرمه وتبذيره . فلما جاءه ابو الطيب مطالبا لم يجد في صندوقه فلما يدفعه . فافاق من احلام سعادته . واستعمل ابا الطيب فلم يجد منه سوى قسوة تسعى في اسكانه السجن . فلم ير لنفسه مخرجا سوى ان يقصد صديقه الامير احمد بن علي في مدينة سلمية ويستدين منه المال المطلوب . فودع وردا والحزن يصدع فؤاده ولاسيما لدى رؤيته هلمها لفراقه . واوصى صديقه بكر ان يعتني بعياله ريثما يعود . وسافر وهو يعلى نفسه بالعود سريعا .

وشيعه بكر الى خارج المدينة ، فلما خرجا من الباب الشرقي المدعو بباب تمر انبسطت امامهما الصحراء الواسعة فعاث بكر صديقه وقال له .

— ان قلبي يحدثني باننا ان نلتقي . فاني ما زلت اشعر منذ ليلتنا في العياس بان يد القضاء قد اخذت تشد خيط حياتي شدا عنيفا ، واحس في صدري بهواجس سوداء اود ان اهرب منها ، ولكن هيبات ان يغني حذر عن قدر .
فهدأ ديك الجن روعه قائلاً .

— لا تكن فريسة السويده يا صاح . فما بك من سوء سوى روعة الفراق .
ولقد اذكرني بما جاء في احد الكتب السماوية بلسان الله عز وجل اذ قال —
« ان مما عاقبت به عبادي اني ابتليتهم بفراق الاحبة . » واراني منذ الان شاعرا بشدة وطأة هذا العقاب الصارم فبعيثك ايا الصديق لا تتخل عن ورد وفرج همها في غيابي لئلا تسمي فريسة الاحزان .

بكى الصديقان وودع كل الاخر مشعرا بانه يودع قسما من نفسه . ومار ديك الجن في اثر القافلة التي سبقته متوغلة في البرية . وعاد بكر الى منزل صديقه ليسلي وردا وبوءا سيها على فرقة زوجها .

ظفر ابو الطيب بما يتغيه ، فقد كان كل همه محصورا في ان يضعض اركان تلك السعادة التي بنت قصرها الشاهق في منزل ديك الجن . اما وقد افلح في البداية وفاز بابعاد من يكره وشتت شمل المحبين فلا بد له من المتابعة الى النهاية حتى يبلغ اربه من ابن عمه . عزم على ذلك عزمًا باتا ووضع لذلك الخطط .

واخذ يتردد على ورد متظاهرا بانه يريد خدمتها وقضاء حاجاتها في غياب زوجها ، ولكنها كانت تقرأ الشر في عينيه ولا تريد روعته . فاغضبه اعراضها ، ولا سيما ان جمالها اثار في نفسه الامارة بالسوء شباتها الدنيئة فعزم على بلوغ اربه مهما كلفه ذلك .

ترصدها يوما الى ان تيقن وحدتها في مقصورتها فدخل مرتديا بالابتسامة واللفظ متظاهرا باحترامها والتهالك في سبيلها وما لبث ان تطرق في حديثه الى التلميح ثم الى المكاشفة بالغرام . فردته ساخرة مؤمنة ، فاستشاط غيظا وهجم عليها كوحش ضار مفترس ، فدافعت عن نفسها دفاع اليأس حتى نفدت قواها واوشكت ان تسقط مغشيا عليها ، فقيض الله لها في تلك الدقيقة بكرا وقد جاءها برسالة من ديك الجن يخبر فيها انه سيطلق الاقامة في سلمية مضطرا . فلما سمع ابو الطيب خطوات القادم ذعر وفر من النافذة وهو يلعن ويتوعد . وراى بكر وردا مغشيا عليها فظن ان ذلك من حزنها لفراق زوجها . فاعتنى بها حتى استفاقت ، ولكنها كتمت عنه امر ابي الطيب ، وتولت اليه ان يكتب الى عبد السلام مستحشا قدومه .

اما ابو الطيب فظل ليلته كلها يفكر عالما انه وقع في ورطة لا ينجيه منها الا الحيلة . فقد خشي ان تخبر ورد بكرا بامرهم فيصل الخبر الى ديك الجن فيدفعه غضبه الى الجريمة والفتك بمن حاول امتحان حرمة . وبعد تفكير طويل اوعزت اليه نفسه الشريرة امرا رهيبا . فجلس للحال وكسب الى ديك الجن رسالة يساله فيها القدوم في الحال مخبرا اياه ان وردا تهوى بكرا ، وانه تخونه ولا تخشى المغيبة ، وان ذلك معروف في المدينة يتحدث به القوم من اقصاها الى ادناها . ثم استدعى غلاما له وامره بالارتحال الى سلمية وتسليم الرسالة الى ديك الجن يدًا بيد ، واوصاه ان يلازمه ويقدم معه اذا تحفز للسفر الى حمص حتى اذا اقترب ديك الجن من المدينة يسبقه الغلام ويوافي ابا لطيب بخبر قدومه .

ولم تمض ايام فلانل حتى عاد الرسول مسرعا في عصارى احد الايام

واخبر ابا الطيب ان ديك الجن قادم وانه تركه وراءه على قيد مرحلة من حمص. فتنبأ ابو الطيب لملاقاته وبسط الاشرار التي كان يبيتها في نفسه الابليسية.

ثم لقن غلامه كلاما يقوله وارسل يدعو بكرة، فجاء هذا مسرعا فرى ابا الطيب يبكي ويعول وينادي بالويل والثبور. فقال ما الخبر، فقص عليه الغلام ما لقنه اياه سيده من البهتان وهو يتكلف الحزن في كلماته.

— كنا قادمين من سلمية فلما صرنا على مقربة من احدى الخرائب تعرض لنا رهط من قطاعي الطريق، فنصحت سيدي ديك الجن بالهرب ولكنه ابى وثبت لقتالهم مع رجال القافلة، فرجحت كفتنا على اللصوص وهزمناهم ولكن سيدي خر قتيلاً في اثناء المعركة، فتركت جثته مع القافلة وسبقت القوم لالخبركم. واظنهم سيصلون عما قريب.

جمد بكر في مكانه غير مصدق ما حدث. واستغرق في غيبوبة صغيرة ايقظه منها عويل ابي الطيب الكاذب. فنظر الى ما حوله متالكا نفسه ولكن قلبه فاض بالحزن فبكى وقال.

— ان انقباض قلبي منذ امد دلني على مصيبة قادمة. وها قد نفذ القضاء. والاسفاه! الهني عليك يا سيد الشعراء وزين الخلان! ويا ليتني كنت معك لادافع عنك او لافديك بنفسي... قبحا لك يا ابا الطيب فانت الذي فجعتنا بشاعر حمص. لولاك لم يمت ديك الجن. انت كنت سبب موته بتشديدك المطالبة. فاستخرط ابو الطيب في البكاء. وقال وصوته يتهدج من الحزن الكاذب

— اني لم ارد سوا لعيد السلام رحمة الله عليه بل احببت ان لا ينقطع عن الناس فينساه اصدقاؤه. اواه! لو كنت اعلم ان الامر يفضي الى هذه الفادحة

لفديته بنفسه، ولكن لا مرد لقضاء الله. فسر بنا يا بكر لنستقبل جثته، فقد حان ان تصل الى المدينة. ولناخذها الى منزله ليلقي عليها الادل والخلان نظرة الوداع. مسكينة ورد! ماذا سيحل بها. هلاً ذهبت اليها يا بكر بنفسك وهياًتها لاستقبال المصاب لثلا يهبط عليها دفعة واحدة فيقتلها. اذهب بربك ودعني استقبل الجثة وحدي.

فمسح بكر دموعه وقد شعر بعظم المهمة التي القيت على عاتقه فتقطع فواءده ملثماً لعلمه بهول الضربة التي حلت على ورد. وتنامى احزانه هنيئة لما تصوره من جسامة احزانها وعظم لوعتها. وكاد ان يحجم عن الذهاب اليها بادي. بدء ولكنه غالب نفسه ورأى الافضل ان يكون بجانبها في ساعة مصيبتها.

لما خلا ابو الطيب بنفسه بعد خروج بكر اغرب في الضحك واصابته نوبة من الجنل لتاكده انه اصبح قريباً من بلوغ غايته بما حفره لبكر وورد وما كاده لديك الجن من المكائد. الفخ قد اعد والفريسة سائرة سيرا حثيثاً اليه وقد اعمى القضاء بصرها.

الان يثار ابو الطيب لنفسه من ابن عمه ويمحو بالدم آثار الهباء التي لطخه بها ديك الجن وينتقم من ورد لصدها اياه، ومن بكر لاخلاصه لديك الجن ويطمس بذلك على آثار المكيدة التي رسمها.

الا انها لمكيدة تعجز عنها صروف الحدثان ويقف عندها ابليس مقرباً لمعجز والقدامة.

خرج ابو الطيب من منزله وهو يشعر بلذة الظفر والانتقام وسار حتى بلغ باب تدمر فجلس خارج المدينة على الطريق ينتظر قدوم القافلة من سلمية. وبعد قليل رأى غباراً متصاعداً وسمع طنين الاجراس فتنبأ لمقابلة ابن عمه. ولما

تبينه بين القوم هرع اليه متظاهرا بالشوق وقبله وطيب خاطره. اما ديك الجن فكان قد تغير وحلت في وجهه علامات الشحوب والتعاسة محل اماثر البشر والسعادة. فان خبر خيانة ورد كاد ان يقضي عليه دفعة واحدة. فقد كان يحيا بحبها فاتي من اقلع من قلبه هذا الحب فاصبح جثة بلا روح. ولذلك لم يكثر بكلمات الترحاب الصادرة من ابن عمه ولا بما اخذ يقصه هذا عليه من اخبار الخيانة لا يغار صدره، بل قال له باختصار.

— مهلا ودعني ار وردا اولاً واسالها عن القصة. فبي لا تكذب.

فابتسم ابو الطيب ابتسامة مكرونا ببع المسير بجانب ابن عمه يهمس في اذنه انه ارسل قوما لمراقبة المنزل وانهم ابلغوه منذ هنية ان العاشقين مختليان به لا يحسبان حسابا لحادث وانه اذا سار ديك الجن معه توا الى المنزل يفاخهما ويرى بعينه حقيقة الخبر، فلا يبقى له من سبيل للتظاهر في الحلم والتوادة. فلمعت في عيني ديك الجن نار مخيفة وتشجج جسمه من موجة ياس شعر بها تتمدد في احشائه وتلطم سفينة حياته المتداعية لظما عنيفا لتفرقه. فسار مع ابن عمه صامتا يكاد ان لا يعي حتى وصلا الى المنزل فدخلوا متلصقين الى ان بلغا مقصورة ورد فرايا فيها نورا، فاشار ابو الطيب الى ديك الجن ان يتربص هنية، ثم نظر من ثقب في الباب الى الداخل ليعلم ما اذا كانت مكيدته مطابقة لحسابه، فلمح بكرا مكبا على ورد وقد اغمي عليها من الخبر الهائل الذي ظل الشاب ساعة لا يدري كيف يبلغها اياه وراه متحيرا في امره لا يدري كيف يرجعها الى الوعي فكان تارة يمسك بيدها وتارة يحل ازرار قميصها وشاهده اخيرا يحتملها ويضعها على السرير ويباشر بفرك يديها وذلك جبهتها ليوقظها. فادرك ابو الطيب في تلك اللحظة ان القدر قد ساعده باكثر مما

توقع. وراى الفرصة مانحة وبرائن القضاء متبينة لانشاب اظافرها في الفريسة وكان ديك الجن قد فقد صبره وارتجف من هول الانتظار فدفع ابن عمه ودخل الى الغرفة دخول الظل. فحفظت عيناه مما ابصر لظنه سوء في حركات صديقه ووقف متفرما يبكر ووردت فرس يائس حصره القضاء بين النار والهاوية. فلما راه بكر جمد الدم في عروقه وانتصب شعر راسه وتحدر عرقه البارد خوفا لظنه انه يشاهد امامه شبح صديقه المقتول. فرفع يده عن ورد مبهوتا مذعورا وعلى وجهه روع مبهم وفي قلبه خوف يغالبه الظن.

فلم يبق للشك مجال في قلب ديك الجن بعد ما راه من جمود صديقه فهبطت على دماغه غيمة ثقيلة مدلهمة، وتدق امام عينيه سيل جارف من الدماء وهزت رعشة اليأس جسمه هذا عنيفا فترجع منهاديا ووقعت يده بالصدفة على السيف المتدلي على جانبه.

ولم تكن الا لحظة سمع بعدها ابو الطيب من الخارج زمجرة ديك الجن وصراخه بصوت اجش مريع.

— آه يا خائن. آه يا خائنة.

وتلا ذلك صراخ اليم رهيب تراجعت امامه امواج السكينة مذعورة ثم طمسته الظلمة، وعقبه صوت سقوط جسم على الارض. فعلم ابو الطيب ان ما رغبه قد تم. فانسل في الظلمة مطمئن البال عالما ان الموت قد اخرس شفتين كان موته منوطا بهما.

* * * *

اضطربت نجوم الليل الساهية واومضت عيونها الناعسة وميض الجزع واشتد اصفرارها لما لمحته من شق الباب المفتوح — باب مقصورة ورد حيث كانت



السعادة بالامس مودقة مزهرة فجاء منجل القضاء وحصدتها قبل ان تينع وتثمر .
 وهب نسيم لطيف انقلب بعد قليل ريحا عنيفة صدمت الباب فاطبقته بشدة
 كأنها تريد ان تمنع عيون السماء من رؤية جريمة ارتعدت لها سكينه الافلاك .
 فافاق ديك الجن من ذهوله المسموم على صوت اغلاق الباب، فنظر الى جثة
 بكر المنبسطه امامه على الارض ثم الى جثة ورد وامسك يدها كأنه يريد
 ايقاظها من سبات لطيف وامعن النظر في تلك القامة البارزة المحاسن التي لم
 يستطيع الموت ان يشوه جمالها، وتجلى له في تلك الدقيقة جسم ورد مددا على
 العرج الاخضر بلا حراك بعد ان انتشله من النهر، فغلت مراجل حنقه لدى تصويره
 ان سواه كان يضم ذلك الجسم ويداعبه فنظر الى فوق نظرة لو كان لها قوة
 لهرزت اركان السماء وافلت يد ورد باشمزاز فسقطت واهية متروكة وحول
 وجهه عنها وقد اوشكت ان تنبجس من ما آقيه دموع اليأس والحنق — دموع
 لم يبكيها آدم على جنته المفقودة ولم يذرف مثلها ابليس على سمائه الضائعة .
 ثم تغلبت عليه عاطفة لطيفة اغرقت حنقه وياه في بحر من التناسي فشمع
 بميل واندفاع الى ان يكب على جثة حبيبته فيقبلها عضوا عضوا ويفسل بدموعه
 آثار الدم على الجرح الواسع في صدرها مستغفرا، نادما، متوجعا، متضرعا،
 ناسيا ما حدث . افليس هو الذي كان يوم ان الجمال والكمال واللذة
 حصرت في كيان زوجته اللطيفة كما تحصر الخمر في كاس تجمع بين اللذة
 والطرب والرقعة، اليس هو الذي كان يتوق الى جرعة من تلك الكاس؟ —
 ولكنه اهرقها وحطمها بيده!

فوضع يده على قلبه المتفطر وقد علم ان المحور الذي كان كيانه يدور حوله
 انكسر . وراى العوالم التي كانت تسير في فلك حياته تتلاطم وتفرقع

وتساقط الى الهاوية، وشاهد الحاضر القاسي يمزق يراثينه جسم المستقبل
 اللطيف شذر مذر، وابصر دم الايام المقبلة يتطاير في كل الجهات، والشمس
 تنكسف، وحوث الموت والظلام يبتلع ذرات الاثير المنيرة .

وقاضت الالام في نفسه فانارت الشعر مع الدمع، وكلاهما عصارة
 الكتابة، فقال يخاطب وردا

ليتني لم اكن لعطفك نلت والى ذلك الوصال وصلت
 فالذي مني اشملت عليه ولعاري ما قد عليه اشملت
 قال ذو الجهل قد حملت ولا — اعلم اني حملت حتى جهلت
 لائم لي بجعله ولماذا انا وحدي احببت ثم قلت
 سوف آسي طول الحياة وابكيك على ما فعلت لا ما فعلت

لك نفس موآنيه * * * والمنايا معاديه
 ايها القلب لا تعد لهوى البيض ثانيه
 ليس برق يكون — اطلب من برق غانيه
 خت سري ولم اخذك — فموني علانيه

ثم التفت نحو جثة بكر وقد نسي ما تصور من خيائته، وتمثله بقربه خلا
 وفيها مخلصا يقاسمه السراء والضراء فقال يخاطب روحه الهائمه

قل لمن كان وجهه كضياء — الشمس في حسنه وبدر منير
 كنت زين الاحياء اذ كنت فيهم ثم اصبحت زين اهل القبور
 ختني في المغيب والخون نكر وذميم في مالفات الدهور
 فقاني سيني واسرع في جز — التراقي قطعا وحيز انحور

يا بني انت في الحياة وفي الموت — — ويوم الثرى ويسوم النشور
ولى الليل متعشرا باذياله يكفكف عبراته تاركاً وراءه ديك الجن بين
الجثتين طورا يبكيهما وطورا يعاتبهما وطورا يهيم ان يدوسهما برجليه حنقا وتشغيا

٤

اضطربت حمص قاصيها ودانيها للفاجمة الهائلة التي انتشر خبرها في اليوم
التالي، واتصل الخبر بالسلطان فاهتم للامر اهتماما شديدا، لان القتيلين
وبالاخص القتيلة، كانا من عائلات وجبة في البلد.

ففر ديك الجن من غضب الحكومة ناجيا بنفسه الى دمشق. ومكث هنالك
اشهرا متخفيا، حتى تومط له صديقه الامير احمد بن علي عند السلطان وكتب
الى امير دمشق ان يؤمنه. فعاد الشاعر حزينا كسير النفس الى حمص وقد
بدأت افاعي الشك تدب في نفسه.

وبلغه عند قنومه خبر موت ابن عمه ابي الطيب اثر علة شديدة واقتراره قبيل
موته امام رهنط من الشهود بما كاده لبكر ووورد، وما نشره زورا عنهما. فكاد
ديك الجن ان يفقد عقله من الندم والحزن. وبسط اليقين الهائل حجابا اسود
كثيفا على سماء شعوره وكيانه فمكث اشهرا لا يستفيق من البكاء ولا يطعم
من الطعام الا ما يقيم ريقه.

وكان يرى نفسه وحيدا، متروكا، مكروها — وحيدا في داره، وحيدا في
المدينة، وحيدا في مملكة قلبه المظلمة، وليس من يقاسمه احزانه وانراحه، ولا
من سمير سوى جيوش اشجانه الهاتفة هتاف الويل كل الليل. وحيدا كان.

يقف على قمة الاسى فتلتف حوله عاصفة الذكري والندم غاضبة، معولة مزمجرة،
مجلبية اياه بعشير الالام، دافعة الى هوة اليأس والهلاك.

ولم يجد لنفسه ملوى الا في الخمرة، فاتخذ له كاسين صنع احدهما من
تراب قبر ورد والاخرى من تراب قبر بكر. فكان يضع كاس ورد عن يمينه
وكاس بكر عن يساره على المائدة ويملؤهما خمرا ثم يشرب كاس ورد
وهو يحسب انه يقبل شفيتها متصورا انها جالسة بقربه تناديه كما كانت
عادتها وينشدتها راثيا.

يا طلعة طلع الحمام عليها	فجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	روتى الهوى شفتي من شفيتها
مكنت سيفي من مجال وشاحها	ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعلها، وما وطىء الحصى	شيء اعز علي من نعلها
ما كان قتلها لاني لم اكن	ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على العيون بحسها	وانفت من نظر الجسود اليها

ثم يشرب كاس بكر ويلتفت الى يساره ماسحا دمعته الهائلة قائلا —

يا سيف، ان يرد الزمان بغدره	فلانت ابدلت الوصال بهجره
قمر انا استخرجته من دجنه	لبليتني وجلوته في خدره
فقتلته وبه علي كرامة	فله الحشى ولي الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كاحسن نائم	والحزن يسفح عبرتي في نحره
لو كان يدري البيت ماذا بعده	بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه	وتكاد تخرج قلبه من صدره

ثم يبكي حتى تختلط خمرته بدموعه، ويعيد الكرة مخاطبا وردا بهذه
الآيات -

اساكن حفرة وقرار لحدري ، مفارق خلة من بعد عهد
اجبني ان قدرت على جوابي ، بحق الود ، كيف ظلت بعدي ؟
واين حلت بعد حلول قلبي ، واحشائي واضلاعي وكبدي ؟
اما والله لو عاينت وجدي ، اذا استعبرت في الظلمات وحدي
وجدت تنفسي وعلا زفيري ، وفاضت عبرتي في صحن خدي
اذا لعلت انسي عن قريب ، ستحفر حفرتي ويشق لحدي
ويعذلني السفيه على بكائي ، كاني مبتلى بالحزن وحدي
يقول - قتلها منها وجيلا ، وتبكيها بكاء ليس يجدي
كصياد الطيور له اتحاب ، عليها وهو يذبها بجدي

ثم يناجي بكرا كانه يشاطره رايه في ذم الدهر ووصف ربه وغدره قائلا -

ما لامري بيد الدهر الخومون يد ، ولا على جلد الدنيا له جلد
طوبى لاحباب اقوام اصابهم ، من قبل ان عشقوا موت فقد معدوا
وحقهم ، انه حق اذن به ، لا ينفدن لهم دمعي كما نفذوا
يا دهر ، انك مستقي بكاسهم ، ووارد ذلك الحوض الذي وردوا
والخلق ماضون والايام تنبهم ، تفنى ويبقى الاله الواحد الصمد

على ان الخمرة لم تكن تخفف من اشجان الشاعر ، ولم يستطع بخارها ان
يطرد الحزن المستعصي في قلبه ، بل كان ديبها يمنحه بصرا جديدا يرى به
خفايا المجاهل .

فكان كل ليلة بعد ان تمتلكه سورة الشراب يرى نفسه منفردا في جزيرة
قاحلة صغيرة يلطم اللج حافاتا .

يرى ذاته جالسا هنالك على قطع الصخور يتفرس في فضاء ذلك البحر
الواسع - بحر الاسى والدموع . فيتأمله مفكرا تفكيرا عميقا لا قرار له ولا
معنى . فيزجر ذلك البحر الرهيب - بحر الحياة - وتندفق امواجه المزبدة
منقلبة بطنا لظهر امامه ثم تنكسر عند اقدامه ويدوي صوتها دوي الرعد .
والليل بين ذلك قاتم ، عابس ، كربه ، عنيف .

ويلاه! انبا لروى هائلة تجلى له في عرض ذلك البحر المخيف ، فلا
يقوى على التفرس فيها طويلا ، فيحول وجهه عنها وقد تشنج من الرعب ويطبق
عينيه ليتخلص من هول المنظر ، ولكن ذلك كان يصرفه عنها الى ما هو اشد
هولا ورهبة - الى عاصفة يشعر بها تتولد في نفسه فيصغي الى زمجرتها مرتاعا .
تلك اصوات مختلطة ، وجلبة عنيفة ، وقصف رعود ، ومقوط صواعق ، وتلاطم
انواء تجتمع كلها في ضجة واحدة تنمو في داخله فتكاد احشاؤه ان تنفجر من
تمددتها . فيشعر بنموها نموا متواصلا حتى تعظم وتتجسم في صرخة عنيفة ،
لاعجة ، اليمة ، صادرة من عمق القبر ، هاتفة بكلمات مبهمة يفهم منها بعضها .

- لماذا قتلنا ايها الظالم!

- لماذا غدرت بنا يا قاسي!

- لماذا خنقت سعادتك بيديك؟

ثم تختلط اصوات العاصفة اختلاطا مبهما فلا يستطيع ان يفهم شيئا من
صراخ الهاوية . وبعد قليل تسكن ويتغلب على ضجتها المائتة صوت هدير
الامواج في اوقيانوس حزنه . فيخيل له انه يسمع منها همس شكوى وتظلم

وتأنيب. فتهرع دقات قلبه وينظر الى هنا وهناك مستجيرا فلا يجد حوله الا ظلمات داجية مختلطة بالامواج. ويرى نفسه عيانا تموت وتحيا مرارا في لحظة وتقاسي من العذاب ما كل دقيقة منه اشد من عذابات الجحيم الابدية، فيتخدر شعوره ولا يفقه مما هو فيه شيئا سوى انه واقف وحيدا في العاصفة متسلطا عليها وعلى الظلمة والهلاك.

تنشق الظلمة بننة فتجلى له في عباب ذلك البحر الرحيب الرائق سماء صامته يزنها كوكبان وحيدان، متاجعان بلون الدم، تتألف منهما ابديتان تمازجان في فلك واحد. وهذان الكوكبان هما بكر وورد ينظران اليه بعين العتاب السافكة، فيحول وجهه عنهما متبينا نظراتهما الحادة وينمض عينية ويود ان تقصف العاصفة من جديد وتدلهم السماء فيفور ذاك الكوكبان بلا رجوع. ثم يفتح عينية مضطرا مدفوعا بقوة هائلة فيرى الكوكبين يقتربان منه بسرعة القضاء الى ان يقفا امامه في الغرفة وينشق من نورهما المدهش خيالا ورد وبكر بجسميهما الطبيعيين قبل الموت، فيلقي بنفسه على اقدامهما منتحبا، مستغفرا، ويظل كذلك الى الصباح في بقعة شبيهة بالغيوبة.

٥

مضت سنون بليا ليلها الساترة واصباحها الفاضحة جرت في اثنائها مياه كثيرة في نهر حياة ديك الجن متدفقة بين شاطئتي الاسف والياس. على ان احزانه ظلت راسخة رغم محاولة الايام طمسها واثرت سمومها في جسمه فرق حتى شابه الخيال

ووافق ذات يوم فراى الربيع يسري في عروق الطبيعة، والشمس تفرس

دفاها في كل قلب. فشر شعورا جديدا لم يعرفه منذ سنين. شر ان قلبه تملص من وثاق الاحزان وافلت من سجن الندم، فمد يديه الطامحتين ليتشبث بالحياة والافراح والنور. وانطقه شيطان الشعر فقال

نقل فوءادك حيث شئت فلن ترى كهوى جديد او كوصل مقبيل
مالي احن الى خراب مقفر درست معالمه كأن لم يوهل
الا انه لم يكدا ان ينهي قوله حتى تحركت دودة اشجانه في داخله تطالبه ببقية دين الاسى. فشاهد الظلمة القاسية تبتلع الشمس التي لم تشرق في قلبه الا لتغرب امام عيني نفسه الكثيتين. فاطرق وقد شر بامواج الحزن تتدفق امام بصره الجامد وتبتلع كل ذرة نور في نفسه وتطفى، بزمهريرها كل حرارة في قلبه، فادرك ان لا مناص له من قبضة الاشجان، فقال يائسا وقد وأد ما تولد في قلبه منذ هنية من الامل الباسم

ساطوي الهوى تحت الحشى طي نازح قضى وطرا ان لم تبج عبراتي
واعلم ان ما فات ليس براجع وان قريبا كل ما هو آت
وهبط ليل كيف رزحت تحت اثقال ظلمته نفس ديك الجن، فتطلع في اعماق الديجور مفتشا عن خيال ورد الذي كان يزوره كل ليلة فلم يجده. فانتظره فلم يات. فشر بخيط حياته يتقطع. فمد يده نحو المجهول المعتم وفي قلبه سكينه ائيمة - سكينه العذاب الذي لم يعد عذابا - سكينه الحزن العميق الهادي. الذي اختلط بالدم وقال

اما آن للطف ان ياتيا وان يطرق الوطن الدانيا
واني لاحسب رب الزمان بتركني جدا باليا

ماشكر ذلك لا ناسيا جميل الصفاء ولا قاليا
وقد كنت اشكره ضاحكا فقد صرت اشكره باكيا
ثم استخرط في عويل لاعج اهتزت له جوارحه المتألمة واهتزت معها ذرات
الظلمة. وكانت روحه تفيض مع كل عبرة. فأنيت سكينه الليل غير متمالكة
نفسها وقد تطرق الحزن اليها، وانت معها اشباح الايام المنطفئة وارواح
السعادات الذابلة.
ولما اطلت اشعة الصباح من نافذة السماء وجدت ديك الجن جثة بلا حراك
وقد سالت روحه مع دموعه وزفراته.

* * * *

هذه قصة الشاعر الحمصي عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن الذي
احب وقتل وندم ثم مات، روتها لي همسا امواج العاصي في اصيل يوم من
ايام الصيف عندما كنت اطالع بعض اشعاره في كتاب قديم، واكدتها لي
نسمات الوعر العاتية. وسمعت بين انات الخريز وزفرات الهزير صوتا خفيا يقول
ان الحياة بأسرها تدور حول محور ذي قطبين هما «الحب والموت»

نسيب عريضة

صدي الاجراس

ليخائيل نعيمة

بالامس جلست، وافكاري
وتروى الحاضر والماضي
واصطفت حولي ايامي
فمشت احلامي تخفرها
وافاق الشك وانصاره،
فاطلوا من قلبي ليروا
وشبابا يجمعها ابدا
وعليها يرصد الحانا
واذا بسكيتي ارتجفت
اذ مزق ستر الليل صدى
سرحت تستفسر اثاره
املا ان تدرك اسراري
تستعرض عسكر احلامي،
وتقود خطاها اوهامي
الام العيش ولوزاره،
قلبا تنقطع اوتاره
ويعقدها عقدا عقدا
لا تطرب في الدنيا احدا
وقوافل افكاري وقفت،
عرفته الاذن وما عرفت:

دن. دن. دن. دن. دن. دن.

* * * *

بالله شكوكي خليني
ذا صوت صباي يردده
وحدي. ذا الصوت يناديني
الوادي وشواهي صنييني.
سما - دن. دن! سما - دن. دن!

* * * *

قولوا لرفاقي يجتمعوا
فالشمس رويدا ترتفع،

واليوم العيد ورب العيد يناديننا او ما سمعوا

دن . دن . دن . دن !

* * * *

هوذا قد اقبل اترابي اهلا . اهلا باصيحائي !

الناس تير الى القداس ونحن نكر الى الغاب

دن . دن . دن . دن !

* * * *

اشجار الغاب تحيينا وطيور الغاب تناجينا

وزهور الغاب تصافحنا ونصافحها وتهنينا

دن . دن . دن . دن !

* * * *

الريح تمر بنا خيبا فيمس الحور لها طربا

والشمس بلطف تلثم او جهنا وتندر لنا ذهبيا .

اغصان الغاب تلاعبنا وهوام الغاب يداعبنا

ومخور الوادي تناديننا وصدى الاجراس يعاتبنا

دن . دن . دن . دن -

* * * *

هوذا اترابي قد سرحوا في الغاب يقودهم المرح

وبقيت انا وحدي سكرًا فا يرقص في قلبي الفرح

فجلست على كنف النهر ما بين العومج والزهر

العالم ملكتي ، وانا سلطان العالم والدمر

الزهر يعطر انفاسي والنهر يولد في راسي

اشباحا راقصة لخير الماء وصوت الاجراس

دن - دن - دن . . .

* * * *

من ذلك بين الاشجار يمشي كخيال من نار

هو يضرب عنودا والاثر جارتن لشكوى الاوتار

دن - دن . . .

* * * *

الزهر ينكس تيجانه والخور يللم اغصانه

والريح تمر على اوتار العود فتخلق الحانه

دن . . .

* * * *

ما بال سكيتي اضطريت وعساكر اشباحي هربت

والغاب وما فيها ووجوه رفاقي عن عيني احتجبت ؟

قد عاد الشك وانصاره ، الام العيش واوزاره ،

واطلوا من قلبي ليروا قلبا تنقطع اوتاره

وشبابا يجمعها ابدا ويمتدحها عقدا عقدا

وعليها يرصد الحانا لا تطرب في الدنيا احدا



الشاعر

لجبران خليل جبران

انا غريب في هذا العالم

انا غريب وفي الغربة وحدة قامية ووحشة موجعة، غير انها تجعلني ان افكر ابدا بوطن محري لا اعرفه، وتملاً احلامي باشباح ارض قصية ماراتها عيني انا غريب عن اهلي وخالاني، فاذا ما لقيت واحدا منهم اقول في ذاتي: «من هذا، وكيف عرفته، واي ناموس يجمعني به، ولماذا اقترب منه ولجأه؟» انا غريب عن نفسي، فاذا ما سمعت لساني متكلماً تستغرب اذني صوتي، وقد اري ذاتي الخفية ضاحكة، باكية، مستبلة، خائفة، فيعجب كيانني بكيانني وتستفسر روحي روحي، ولكنني ابقى مجهولاً، مستتراً، مكتنفاً بالضباب، محجوباً بالسكوت

انا غريب عن جسدي، وكلما وقفت امام المرأة اري في وجهي ما لا تشعر به نفسي، واجد في عيني ما لا تكنه اعماقي.

امير في شوارع المدينة فيتبعني الفتيان صارخين: «هوذا الاعمى فلنعطه عكازاً يتوكأ عليها» فاهرب منهم مسرعاً. ثم التقي بسرب من الصبايا فيتشبثن باذيالي قائلات: «هو اطرش كالصخر فلنملا اذنيه بانغام الصباية والغزل» فاتركهن راكضاً. ثم التقي بجماعة من الكهول فيقفون حولي قائلين: «هو اخرس كالقبر فتعالوا نفوّم اعوجاج لسانه» فاغادرهم خائفاً. ثم التقي برهط من الشيوخ فيومثون نحوي باصابع مرتعشة قائلين: «هو مجنون اضاع

صوابه في مسارح الجن والغيلان»

انا غريب في هذا العالم

انا غريب وقد جيت مشارق الارض ومغاربها فلم اجد مسقط رأسي ولا لقيت من يعرفني ولا من يسمع بي.

استيقظ في الصباح فاجدني مسجوناً في كهف مظلم تندلي الافاعي من سقفه وتدب الحشرات في جنباته. ثم اخرج الى النور فيتبعني خيال جسدي، اما خيالات نفسي فتسير امامي الى حيث لا ادري، باحثة عن امور لا افهمها، قابضة على اشياء لا حاجة لي بها، وعندما يجيء المساء اعود واضطجع على فراشي المصنوع من ريش النعام وشوك القتاد فتراودني افكار غريبة وتتناوبني اميال مزعجة مفرحة موجعة لذينة، ولما ينتصف الليل تدخل علي من شقوق الكهف اشباح الازمنة الغابرة وارواح الامم المنسية فاحلق بها وتحلق بي، واخاطبها مستفهما فتجيبني مبتسمة ثم احاول القبض عليها فتتوارى مضحكة كاللخان.

انا غريب في هذا العالم.

انا غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسي.

امير في البرية الخالية فاري السواقي تتصاعد متراكضة من اعماق الوادي الى قمة الجبل، واري الاشجار العارية تكتسي وتزهو وتثمر وتشر اوراقها في دقيقة واحدة، ثم تهبط اغصانها الى الحضيض وتتحول الى حيات رقطاء مرتعشة واري الاطيار تنتقل متصاعدة، هابطة، مفردة، مولولة، ثم تقف وتفتح اجنحتها وتنقلب نساء عاريات، محلولات الشعر، مملودات الاعناق ينظرن الي من وراء اجفان مكحولة بالعشق ويبتسمن لي بشفاء وردية مغنومة بالعمل

ويمددن نحوي ايادي بيضاء ناعمة معطرة بالمر واللبان، ثم ينتفضن ويختفيان
عن ناظري ويضمحلن كالضباب تاركات في الفضاء صدى ضحكهن مني
انا غريب في هذا العالم
انا شاعر انظم ما تنشره الحياة واثر ما تنظفه، ولهذا انا غريب وسابقي
غريبا حتى تخطفني المنايا وتحملني الى وطني.

الارض

لمبران خليل جبران

تنبثق الارض من الارض كرها وقسرا .
ثم تسير الارض فوق الارض تيهيا وكبرا .
وتقيم الارض من الارض القصور والبروج واليهيا كل .
وتنشئ الارض في الارض الاساطير والتعاليم والشرائع .
ثم تمل الارض اعمال الارض فتحولك من حالات الارض الاشباح والاوهام
والاحلام .
ثم يراود نعاس الارض اجفان الارض فتنام نوما هادئا عميقا ابديا .
ثم تنادي الارض قائلة للارض - انا الرحم وانا القبر . وسابقي رحما وقبرا
حتى تضمحل الكواكب وتحول الشمس الى رماد .

ضريح الشاعر

لندره حداد

الا ما لهذا القباب تلوح لنا كالقصور؟
اليست تخاف الذهب كما خاف من في القبور؟
اترب يوارى التراب، وفان على مائت!
اتجهل انا خراب ولا حصن بالثابت؟
فيا ليتها تعقل لخرت الى اصلها!
ولكنها تجهل فلاخير في عذتها
انفي، لنمش نقارا الى الموضع المهمل
هناك ضريح توارى عن الزهو في معزل
تعالى وكفى النظر عن الشامخ البائد
فما هي الا حفر تبين لدى الناقد
هلمبي نر الراقد هناك بقلب الضريح
هلمي نر الزاهدا ينام لكي يترج
هنا يرقد الشاعر هنيئا له من رقاد
هنا قبره الفاخر ولا قبة او عماد

جميلا يرى قبره ولا قبة تحرس
 لطيفا سرى نشره ولا وردة تفرس
 هنثا له! قد عبر الى الضفة الثانية
 هناك اللقاء المنتظر لذي الفكرة العالية
 هنثا لذا المضجع! فيه شعور حجب
 انفسى، تعالى اسمي على اللوح ما قد كتب:
 «ايا من يمر بقبري وقد ادهشته القباب
 فلا يحزنك فقري فما المال الا سراب!
 وما القبر الا الخريف وما نحن الا الشجر
 نمرى فيمضي الحنيف ويبكي عليه المطر
 لقد عشت بالوهم عمري اخال السماء الفضاء
 ولما رجعت لفكري وجدت القبور السماء
 وجدت الغني فقيرا وجدت القوي ضعيف
 وجدت المليك حقيرا وجدت البصير كفيف
 وجدت المذاهب وهما واربابها واعمين
 وجدت الطبيعة اما وما نحن غير البنين
 فكم من حروب جنت مذاهب هذا الانام
 وكم من ديار خلت من الاهل بعد الوثام

وجدت بلا منفعة صلاة للورى والصيام
 فما كان لن تمنعه بهذين يا ابن الحمام
 فكم من ملايين صلوا وقصر في عرشه
 فمات ذليلا وذلوا منذ اندس في نعشه
 وجدت اعتقادا غريبا سرى في عقول البرايا
 «ضريح ينير الشعوب وجان يحل الخطايا»
 فيا ابن التجارب، مهلا، ولا تفتتر بالرعاء
 فما انت كالشاة عقلا تاق كبعض الجناء
 رويدك، يا ساهرا مكبا لتجني الالوف
 ستغدو فتى خامسا اذا ما دهتك الحتوف
 تجمع فلما لفس ونفسك لا تشبع
 فهلا انعطت بامس يروح ولا يرجع
 وما شاقني في الحياة سوى منظر الجدول
 يعيش بقلب الفلاة بعيدا بلا منزل
 جرى بين ثلثي وندب الى حيث لا يفهم
 كذا نحن نمضي كركب الى اين من يعلم؟»

اجعلوا الحلم جميلا

لوليم كاتسليس

هي حلم ينقضي بين ليلة وضحاها . زهرة تفتح مع الفجر اوراقها وتذبل مع المغيب . معشوقة لا تكاد تمنح قبلة اللقاء حتى تذرف دموع الوداع . هي الحياة بخمرها وخلها ، بافراحها واوزارها نمر في فضاء الكون كنور سريع ضئيل .

— فاجعلوا الحلم جميلا —

روحوا النفس فالسبيل ضيق وقصير . اذا ثرنا فوقه الازهار ربما هان المسير . ومن الجنون ان نؤثر العير على السير . ومن الجحود ان نهمل كنوز النفس وهي عطايا الاله . فالعيش حلم والحلم كما نريده يكون .

— فاجعلوا الحلم جميلا —

زهرة الحقل تنبت فلا تسأل لماذا ، ولا تحد نضارة الوردة وجمالها متألعة لانها ليست مثلها محبوبة ، ولا نكيد لها المكاييد لاتلافها . زهرة الحقل قانعة بنصيبها وحالها فاقتدوا بها .

— فاجعلوا الحلم جميلا —

مادة وروح . قذارة والنوهمية . فالجسم هيكل من طين لالهة هي النفس .

وليس بالجسد بل بالنفس السعادة . تناسوا الجسد وحدوده . تناسوا السجن الذي يقيد لا نهاية النفس .

— فاجعلوا الحلم جميلا —

جسمك لا يطير اذ ليس له جناح ، اما عقلك فطائر لا تجاريه الرياح . فاطر كوا الضعف ونمسكوا بالقوة التي هي من السماء واعلوا بنفوسكم فوق مجونها لتذوقوا الهناء . حياة المرء حلم والافكار مولدة . فاجعلوا الحلم جميلا .

ما عمر الاكوان الا المحبة ، والقلب ان لم يسع الدنيا فهو وعاء صغير . وان لم يفهم اتقام الكائنات فهو اوتار ميتة لا تحركها اغاني الارواح المتآخية فليحدث كل جرح في قلوبكم جرحا

— فاجعلوا الحلم جميلا —

وعندما ينضب زيت السراج فيعود نوره من حيث اتى ويعود طينه الى ترابه وتفلت النفس من قيود الادييم تشد وهي سابحة في سما النعيم . فقد جعلت الحلم جميلا .



المساء

لا يلينا ابي ماضي

السحب تركض في الفضاء، الريح ركض الخائفين
والشمس تبعد خلفها صفراً عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتان في الافق البعيد

سلمى، بماذا تفكرين؟

سلمى، بماذا تحلمين؟

• • •

ارأيت احلام الطفولة تختفي خلف التخوم؟
ام ابصرت عيناك اوجاع الكهولة في الغيوم؟
ام خفت ان ياتي الدجى الجاني ولا تاتي النجوم؟
انا لا ارى ما تلمحين من المشاهد انما

اظلالها في ناظريك

نعم يا سلمى عليك

• • •

اني اراك كسائح في القفر ضل عن الطريق
يرجو صديقاً في الفلاة، وابن في القفر الصديق؟
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروق
بل انت اعظم حيرة من فارس تحت القمام
لا يستطيع الانتصار
ولا يطيق الانكار

• • •

هذه الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيك
فلقد رايتك في الضحى ورايتك في وجنتيك
لكن وجدتك في المساء وضعت راسك في يديك
وجلست في عينيك الغاز، وفي النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى بماذا تفكرين؟

• • •

بالارض كيف هوت عروش النور عن هضباتها؟
ام بالمروج الخضمر ساد الصمت في جنباتها؟
ام بالعصافير التي تعدو الى وكناتها؟
ام بالمساء؟ ان المساء يغشى المدن كالقوى
والكوخ كالصرح المكين
والشوك مثل الياسين

* * *

لا فرق عند الليل بين النهر والمستقع
 يخفي ابتسامات الطروب كادمع المتوجع
 ان الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
 لكن لماذا تجزعين على النهار؟ وللجى
 احلامه ورغائبه
 وسماؤه وكواكبه

• • •

ان كان قد ستر البلاد سهولها ووغورها
 لم يسلب الزهر الاربج ولا المياه خريرها
 كلا ولا منع النائم في الفضاء مسيرها
 ما زال في الورق الخفيف وفي الصبا انقاسها
 والعنابيب صداحه
 لا ظفره وجناحه

• • •

فاصني الى همس الجداول جاربات في السفوح
 واستنشي الازهار في الجنات ما دامت تنفوح
 وتمتعي بالشهب في الافلاك ما دامت تلوح
 من قبل ان ياتي زمان كالضباب او الدخان
 لا تبصرين به الغدير
 ولا يلذ لك الخربير

* * *

لتكن حياتك كلها املا جميلا طيبا
 ولتعلأ الاحلام نفسك في الكهولة والصبا
 مثل الكواكب في السماء وكالازهار في الربى
 ليكون بامر الحب قلبك عالما في ذاته
 ازهاره لا تذبل
 ونجومه لا تأفل

• • •

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات
 ان التامل في الحياة يزيد الام الحياة
 فدعي الكابة والاسى واسترجعي مرح الفتاة
 قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
 فيه البشاشة والبهاء
 ليكون كذلك في الماء!



العاقرة

لميخائيل نعيمة

«يكلل عبدالله عزيز على عبدة الله جميلة باسم الاب والابن والروح القدس».

لما فاه الخوري بولس بهذه الكلمات مساء العاشر من ايار سنة ١٩٠٠ في قاعة فسيحة، غنية بالرياش والزخرفة، من دار ابي عزيز الكرباج، هبطت على مئات من المدعوين الى العرس مكينة خرماء تجلها هبة مساوية فالاطفال والاحداث والمغارى والفتيان والكهول والشيوخ - كلهم حسبوا انفسهم كأنهم يصغون الى رفرقة اجنحة خفية. والخوري بولس نفسه، الذي ربط في حياته بوفاق الزيجة نحو الالف من ابناء قطيعه المحفوظ من الرب، لفظ هذه الكلمات تلك الليلة بصوت غير صوته العادي حتى خيل لسامعيه ان الروح القدس كان يتكلم بلسانه. ربما كان ذلك لان الخوري بولس في كل حياته الطويلة التي قضاها خادما للرب ادرك لأول مرة اهمية كلماته، وتنورت روحه فرأى الزيجة كسر مقدس الهي لا كطقس كنائسي بسيط او ربما كان السبب ان الخوري، من يوم اقتبل شرف الكهنوت حتى تلك الدقيقة، لم يرفع يده ليبارك رباط عروسين كعزيز الكرباج وجميلة البشراوي - لكن الحضور شعروا فجأة انهم في حضرة قوة علوية، وتحولت القاعة في اعينهم، مع كل ما فيها من انوار الشموع الملتوية، الراقصة المنتصبة نحو العلاء، الى هيكل طاهر يتم فيه سر مقدس عميق. لذلك توشحوا بالسكوت والورع

لا شك ان منظر العروسين كان مما زاد المشهد هبة وجلالا. فعزيز الكرباج، وحيد ابيه وامه، كان اجمل شاب في كل البلدة وجوارها بل في كل لبنان، اذا صدقنا ما قاله عنه الكثيرون ان «الله خلقه ورفع يده». طويل القامة، ممتلئ الجسم، ابيض البشرة، مستدير الوجه يسقي ياضه دم الشباب. في عينيه تضحك الحياة، وفي شاربيه الصغيرين تتجلى قوة الاعتماد على النفس والثقة بالذات والفخر بما فعله وسيفعله بعد في هذا العالم. هجر والديه لما كان له من العمر ١٨ سنة. جاء اميركا فافلح في التجارة وجمع من الثروة نحو الف ليرة في مدة قصيرة. ووجد في اثناء ذلك وقتا ليصرفه على تثقيف ذاته فدرس وتعلم وحصل ما لا يحصيه الوف من المهاجرين اللبنانيين والسوريين في هذه البلاد في عشرات من السنين. ثم لبى دعوة والديه فعاد الى لبنان وبنى دارا فخمة - احسن دار في كل البلدة - وفتح تجارة جديدة. كل ذلك وهو لم يتخط الخامسة والعشرين من سنه. اهل البلدة يتحدثون باجتهاده وعقله وليته ودماثة اخلاقه. فهو لا يشتم، ولا يلعن، لا يسب الدين، لا يسكر، لا يلعب بالقمار ولا يدخن. يدعو كل شيخ في البلدة «جدي» وكل عجوز «ستي» وكل كهل «عمي» او «خالي» وكل كهلة «عمتي» او «خالتي» وكل شاب «اخي» وكل فتاة «اختي». يحيي الطفل ويحيي الشيخ قبل ان يبادراه بالتحية ويرفع قبعة عن راسه باعتبار واجلال عندما يحيي النساء.

وكم من الشبان الحاضرين حسدوا عزيز الكرباج في اعماق قلوبهم وتمنوا لو كانوا في ثيابه تلك الليلة! والبعض ينقلون عن لسان الخوري بولس ان هذا الشيخ الجليل المحترم اعترف بانه في خمسين سنة قضاها في خدمة الكنيسة لم يشته مرة واحدة ان يبدل حمله الكتوتية بكل ثروة العالم، لكنه لما امر

العروسين - عزيز الكرباج وجميلة البشاوي - ان يتبادلا قبلة المحبة تمنى في تلك الدقيقة لو كان في ثياب العريس ولو كان العريس في ثيابه.

اما جميلة البشاوي، فعند جمالها الساحر، كانت تحوي على صفات قلما اجتمعت في فتاة في كل ذلك الجوار او سواء. اذا دار عنها الحديث في اي مجلس كان - سواء مجلس نساء ورجال، او مجلس رجال ونساء معا - فاول ما تتناوله اللسان حسنها الرائع، ثم ينتقل المتحدثون الى طباعها وعلمها وثروتها الخ. يقول واحد انها ملاك - الارض لا تشعر بها - فيزيد الاخر انها «عالمة» ويعني انها انتهت مدرسة داخلية للبنات «واخذت الشهادة». ويتابع الثالث انها وحيدة وان اباها قد ترك لها بعد وفاته ارزاقا واسعة و«صندوقا» من المال. ويضيف الرابع انها سترث كل ارزاق عمها لانها ورثته الوحيدة الخ. لذلك فلا عجب اذا ظل زفافها الى عزيز الكرباج موضوع جلسات الرجال والنساء في البلدة مدة اسبوع على الاقل.

* * *

مضت الاشهر الاولى من حياة جميلة الزوجية كيوم من ايام الربيع لم تر سماءه غيمة على الاطلاق وهوواءه واشجاره وازهاره واعشابه وانهاره ودباباته وحشرات - كلها تملئ بخمرة الحياة ولذة التجدد كانها في مهرجان عظيم. وجميلة كانت في بيتها الجديد - بين حميها ابي عزيز وحماتها ام عزيز وشريك حياتها عزيز - محور حياتهم اليومية. حولها تدور افكارهم وبها تناط آهاتهم. لاجلها يتعبون ولاجلها يعيشون. اذا ضحكوا ضحكوا وان عبست عبسوا كانها ينبوع حياتهم ومصدر كل افراحهم واتراحهم.

لما انتهت مدة التهانئ بعد العرس اقترحت ام عزيز على ابنها ان ياخذ

زوجته الى بيروت او الشام «تغيرا للهواء» فصادف هذا الاقتراح استحسان الجميع وزار الزوجان الشام وزحلة وبيروت ولما رجعا هرعت ام عزيز الى جميلة تعانقها وتقبلها وتضمها الى صدرها صارخة بلهفة. «حبيبتي. اطلتي الغيبة! حبيبتي. احترق قلبي بلاك!» ثم ألقت نظرة على يدي كتنها فرات بعض خواتم جديدة على اصابعها وسوارات ذهبية على معصمها وماعة جديدة معلقة بسلسلة ثمينة على صدرها فكادت تطير فرحا.

اما عزيز فكان حبه لزوجته في خلال الاشهر الاولى يتجدد كل يوم. فكل يوم كان عنده عرسا. عندما يذهب صباحا الى مخزنه يتزود قبلة منها واذا يعود عند المساء يجدها بانتظاره في الباب فيأخذها بين ذراعيه ويضمها الى صدره منحيا الى وجهها ثم يسالها مقبلا شفتيها الورديتين. «كيف حال قرقورتي اليوم؟» فتجيبه والسعادة تضيء في عينيها منعكسة في كل عضلة من عضلات وجهها «كيف حال قرقوري اليوم؟» (١).

«القرقورة» و «القرقور» اصبحا في قاموس حياتهما اليومية اسمي علم حلالا محل «جميلة» و «عزيز». واحبت جميلة اسمها الجديد حتى كادت تنسى اسمها الاصلي. وكذلك عزيز. وكلاهما كان يكره الزائرين ليس لسبب مادي او تقاعدا عن القيام بواجبات الضيافة السورية بل لان الزائرين كانوا ياخذون قسما من وقتها الثمين الذي كانا يرغبان ان يصرفاه معا. وبالاخص لانهما في حضرة الغرباء كانا يضطبران ان يرجعا الى «عزيز» و «جميلة» بدل «القرقور» و «القرقورة».

(١) «القرقور» في اصطلاح كثير من المقاطعات اللبنانية والسورية هو الحمل والقرقورة انتاء

جميلة كانت تكره الزائرين لسبب اخر لم تطلع زوجها عليه. وذلك لان كل زائر كان يعد من واجبات اللياقة واللفظ ان يقول لها كلما قدمت له لفافة او فنجانا من القهوة او نارجيله او نحو ذلك «ان شاء الله نفرح لك بعريس» فكانت هذه الطلبات والتمنيات الدائمة كقطرات سم في كأس معادتها الطافحة. حب عزيز وقرب عزيز وقلبات عزيز - هذه هي معادتها وكمال حياتها. فلماذا كل هذه التمنيات - كأن حياتها ليست كاملة بدون «عريس»؟

مرة بعدما انصرف الضيوف واختلت مع جميل في مخدعها - تقدمت اليه بلطف واخذت طرف شاربه الايسر بيدها اليمنى لتقبله ثم قالت «اسمع يا قرقور! الا تتضجر من كثرة تمنيات هؤلاء الناس البلاء «من فرحة عريس» يرمونك بها اينما صادفوك وفي كل الاحوال ومهما كان موضوع الحديث؟ قد بدأت افتر منها حتى صرت اكره معاشره الناس لاجلها»

طرحت هذا السؤال على زوجها وهي متاكدة انه سيجيبها بانه يكره تلك تمنيات مثلها او اكثر. وانه يحتملها لان لا سلطة له فوق الغير ليلجم الستهم وشد ما كان عجبها لما سمعت جوابه

«هل نشتم الناس «يا قرقورة» اذا كانوا يشتهون لنا السعادة؟»

ان هذا الجواب اكد لجميلة ان متابعة الحديث في هذا الباب ربما كشفت لها السر عن اول تناقض في الافكار والاعتقادات بينها وبين عزيز. وهي كانت تثق بكل وجودها، حتى تلك الدقيقة، ان حياتها مع عزيز مستوم كما كانت حتى تلك الليلة، ريبا دائما لا يعكرها اقل اختلاف في الميول والاذواق والاراء والاعتقادات. لذلك كانت تخاف ان تجد ولو نقطة صغيرة جزئية لا

يتفق فيها ذوقها مع ذوق زوجها. لما هم عزيز ان يشتري لها حلاها في بيروت تمنعت كل التمتع لانها - كما قالت حينئذ - لم تشأ ان تكون «حماره مششلة بالذهب» ولانها تعد التحلي بالذهب والعاس عارا على امرأة لها في جمالها واطباعها وحب زوجها ما يكفيها حلية مبدى حياتها. لكن عزيزا اصر على عزمه وامسكتها بقولها ان حجبها هي «حجة الفقراء» وان الافضل ان تلبس لكل حالة لبوسها» وان «مقامها في الهيئة الاجتماعية» يحتم عليها ان تلبس حلى ذهبية وماسية الخ. فاذنعت لارادته، لا لانها اقتنعت بقوة برهانه، بل لانها قررت في عقلها ان سعادة الزوجين تطلب اتفاقا تاما في الاذواق ولجل تلك السعادة اخضعت ذوقها لذوق زوجها. ولذلك خشيت الان من متابعة الحديث خوفا من ان تصل الى حيث لا تشتهي. لكن طبيعتها النسائية، تلك الطبيعة نفسها التي حملت جدتها حواء على الأكل من الثمرة المحرومة، دفعتها الان الى متابعة الحديث الذي فتحه فجأة وما كانت تظنه على شيء من الاهمية.

«اولسنا معيدين بلا «عريس»؟ وهل معادتنا لا تكمل بغير اولاد؟» قالت ذلك وطرف شارب زوجها لا يزال بين اصابعها تلعب به وعيناها قد احدثتا بينيه كانها تقرأ فيهما ما احدث سوءا لها في قلبه. «لماذا هذه السوءالات يا قرقورة؟ .. ولكن لو رزقنا الله «عريسا» - كما يشتهي لنا هؤلاء القوم الذين تتضجرين منهم - افلا تكمل معادتنا ويتضاعف حبنا؟»

لم تسمع جميلة هذا الجواب حتى ارتخت اصابع يدها اليمنى فسقط من بينها شارب زوجها وحولت نظرها الى الارض. اذن سعادة عزيز بحبها ليست كاملة.

اذن حبه لها لم يبلغ حده بعد ولا يزال قابلا للزيادة والتضاعف. ولماذا قد امتد حبها له واتسع حتى غمر كل حياتها كموجة جارفة فاصبح عزيز في حياتها الكل بالكل؟ لماذا لا تطلب زيادة سعادة ولا تسأل من ربه الا ان يبقى لها ما تملكه الان؟ هي لا تبغض البنين - كلا. بل تشتهي من كل قلبها ان تصبح اما. لكن هذه الشهوة - سواء تحققت ام لم تتحقق - لا تزيد ولا تقلل من معادتها ما دام حب عزيز يدفئها ويدور مع دم قلبها الى كل اعضاء جسمها. فلماذا يتكلم عزيز عن «كمال السعادة» و«تضاعف الحب»؟ - دارت هذه الافكار في راس جميلة باقل من طرفة عين فوجدت نفسها مدفوعة الى ان تسبر غور زوجها الى النهاية. فعادت ورفعت عينيها الى وجهه محاولة ان تعيد اليهما كل اللطف والحنو والاستسلام التي كانت فيهما قبلًا وقالت اخذة بيد زوجها اليمنى:

«اعذرنى يا قرقور على هذه الاسئلة الباردة. ولكن... ولكن لنفرض...»
- قالت ذلك ووقفت كأنها خافت ان تفوه ببقية الكلمات التي كانت تدور على طرف لسانها.

«لنفرض ماذا؟»

«لنفرض... لنفرض ان الله لم يرزقنا... ان الله بخل علينا «بعريس» او «بعروس»... فهل... فهل يضعف حبك نحوي حينئذ وهل تعد معادتك ناقصة؟»

«لله ما اكثر امثلتك الليلة! قلت لك انه اذا من الله علينا «بعريس» تكمل معادتنا ويتضاعف حبنا. واذا... واذا لم يشأ الله ان يهبنا ذرية... (هنا بلغ عزيز بريقه كأن قد اصابته غصة) واذا لم يشأ الله ان يهبنا ذرية...»

ف... فماذا تقدر ان تفعل؟ لا يبقى لنا الا ان نخضع لارادته. دعينا من هذا الحديث فهو بلا جدوى وتعالى لننام»

اخذ عزيز بيد زوجته وامالها الى صدره ولاول مرة بعد اكليهما قبلها ولم يشمر بحرارة تنسرب من جسمها الى جسمه ولا احس بدقات قلبها على صدره وبرودة انقاسها على وجهه.

• • •

اما ام عزيز فلم يبق لها غاية في الدنيا سوى الملاحظة والسهر على راحة كتبها. وذاك، في عرفها، كان ينحصر في ان لا تدع جميلة تقوم بشيء من اشغال البيت البتة. لذلك لما تغيبت ذات يوم عن البيت نحو ساعة او ساعتين ورجعت فوجدت كتبها في ساحة الدار والمكنسة في يدها كادت تغيب عن صوابها «ويحي. ويحي. ليتني ما كنت. ليتني تحت التراب! امثلك تكنس؟ يدان كيديك لا يليق بهما الا الذهب والاطالس والحرير؟ هاتي. هاتي. هاتي وروحي فتشي لك عن كتاب تفرئينه!»

عينا حاولت جميلة ان تبرهن لحمايتها ان لا عيب في شغل البيت. وانها لا تتعب من التكنيس. وانها قد ضجرت من الجلوس والقراءة ولذلك تطلب حركة جسدية. تلك البراهين قد تقنع ابا عزيز، لكن ام عزيز قد شربت من ينبوع فلسفة غير تلك الفلسفة. ولفستها ان «بنات الاكابر» لا يجب ان يعملن عملا على الاطلاق سوى الاكل والشرب والتأنيق في اللباس. والا. فماذا يقول عنهن العالم؟»

لما رجع عزيز تلك الليلة واستقبلته جميلة حسب عاداتها هرولت نحوه امه واخذت تشكو له بصوت ربه مزاح وثلاثة ارباعه جد ما راته من «القرقورة»



في ذلك النهار من محاولتها ان تنظف البيت . فوافق عزيزامه على كل ما قالته من ان الكنامة ومسح الغبار وغسل الثياب والصحون وما شابه ليس «من خرج بنات الاوادم» واخذ عهدا للحال على جميلة - قسرا عن ارادتها - ان لا تعود لمثل تلك الاشغال . وفي اليوم الثاني ذهب واستاجر خادمة اجابة لالحاح امه وطبقا لرايه الخصوصي . ولكي يكون لجميلة ما تقضي به ساعات فراغها الطويلة كان ياتيها من مدة الى مدة برواية او مجلة او جريدة . وجميلة كانت تطالع كل رواية ياتيها بها زوجها لكنها لم تكتف بالمطالعة بل كانت تشعران قوى الشباب فيها تطلب شغلا جسديا مع الشغل العقلي فاسف ان ترى ذاتها محرومة من تلك اللذة ارضا . لخاطر زوجها وامه واييه .

لكن هذا الفراغ في حياتها لم يكن ليقلق راحتها العقلية والنفسانية لولا انه اخذ يتسع مع الايام حتى لم تعد قادرة ان لا تراه ، لاسيما لما بدأت تشعر ببرودة من زوجها في علاقتها معه .

مر عام وتلاه الثاني بعد زواجهما ، وكل يوم جديد كان يوم كد لجميلة ان هاوية فغرت فاها بينها وبين عزيز . هو لم يزل يناديا «فرقورة» وهي لا تزال تناديه «فرقور» وتستقبله كل مساء في الباب او عند اسفل الدرج خارجا . لكن ذلك الحنو في صوته وتلك اللهفة في عينيه نبخرا كدموع الندى عن وجنات الازهار بعد طلوع الشمس . لم يبق من اثر لتلك الابتسامة اللطيفة - ابتسامة العاشق - على وجهه الجميل . ووجهه لم يعد كالسابق مرآة مصقولة تشف عن كل حركات روحه وقلبه بل اصبح الان وجه بحر رائق تمثل الحياة تحته مشاهد خفية لا تراها العين ولا تسمعها الاذن . ذلك النور الالهي في عينيه الذي كان يملأ قلبها بالذ النحان السعادة والحب قد انطفأ الان وحل محله

فكر اسود عميق تهب منه نسيمات باردة على روح جميلة التي كانت لا تزال تعشق بكل قواها .

ان هذا الانقلاب الغريب لم يات فجأة بل بالتدريج . وجميلة بدأت تلاحظه بعد مرور السنة الاولى لاقرارهما . والان تراه يزداد يوما عن يوم . قلبها يتوجع وهي لا تظهر الوجع على وجهها خوفا ان تبخر من روحها اخر قطرة من السعادة التي لا تزال تطلبها نفسها وكل وجدانها . يخيل لها احيانا ان ما طرأ على حياتهما ليس سوى غمامة مرت بساء معادتهما وستنقش عن قريب . لا سيما عندما تسال نفسها عن اسباب التغير الذي حدث في علاقات زوجها معها فلا تجدها . وهي لا تزال تحبه كالسابق ان لم يكن اكثر . شفتاها لانزالان تشاقان الى شفتيه وصدرها الى صدره . هي لا تزال تنتظر رجوعه كل مساء بفروغ صبر وتقف في الباب وعيناها محدقتان في جهة واحدة - الجهة التي سيأتي منها . وبالاختصار فعزير لا يزال «فرقورها» فماذا طرأ على عزيز؟

بقي هذا السؤال يعذب جميلة نهارا بعد نهار وليلا بعد ليل الى ان سمعت مرة بالصدفة هذه المحاورة الوجيزة بين حمايتها وعزير .

«يا ابني . الى متى الصبر؟ انظر الى امراتك ودبرها .»

— «وكيف ادبرها؟ هل انا رب لاخلق اولادا؟»

— «وبلاه . اهكذا يفعل الناس؟ خذها الى بيروت . خذها الى الشام . ام

دعني انا ادبرها . اهكذا ينقطع نسلنا ونحن مكتفو الايدي؟»

«بالله يا امي اتر كيني بحالي . فما بقلبي يكفيني . اعلمي ما بدا لك! . . .»

هذا الحديث القصير بين ام عزيز وعزير فسر لجميلة كل ما كانت تتوق نفسها المتألعة الى معرفته من زمان . لكن معرفتها السر لم تخفف من آلامها

بل زادت قلبها انقباضاً ونفسها اوجاعاً. وما العمل؟ هي تحب عزيزاً ولا تتأخر لحظة ان تموت لاجله، وليس في العالم ما يشق عليها ان تضحية لاجل ارجاع حبه اليها. لكن عزيزاً يطلب ثمن حبها ما ليس في وسعها ولا في وسع العالم كله تقديمه. فهو يطلب منها اولاداً — وما ذنبها اذا كانت عاقراً؟ هي لم تعد تبالي بالالام النفسانية التي يسببها ادراكها ان ما كانت تخشاه قد أصبح الان حقيقة لا تدحض — وذلك ان سعادة عزيز معها لم تكن تامة بدون «عريس» وان حب عزيز لها كان حياً جزئياً لا كاملاً. كل افكارها تحولت الى نقطة واحدة وهي — هل من ميبيل الى تجديد نار الحب في قلب عزيز؟ — السبيل الوحيد ولادة البنين. وحمايتها نوهت عن بيروت والشام. فماذا ترى كانت تعني بذلك؟ هل في بيروت او الشام اطباء يقدرّون ان يجعلوا العاقرة تحمل وتلد؟ حمايتها وعدت ان تأخذ هذا الامر على عاتقها. وهي امرأة مخنكة مجربة، افليس الافضل ان تعمل بكل ما تقوله حمايتها؟ لكنها لم تسيء الى احد في هذا العالم — فلماذا اساء اليها العالم؟ حبها لعزيز لم تزده الايام الا نارا فلماذا خمدت نار حب عزيز نحوها؟ هي راضية به بدون اولاد. فلماذا لا يرضى هو كذلك بها؟ اليس هو المسمى اليها — فلماذا تسعى لتكفر عن اسائه؟ اليس الافضل ان تجازيه بالمثل وتقابله على البرودة بالبرودة؟ اليس الافضل ان تنتهر قلبها ليستكن وتطفئ. اندموج لواعج حبها وآلامها؟ — لكن — ربما...! ربما كان في وعد حمايتها بعض الامل. فلماذا لا تتبع بارقة ذاك الامل؟... بقيت جميلة مدة تتردد بين الشك والعزم. دموعها تهم بالانهمار فتجسها. وقلبها يكاد ينفجر في صدرها كقنبلة رشاشة — فتقول له «على مهلك يا قلب...»

• • •

اصرت ام عزيز على رأيها هذه المرة وفازت. وعزيز لم يعارضها وتمنعات جميلة لم تكن لتقف في طريقها. وهكذا امرت كبتها يوماً من الايام ان تعد كل لوازم السفر وفي الغد «نزلت» معها الى بيروت بعد ان اعلنت للجيران انها ذاهبة «لتشمم كبتها الهوا» لان كبتها «واولدها محصورة». وبعد غيبة اسبوع عادت الاثنتان من سياحتهما وعادت جميلة تراقب موت حبها التدريجي مشعرة انها تموت معه موتاً بطيئاً — موتاً روحياً. ان بيروت لم تخفف آلامها الجسدية والنفسانية. ومعاملة عزيز لها كانت تزداد خشونة لاسيما بعد ان مر عام على زيارتها لبيروت. اذا كان عزيز قبل تلك الزيارة يقبلها ولو قبلات ناشئة ويدعوها «قرقورتي» ولو نادراً فالان لم يعد يقبلها على الاطلاق وعاد يدعوها «جميلة» وقلما يناديها حتى باسمها. تعلم فجأة تنخين النارجيلة فصار عندما يعود الى البيت يجلس كل مسائه مع نارجيلته بدلاً من «قرقورته». لا يحدث احداً ولا يجسر احد ان يحدثه الا اذا جاء ضيوف فيقابلهم بلطفه العادي كأن لم يطرأ عليه تغيير البتة. وعند الساعة التاسعة تقريباً يذهب الى غرفة منامه ويقفل الباب وراءه.

جميلة اخذت تذوب كالشمعة ولم يكن لها احد في العالم كله تكشف امامه روحها سوى امها. ولكن — ماذا تفهم امها؟ اذا حدثتها عن المأساة التي كانت تعيشها الايام في قلبها تنتهد وتبكي ولا تفهم ماذا تقوله ابنتها. امها كأن عزيز تنظر الى عقر ابنتها كالى قصاص صادم من السماء، كالى فادحة عظيمة، كالى عيب كبير لا يمحي بين الناس. تنظر الى قرينات جميلة فتراهن يغذين باثديتين صبيانا وبنات فتخفقها الغصة اذ تفكر ان ابنتها التي كانت «زينة» بنات البلدة، ابنتها التي تحدث الغريب والقريب بجمالها وآدابها، ابنتها التي

تقاطرت لطلب يدعا الشبان من كل جهات لبنان - تمشي الان ولا لبن في ثديها ولا طفل على ذراعها... لذلك بدلا من ان تجد جميلة تعزية عند امها، كانت تضطر ان تعزيبها.

لم تكنف ام عزيز بسياحتها الى بيروت بل اجبرت كتبها، بعد مرور عام، ان ترافقها الى الشام واعلنت هذه المرة كذلك لاهل القرية انها ذاهبة «لشتم كتبها الهوا» لان كتبها «واوالدها محصورة». لكن اطباء الشام واطباء زحلة لم يفعلوا ما قصر عن فعله اطباء بيروت. حيثذ لغنت ام عزيز في قلبها الطب والاطباء وعولت ان تستعين «بالمغاربة». فصارت لا تسمع عن «مغربي» زار البلدة الا دعتة الى بيتها وشرحت له حكاية كتبها، حتى تحول بيت الكرباج الى نزل يومه كل من رفع صوته في تلك البلدة ونادى «حكيم. طبيب. دوا للحبة. دوا للعين!» ولم يطل ان تحققت ام عزيز ان حذاقة «المغاربة» كذلك لم تجدها نفعا. فما العمل؟ - بقي باب لم تطرقه ام عزيز وقد تركته آخر ومثيلة تلجأ اليها اذا غابتها كل الومائل. ذلك - زيارة الاديرة - عليها السلام. فزارت مع كتبها دير مار جرجس الحميمي. وبعد مدة زارت مار مطانيوس قزحيا. ثم مار تقلا الخ وجميلة في يدعا. كآلة خرما. تديرها كيفما شئت. في يد الامر كانت جميلة تمنع عن هذه الزيارات لكنها تحققت بالامتحان ان لا نفع من تمنعها ولذلك استسلمت لارادة حمايتها وقد فقدت ارادتها تماما مع فقد حب زوجها. الحياة اصبحت عبثا ثقيلا عليها لم تكن تجد واسطة للتخلص منه. مضى على زواجها نحو عشرة اعوام فادركت ان السعادة التي سكرت بها في الاشهر الاولى قد ذهبت ولا امل برجوعها. عزيز يكاد لا يكلمها على الاطلاق - منى ولا ينظر اليها. يقضي اكثر لياليه في السوق

ويرجع بين المرة والاخرى احمر العينين مع زرقة تحتها. تتصاعد من فمه روائح العرق والنيذ والجمعة. اسنانه اكتست بغطاء اصفر كثيف. لون وجهه انقلب من الوردي الى الرمادي. طرفا شاربيه هبطا الى اسفل. لحيته لا ترى الموسى احيانا في اسبوع. عندما يرجع الى البيت يتحول البيت الى مقبرة لا حركة ولا حياة فيها. لا يجسر احد ان ينس بينت شقة. واذا حدث وقال او فعل احد ما ليس على خاطره - سواء كان ذلك اباه او امه - يبدأ بشتائم الدين وتكسير كل ما تصل اليه يده من فرش وآنية ومرة ضرب زوجته لانها رفضت ان تذهب الى الكنيسة وتلبس كل مجوهراتها.

كانت جميلة ترافق كل ذلك وقلبا يتفطر. وابو عزيز وام عزيز ينظران اليها كالى سبب تعامة وحيدهما لذلك ينفضانها. وكم سمعنهما يتحدثان «ولدي - تقول ام عزيز - لقد ذاب من قبره. لا الله يطعمها ولا عزرائيل يتدفها عنه. لو ماتت لتزوج من بنت حلال سواها تانيه بولد يعزي آخرتنا وآخرته...» ذلك الحنو الذي كانت تلاقه جميلة من حمايتها لم يبق له من اثر. اذا راتها الان تكس وتغسل وتطبخ لا تصيح كالسابق «ويلي ويلي! ليتك تقبرين حمايتك انشا الله». الخادمة التي كانت استاجرتها لخدمة جميلة عادت الى بيتها من زمان. جميلة تشتغل اليوم كثور في البيت وخارج البيت. واذا جلست لتستريح تسمع للحال صوت حمايتها «رجعنا تقعد؟ ما هذا الوقت وقت قعود». الكل يشاركون جميلا في مصابه وبلواه وقل من في قلبه بعض الشفقة نحو جميلة. اذا خرجت من بيتها تخرج كل ام في البلدة تحمل رضيعا حتى اذا اقربت منها جميلة تخاطب طفلها هكذا «فو. ادا! - او بطرس او حنا - صفق لخالتك جميلة يا ابني صفق. اي تلحدني هاتان اليدان الحلوتان بجاه

رب السما» الخ. كل ذلك لتسمع جميلة ويدمى قلبها المجرع. وجميلة كانت تسمع ما كته وتبكي ما كته وتتمرمر نفسها من الحياة والعالم ما كته. اذا مشت تشعر كأنها تمشي بين اشلاء آمالها التي جندلتها الايام من حولها وان نامت تشعر بانها نائمة على انقاض معادتها المتهدمة. ماذا بقي لها في هذه الدنيا ولماذا تعيش؟ ولكن هل ذوت كل آمالها على الاطلاق؟ اذن لماذا لا تزال تقول «ربما»؟ «ربما من الله علي...» لو «من الله عليها» ترى هل تعود اليها تلك السعادة المفقودة؟

عينا حاولت جميلة ان تجيب على هذه الامثلة لانها اصبحت غريبة عن نفسها. فالظلمة التي اكتنفت روحها لم تبق لها منفذا لدرس خفاياها واسرارها لذلك تعذر عليها ان تعطي حسابا لنفسها عن نفسها فوجدت الامتسلام للايام اسهل طريق تسلكه ولذلك لم تعارض ارادة حمايتها لما اعلنت لها يوما عن عزمها ان تذهب بها لزيارة صيدنايا - المجد لاسمها

• • •

من قال ان زمان العجائب قد مر فليذهب الى بلدة ع. من اعمال لبنان ورسال عما جرى سنة ١٩١٠! امرأة بقيت عاقرا عشر سنوات. لم ينفعها علم الاطباء ولا ساعدتها عقاير المغاربة. حتى مار مطانيوس قزحيا عجز عن «شفائها». لكن صيدنايا - المجد لاسمها - سمعت صلاة ام عزيز الكرباج الحارة.

نعم. صيدنايا لم تخيب طلبات ام عزيز. فقد حملت جميلة في تلك السنة وما اسرع الانقلاب الذي حدث في البيت حالا بل في كل البلدة! فعزیز عاد يناديها «قرقورتي» مع ان جميلة لم تعد تحب سماع هذا الاسم الذي كان

يمزق قلبها كخنجر حاد ولم تعد تنادي زوجها «قرقوري». وصار عزيز يرجع الى البيت مساء وفي يديه وجيوبه جميع انواع الماكولات والهدايا. الخادمة كذلك رجعت الى بيت الكرباج. وام عزيز عادت تهتف كلما رأت كتبها تمسح الغبار عن كرسي او تحرك الطبخ في قدر. «ويلي. ويلي. تقبري حماك ان شا الله!» وعاد ملاك السلام الى بيت الكرباج. فترك عزيز السكر واكتفى بالنارجيلة فقط. وعادت الابتسامة الى وجهه ورجع نور السعادة الى عينيه. واما تقابل تها في اهل البلدة بقلب طافح بالفرح وتذكر كلا منهم ان لا فضل لها في ما جرى قائلة.

«صيدنايا - المجد لاسمها!»

لم يلاحظ عزيز، من شدة فرجه، الانقلاب العجيب الذي حدث في زوجته. لم يلاحظ ان تلك الابتسامة الملائكية التي كانت تتلاها على وجهها الوردية فيما سبق قد غابت الان الى الابد تاركة مكانها علامة سوءال مبهم. لم ير ان تلك القوة الكهربائية التي كانت تتسرب من عينيها الضاحكتين الى اعماق قلبه فتملؤه غبطة سماوية قد اختفت الان وراء تلك الاهداب الطويلة التي تظهر كل دقيقة كأنها تستعد للبكاء والندب. لم يشعر بنغمة جديدة في صوتها - نغمة حزن عميق لا اول ولا آخر له. لم ير اصفرار وجهها ولا تقطب حاجبيها الدائم الذي ينم عن اوجاعها النفسانية. واذا رأى بعض ذلك فكان يحسبه طبيعيا في حالة الحمل.

اما جميلة فكانت كأنها انسحبت من العالم الخارجي الى داخل نفسها كما تسحب البزاقة الى صدقتها. وهناك انفردت نفسها بنفسها لأول مرة في حياتها فاعتراها رعب لما اخذت تحلل ذاتها بذاتها وترفع الستار رويدا رويدا عن



اشياء داخلية كانت تشعر بها ولا تعرف وجودها. لأول مرة في حياتها سألت نفسها. ما عسى ان يعني كل هذا - صباها وشبابها وزواجها وظلماً روحها الدائم وسعادة لم تكدها حتى تقمصت من بين يديها واختفت الى الابد؟ واثنين قلبها الذي لا يبطل، كأن حية تفرض اوصاله. ومياحتها الى بيروت والشام وزحلة الخ وزيارة الاديعة والنذور للقديسين وتقديم الصلوات...؟ ما عسى ان يعني كل ذلك؟ اهذه هي الحياة؟ وان كانت تلك هي الحياة فما غايتها منها؟ ان تحمل وتلد عريسا لترضي زوجها واهل زوجها؟ هي الان حامل - فلماذا لا تنزع؟ ولكن كيف حملت؟... فصل جميلة في افكارها الى هذا الحد ثم تعود الى حيث بدأت. كيفما اقلبت تشعر كأنها ماشية في دائرة مسحورة من الافكار التي تتبعها كاشباح آمال ميتة. وكم حاولت ان تفلت من تلك الدائرة ولم تقدر! كم حاولت ان تخلص من نفسها وترجع لتنغمس براسها في بحر الحياة الواسع - في حب زوجها وامها وملاطفة حمايتها وحبيبها - لكن بدون جدوى؟ قبلات زوجها اصبحت سماً يتفشى في كل جسدها وملاطفة حمايتها - حراباً تقطع شرايين قلبها. ادركت انها قد اصبحت كورقة قطعها الرياح من شجرة وحملتها الى محلات غريبة قسوة. ادركت انها غريبة في بيت زوجها وبيت امها وكل بلدتها - بل في العالم كله. وهذه الغربة الروحية كانت تضغط على ضميرها كل دقيقة وكل ثانية حتى شمت الحياة وشمت العالم.

• • •

كان العاشر من شهر ايار سنة ١٩١١ يوما من تلك الايام الربيعية في لبنان

التي يعرفها من عاش في الاماكن المرتفعة من ذلك الجبل والتي لم يظهر الى الان قلم استطاع ان يفيها حقها من الوصف.

كانت الشمس تتخطر على مهلها نحو المتوسط لما عاد عزيز الكرباج من شغله الى البيت ولم يجد زوجته جالسة على الدرج حسب عاداتها. سال امه عنها فاجابت انها ذهبت لتنتزه منذ ساعة ولم ترجع ثم اضافت انها قد تكون زارت في طريقها بعض الجيران. لم يكتف عزيز بهذا التفسير لعله ان زوجته في المدة الاخيرة كانت تجنب الناس ومعاشرتهم كما تجنب الافاعي والعقارب. لذلك دخل توا الى مخدعها ليرى اذا كانت قد لبست ثوبا من ثياب الزبارة. فتأكد انها في ثيابها البيتية. لكنه لم يشاهد هذه المرة ما تعود ان يراه في غرفتها من التريب والاتقان. وبينما هو يسأل نفسه اين عسى ان تكون «فرقورته» وقع نظره على ورقة مطوية على صفحة الرخام امام المرأة. فاخذها واذ فيها: «تجدني تحت السنديانة جميلة».

فرا عزيز تلك الكلمات وطار بسرعة البرق الى السنديانة. وهو يعرف كل غصن من تلك الشجرة كما يعرف اصابع يديه العشرة. هي السنديانة عينها التي كان يجلس تحتها مع جميلة في الايام الماضية - ايام سكرتهما بالحب الاول وسعادة الحياة الزوجية. هي سنديانة دهرية واقفة على ظهر ربوة يجري عند قدميها نبع ماء نقي عذب. حولها كثير من الاشجار المختلفة الاعمار - لكنها اقدم شجرة في ذلك الجوار بل في كل البلدة وجوارها.

وصل عزيز الى السنديانة ووقف جامدا كمن اصيب بمس - لا يدري ايبكي ام يضحك.

«فرقورة...! فرقورة...!» - امامه زوجته على الارض مضطجعة على

جنبها الايمن وعليها ثوب العرس — ذلك الثوب عينه الذي وقفت فيه بجانبه من مضي احدى عشرة سنة امام الخوري بولس. على راسها اكليل من الازهار شعرها العتيقي مسدول على كتفها اليسرى. وضميرة منه تطوق عنقها. راسها واصابعها تسند خدها الايمن.

«جميلة.. جميلة..!» — جميلة لا تجيب. فانحنى فوقها ولا يزال يخالج قلبه امل ضعيف بانها ربما كانت نائمة. اخذ راسها بين يديه وللحال تراجع الى الوراء وصرخ مذعورا اذ وجد «قرقورة» جثة هامدة..

لما عاد اليه رشده واقترب منها ثانية لمح بين طيات ثوبها، فوق صدرها، رسمه ورسمها في ثياب الاكليل ووجد بالقرب منها ورقة مطروحة على العشب كأنها حاولت ان تمرقها ولكن حال بينها وبين ذلك الموت. ففتح تلك الورقة بيد مرتجفة وهذا ما وجد فيها

«الى قرقوري الحبيب الذي لا يثمن!

في مثل هذا اليوم ربطنا الخوري بولس بوثاق الزيجة. واليوم — بعد مضي احدى عشرة سنة — يفصلنا الموت. فهل نلتقي بعد؟ اذا صح ما يقولونه عن الحياة الاتية فسوف تجدني بانتظارك على عتبة العالم الثاني فاتحة ذراعي لاستقبالك ومهيئة شفتي لقبلك. وسوف تسمع مني مرة اخرى. «كيف حالك يا قرقور؟» آه يا عزيز — لو كنت الان بجانبني! الان — وانا واقفة بحضرة الموت! احب ان اشكرك على كل قبلة قبلتني اياها بحب وشوق. اود ان اشكرك على كل كلمة وكل حركة وكل لحظة حبيت بها الحياة الي. مرت بي دقائق جعلتني انسى ان في العالم اوجاعا واحزاناً. وتلك الدقائق كانت من هدايا حبك — فاشكرك عليها يا عزيز! حلمت احلاما جعلتني اظن

نفسي في السماء لا على الارض وتلك الاحلام كانت من نسمات حبك — فاشكرك عليها يا عزيز! ذقت طعم سعادة الفردوس. وتلك السعادة كانت من ثمرات حبك — فاشكرك عليها يا عزيز! اما انا فماذا قدمت لك عوضاً؟ — قدمت لك جسماً نقياً، جميلاً، طاهراً. وبالاجمال — كرمست لك ذاتي. وما ذنبي اذا لم تواز تقدمتي عطايك؟ انت لم ترض بي وحدي — لم تكف بجميلة «مجردة» — وانا قبلت بك وحلك دون بقية العالم. انت كنت لي الكل بالكل. سعادتي تمت بك وبحبك. ولكن سعادتك لم تتم بحبي. انت لم تظهر لي ذاتك في اول الامر ولكن الايام كشفت لي ما كان مستورا عن عيني. كنت اظنك سعيداً بحبي كما كنت سعيدة الى النهاية بحبك فقط. وما امر تلك الساعة التي ادركت فيها خطائي! اتذكر حديثنا عن «العرس»؟ اتذكر لما سالتك اذا كانت سعادتك غير تامة بلا اولاد؟ اتذكر جوابك لي؟ حاولت مع ذلك ان اخدع نفسي. حاولت ان اقنع ذاتي ان محبتك لاولاد كانت كمحبة بقية الرجال. وان حبك اباي سيبقى كما كان — سواء رزقنا الله «عرساً» ام لم يرزقنا. وما امر الحقيقة التي كشفتها لي حوادث السنوات التي تلت ذلك!

لما تاكدت ان لا رجاء مني لالد لك اولاداً نبذتني من حياتك كالنواة. ولم تكف بذلك بل ابغضتني وكرهتني كأنني سم افعى. بدأت بالتدخين ثم بالسكر ثم بشتمي وضربي. اتذكر لما ضربتني لاني رفضت ان اذهب الى الكنيسة لابسة كل حلي. آه. ما الذ تلك الضربات من يدك! قل لي بحقك اما كانت تدخل الشفقة قلبك لما كنت تنظر الي اسير في البيت كشبح اصم اخرس. اراقب كيف تهبط بناية سعادتي امام عيني. وارى نفسي غريبة كيفما



توجهت؟ انسيت اني لم ازل من لحم ودم مثلك واني لم افقد رقة شعور النساء؟ هل قيت بهذا المقدار حتى لم يبق في قلبك مكان للركة على الاطلاق؟ — آه. كم مرت وددت في تلك الدقائق لو نظرت الى اعماق نفسي، كما كنت تنظر الى خفاياها سابقا بعينيك الخارقتين، ورايت ما كان يجول فيها! انت لا تعرف آلام الجرح في القلب. واول جرح في قلبي نلت من يدك كان ادراكى ان حبك لي — من البداية الى النهاية — لم يكن حبا لشخصي انا، لم يكن حبا لي كإنسان مستقل بوجوده وكيانه في هذا العالم. انت احببتني كام اولادك في المستقبل. احببتني كاتى مشترك لك ذرية قبل ان تموت. ذاك عندك طبيعي. لكنه عندي امر من الموت. لما كنت افكر ان لا ثمن لي في عينيك بذاتي، ان لا قيمة لجسمي وروحي بين يديك الا كآلة للتبذير، كنت اطلب الموت لنفسى. انت لا تفهم ذلك. انت الى الان لا تدرك ان المرأة انسان ولها قيمة محصورة فيها ومستقلة عن اولادها لذلك لم احاول ان اقول لك عن ذاك شيئا. انا وجدت فيك تنمة حياتي. لكن تنمة حياتك لم تنحصر في — فقط بل تعدتني — وهذا ما كان يؤلمني ويجرح قلبي. احببتك قبل الزيجة واحببتك بعدها ولا ازال احبك الان. لم ابغضك الا دقيقة واحدة فقط — لما رفعت يديك وضربتني مع اني اذكر ذلك الحادث الان براحة ولذة واشتهي لو كنت معي لتعيده.

هل ظننت اني شاذة عن سنة الطبيعة؟ هل حسبت اني، وانا امرأة، ابغض الاولاد واعالة الاولاد؟ آه. لو تدري كم ليلة حلمت ان طفلا على ذراعي! كنت اراه كذلك في اليقظة ينمض ندي. اسمع دقات قلبه الصغير وارى يديه الصغيرتين تلعبان في الهواء. كم مرة رايت به بدرج امامي في الدار. كم مرة

سمعته يناديني «ماما». كم مرة جلست بقرب سرير الصغير وغنيت له ليلنام محدقة بوجهه الملائكي وعينيه السماويتين!... لكنك كنت اعمى عن كل ذلك. كيف لا تفهم اني لو رفضت ان اضحي معادتي، وهي حقيقة كاثنة، لاجل اولاد لا يزالون في رحم المستقبل، اي لاجل ما ليس كاثنا، لا اكون اعبر بذلك عن بغضي للاولاد؟ الا يقول «المثل — عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة؟» مع ذلك فقد سلمت نفسي لارادتك كمعدة. حرمتني لذة الشغل في البيت خوفا من كلام الناس — فرضيت. كرهتني لانني لم املك «عريسا» — فحملت نفسي فوق طاقتها من زيارة الاطباء والقديسين والاديرة انت لا تدري كم ذرفت من الدموع في خلواتي وابان سياحتي. انت لا تدري كيف كان يقطر قلبي دما لما كنت اراك تهرب مني وتميل نظرك عني كاني هوا. اصغرا! امك وابوك كانا يشتهيان ان «يقذفني» عزرائيل عنك لعلك تقدر ان تاخذ لك امرأة ولادة. وها انا احذف نفسي من حياتك. فربما وجدت احسن واخصب مني. انا كنت متعلقة بوميض امل ضعيف، كما يتعلق الغارق بقشة، حملت المضض والالم والذل والاهانة وانا اقول «ربما...» ربما عدت فولدت لك «عريسا» بعجوبة من السماء. كنت اظن اني اذا حصلت على ذلك امترجع خيال حبك السابق ومعادتنا الاولى. وشدة رغبتني في ارضائك وامترجاع حبك حملتني على اقتراف ذنب لو غفرته انت لي فلا اغفره انا لنفسي. سيفصلنا الموت عن قريب — فلماذا اخاف ان اطلعك عليه؟

انا احمل الان في احشائي روحا صغيرة وجسما صغيرا — هو الجنين الذي اعاد الابتسامة الى وجهك والنور الى عينيك. لكنه ليس من لحمك ودمك... ضحيت عزة نفسي وطهارة جسمي لاحصل عليه ارضاء لخطرك. لكنني ادر كنت

الآن ان ما فعلته ذنب لا يغتفر. انا لا اريد ان اشترى حبك بالخدايع والزنى...
 لكنني لما زينت، زينت لاجلك فقط... انا اشعر بحر كات هذا الطفل التمس
 بين ضلوعي الآن. لكنها ستهمد عن قريب. ستقف دقات قلبه الصغير عندما
 تقف دقات قلب امه الزانية. من هو ابوه؟ — وهل يهلك ان تعرف ذلك او
 هل يخفف ذلك من ذنبي؟ — يكفيك ان تعرف انه ليس ابنك فربما تسر
 حينئذ انني اموت واميته معي. الا فاعلم يا عزيز ان المعاصر انت لا انا، ولكن،
 مع ذلك، انا مجرمة في نظرك ونظر العالم — هل قتلي نفسي جريمة كذلك؟
 او لم امت قبل الآن؟ ألم اكن ميتة كل هذه السنين التي تركتني فيها وحيدة
 غريبة كسيرة النفس والقلب؟ ومن هو قاتلي — الست انت؟ الآن لا مرد لما
 فات. ان عزيزا الذي احبته روحي اولا راح ولن يرجع. فما غابتي بعد من الحياة؟
 لماذا اتكلم عن كل هذه الامور؟ بعد دقيقة تجمد هذه اليد وتضمحل هذه
 الافكار وتسكت دقات هذا القلب الى الابد. ها الشمس تميل الى المغيب.
 وانا اشتهي ان تفارقني الحياة قبل ان يفارق النور اغصان السندبانة. في السندبانة
 فوق راسي جوق من عصافير الحسون. ما الذ تغاريدهم! ما اطيب خرير الساقية
 وحفيف اوراق السندبانة! انذكر لما كنا ناتي ونجلس هنا اول ما ادر كنا
 معنى الحب؟ آه. لو كنت بجانبني الآن لاضحك ولو مرة بعد الى صدري
 قبل ان اودع هذا العالم! هنا ولدت محبتنا وهنا ادفنها معي. في يدي الآن
 رسما في ثياب الاكليل. ما كان اجملك والطفلك يا عزيز في ذاك النهار! ما
 اجمل شاربيك وما اعمق سحر عينيك وما الذ نضارة وجهك! آه. لو تعود
 دقيقة واحدة، بل لحظة، من ذاك النهار! آه. لو يعود عزيز صباي، عزيز حبي،
 عزيز حياتي ومعادتي!... ما كان الذ الحياة معك يا عزيز! اشكرك. اشكرك.

اشكرك على كل قطرة من السعادة التي ارتشتها من ينبوع حبك واطلب منك
 صفحا عن كل اساءة صدرت مني نحوك ان كان بالقول او بالفعل او بالفكر.
 انا اموت واسمك بين شفتي... هل يمكنك ان تدفن هذه الصورة معي؟...
 احب ان انام نومتي الاخيرة مع رسم حبيبي عزيز الذي علقت به روحي من
 يوم ادركت معنى الحب... لا طلب لي اليك سوى ان تصفح عن كل
 هفواتي... ولا وصية لي عندك سوى امي. امي. امي. حبيبتني امي! ترى
 ماذا تفعلين بعد انحجاب جميلتك عنك الى الابد؟!...

اذا ذرفت على تربتي دمعة فقط... دمعة واحدة... اكون ممتنة لك حتى
 بعد القيامة... وداعا يا قرقوري الحبيب!... وداعا يا قرقوري الذي لا يثمن!

قرقورتك

جميلة.

* * *

اخبرني صاحب من ضيعة عزيز الكرباج انه راء حديثا في نيويورك وساله —
 هل تزوج ثانية؟ فاجابه متنهبا وفي صوته غصة «لا جميلة بعد جميلة»



مناجاة

لنسيب عريضة

لاحت قصور الخيال تعلو متون الغمام
يا اخت روحي، تعالي اطلت فيها المقام

يا اخت روحي اسمعيني من اوج تلك السماء
قد كاد يقضي بقيني هلا اجبت النداء!
اراك لا تعرفيني - ازال عني البهاء?
اجل تغير كنهى مذ جئت ارض الشقاء
بدلت فيها جلالي بحلة من عظام
يا اخت روحي، تعالي قد اضجرتني الانام

ارنو بليل كئيب وطرف جسمي كليل
اصني، ترى من مجيب او من خيال جميل
يلوح رجع مناه في طي غيم ثقيل
وكيف، والجو قفر يحار فيه الدليل?
يا وبع هاذي الليالي اضحت لظرفي لثام
يا اخت روحي، تعالي فالناس صرعى نيام

الناس - من هم؟ جوم
ان يرقنوا فتعيم
واحدنا! انا منهم
ناموا ونفسي يقظي
ترجو انتهاء اعتقالي
يا اخت روحي، تعالي
ضاعت بين النفوس
رقادهم في البؤوس
ما دام جسمي اللبوس
تهذي بذكر الشوس
لكي تقض الخيام
تلقي اليك الزمام

كانت لها الشهب عرثا
فاهبطت فهي تخشى
تظل غرثى وعطشى
تقتات بالصوم حينا
تعاف ثدى المحال
يا اخت روحي، تعالي
وكنما في اقتراب
وتنزوي في الحجاب
لقوتها والشراب
وترتوي بالسراب
ينز منه الاوام
قد حان عهد الفطام

يا اخت روحي الحزينة الى متى ذا الصدود?
او انت مثلي سجيئة قد اثقلتك القيود?
مرضت في الارض يا ما ولا صديق يعود?
يا اخت روحي، صبرا! فالملتقى في الخلود

لاحت قصور الخيال كومضة في الظلام
اكلهن خوالي؟ ما من برد السلام?

أيتها الأرض

لجبران خليل جبران

ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك!
ما أتم امتالك للثور وأنبل خضوعك للشمس!
ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى!
ما أعذب أغاني فجرك وما أهول تهاليل مسائك!
ما أكملك أيتها الأرض وما أسناك!

لقد سرت في سهولك، وصعدت على جبالك، وهبطت إلى أوديتك، وتسقت
صخورك، ودخلت كهوفك، فعرفت حلمك في السهل، وافتتكت على الجبل
وهديوك في الوادي، وعزمتك في الصخر، وتكتمك في الكهف، فانت انت
المنبسطة بقوتها، المتعالية بتواضعها، المنخفضة بعلوها، اللينة بصلابتها، الواضحة
بأسرارها ومكنوناتها.

لقد ركبت بحارك، وخضت أنهارك، وتبعت جدولك، فسمعت الأبدية تتكلم
بمدك وجزرك، والدهور تترنم بين حضابك وحزونك، والحياة تناجي الحياة
في شعبك ومنحدراتك، فانت انت لسان الأبدية ومفاتها، وأوتار الدهور
وأصابعها، وفكرة الحياة وبيانها.

لقد أيقظني ربيعك وسيرني إلى غاباتك حيث يتجهر اجتهدك أثمارا، وأوقفني
خريفك في كرومك حيث يسيل دمك خمرا، وقادني شتاؤك إلى مضجعتك،

حيث يتناثر طهرك ثلجا، فانت انت العطرة بريعها الجوادة بصيفها الفياضة
بخريفها، النقية بشتائها.

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وأبوابها وخرجت إليك مثقلا بمطامعي
مكبلا بقيود أنا نيتي فالفيتك شاحصة بالكواكب وهي تبسم لك، فنزعت عني
قيودي واثقالي وعلمت أن منزل النفس فضاؤك، ورغائبها في رغائبك، وسلامتها
في سلامتك، ومعادتها في الغبار الذهبي الذي تنثره النجوم على جسدك.
في الليلة المبطنة بالغيوم، وقد مللت غفلتي وجمودي، خرجت إليك فوجدتك
جبارة هائلة مسلحة بالعاصفة، تحاررين ماضيك بحاضرک، وتصريعين قديمك
بجديدك، وتبعثرين ضئيلك بضليعك، فعلمت أن نظام البشر نظامك، وناموسهم
ناموسك، ومستهم سنتك، وأن من لا يبصر بآرياحه ما يبس من أغصانه يموت
مللا، ومن لا يمزق بثوراته ما يلبى من أوراقه يفنى خمولا، ومن لا يكفن بالنسيان
ما مات من ماضيه كان هو كفنا لما تني الماضي.

* * *

ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أنا ناك!

ما أشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم إلى الوهامهم، الضائعين
بين ما بلغوا إليه وما قصرُوا عنه.
نحن نضج وانت تضحكين.
نحن نذنب وانت تكفرين.
نحن نجدف وانت تباركين.
نحن نتجس وانت تقدمين.
نحن نهجع ولا نحلم وانت تحلمين في سهرک السرمدي.

نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم.
نحن نزرع راحتك العظام والجماجم وانت تستبئينها حورا وصفصافا
نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر.
نحن نستودعك الجيف وانت تملأين بيادرنا بالاغمار ومعاصرنا بالعناقيد.
نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا
وتكونين منها الورود والزنابق.
ما اوسع صبرك ايتها الارض وما اكثر انعطافك!

• • •

ما انت ايتها الارض ومن انت؟
اذرة من الغبار تصاعدت من بين قدمي الله عندما سار من مشارق الاكوان
الى مغاربها، ام شرارة قذفت من موقد اللانهاية؟
انواة طرحت في حقل الاثير لتشق قشرتها بعزم لبابها وتعالى نصبة ربانية
الى ما فوق الاثير؟
اقطرة من الدم في عروق جبار الجبابرة، ام انت قطرة من العرق على جبينه؟
اثمرة تلوحها الشمس ببطء؟ اثمرة انت في شجرة المعرفة الكلية التي تمد
عروقها الى اعماق الازل وترفع غصونها الى اعماق الابد، ام جوهرة انت وضعها
اله الزمن في حفنة الالهة المسافة؟
اطفلة انت في حضن الفضاء، ام عجوز ترفب الايام والليالي وقد شبعت من
حكمة الليالي والايام؟
ما انت ايتها الارض ومن انت؟
انت انا ايتها الارض! انت بصري وبصيرتي، انت عاقتي وخيالي واحلامي،

انت جوعي وعطشي، انت المي وسروري، انت غفلي واتباهي.
انت الجمال في عيني، والشوق في قلبي، والخلود في روحي.
انت انا ايتها الارض فلو لم اكن لما كنت.

نحن

لايليا ابي ماضي

كم خفضنا الجناح للجاهلين وعذرناهم فما عذرونا
خبروهم، يا ايها العاقلونا، انما نحن معشر الشعراء
يتجلى سر النبوة فينا
ذكروهم، قرب خير كبير فعلته الهداة بالتذكير
انما الناس من تراب ونور فبنو النور سيعبدون النور
وبنو الطين يعبدون الطين
قيل عنا: قصورنا من هباء تتلاشى في ضحوة ومساء
او مطور بالماء فوق الماء لو سكنتهم قصورنا بعض ساعة
لنستيم شهوركم والسنين
لو دخلتم هياكل الالهام وسبحتم في عالم الاحلام
واجتليتم سر الخيال السامي وعرفتم كما عرفنا الله
لخررتهم امامنا ساجدين

الدرويش

لرشيد ايوب

دعته الاماني فخلت الربوع ومار وفي النفس شيء كثير
وفي الصدر بين حنايا الضلوع لنيل الاماني فواد كبير
فحث المطايا وخاض البحار ومرت ليال وكرت سنون
ولم يرجع

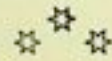
والقى عصاه وحط الرحال بارض الاثاوس والاشبل
تم عليه فعال الرجال كما نمت الريح بالمنزل
وراح يغني بصفو الزمان غناء البلبل فوق الغصون
على مسمي

فمرت معود، وجاءت نحوس «وقد نصل البهر صبغ الشاب»
فعلل نفسا رمتها البوموس ببحر هموم علاه الضباب:
ايا نفس، صبرا لحكم القضا! ويا نفس مهما دعتك الشجون
فلا تجزعي!

فما بال نفسي بنت الخلود تخاف الخلود وتائبى الذهاب!
وقلبي الخفوق عراه الجمود ايشى التراب ابن هذا التراب!
وبات المسافر في حيرة بمعنى الحياة وسر المنون
ولم يجمع

ايا جيرة الحي، ابن الطريق؟ فاني ضللت عن المنزل
لقد كان لي في حماكم رفيق من المهد في الزمن الاول
ففضوا العيون وفيها الدموع فحار فوادى بتلك العيون
وفي الادمع

وقالوا: راينا شريدا يحول بعيدا عن الناس في معزل
بيت الليالي يوم الطلول ويكي على عهده الاول
قلنا: دعوه عراه جنون ومرت ليال وكرت سنون
ولم يرجع



اذا غزلتكم حول يومي الفنون، وان حبكتكم حول ليالي الملام
فلن تدكوا برج صبري الحصين، ولن تزيلوا من كوموسي المدام
ففي حياتي منزل للسكون، وفي فوادى معبد للسلام
ومن تغذى من طعام المنون لا يخبث من ان بنوق المنام

جيران خليل جبران

شذرات

لجبران خليل جبران

عندما رمى بي الله حجرا الى بحيرة الحياة اُحْدِثَتِ الدَّوَابُّ عَلَى سَطْحِهَا
ولكنني ما بلغت اعماقها حتى صرت هادئا.

الناس رجالان، رجل مستيقظ في الظلام ورجل نائم في النور.

انا كولمبس نفسي، وفي كل يوم اكشف قارة جديدة فيها.

الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول الى شكل من قوة الاستمرار
وهذه بدورها لا تلبث ان تنقلب عبودية.

اشد الناس كآبة كئيب لا يعرف سبب كآبته.

حقيقة الناس في ما يخفونه عنك فان شئت ان تعرف الناس فلا تصغ الى
ما يقولونه بل الى ما لا يقولونه.

ما اظلم من يعطيك من جيبه لياخذ من قلبك.

الخيال حقيقة لم تتحجر بعد.

تشربون الخمر لتسكروا واشربها لاصحو من خمرة اخرى.

بعض الوجوه الحريية مبطنة بنسيج خشن.

اقرب الناس الى قلبي ملك لا مملكة له وفقير لا يعرف كيف يستعطي.

لم يعمل البشر الا بمقتضى قول القائل «خير الامور الوسط» لذلك تراهم
يقتلون المجرمين والانبيا.

يظن بعض الناس انني اغامرهم عندما اغمض عيني كي لا اراهم.

كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك اما اليوم فانه يدعي خدمة
المساكين.

الحياة مركب يستسرع البطي، فيتنحي عنه، ويستبطئه السريع فيتنحي
عنه ايضا.

يقولون لي لست والعالم الذي تسكنه سوى ذرة رمل على شاطئ بحر
اللانهاية وليست العوالم اجمع سوى ذرات على شاطئ.

اشتاق الى الابدية لانني ساجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة وصوري غير
المرسومة.

انا الشعلة وانا الهشيم وبعضني يا كل بعضني فهلا حولت وجهك عني كي لا
يعميك دخاني؟

كيف اشك بعدل الحياة واحلام من يفترش الريش ليست باجمل من احلام
من يفترش الثرى؟

لولا جهلي ما تعرفونه لما عرفت ما تجهلونه.

كيف يستطيع مربع الراس ان يفكر افكارا مستديرة؟

اللؤلؤة هيكل بناء الالم حول حبة رمل واجسادنا هياكل بناها التشويق
حول ذرات من الروح.

كلما وضع امامي شكل من الطعام اسال ذاتي ما هذا الذي سالتهمه الان يا
تري اعالم شمسي كامل التكوين ام مديم لم يكمل بعد.

ما اضيق عيش من يؤثر اجتهاد النمل على انشاد الجنادب!

المتدين لا يمتذهب والمتمذهب لا دين له.

هل كانت محبة ام يوداص لولدها اقل من محبة مريم ليسوع؟

لو قال الشتاء «الربيع مخنبي» في قلبي» فمن يا ترى يصدقه؟

للرجل العظيم قلبان، قلب يدمي وقلب يتجلد.

قد تخور الضفادع كالجواميس غير انها لا تجر المحراث في الحقل ولا
النوارج على البيدر اما جلودها فلا تصلح للاخذية.

كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم ارتكبتها قط كي لا اظهر ارفع ممن يجالسني
من المجرمين.

حجتي تفنع الجاهل وحجة الحكيم تقنعني. اما من تراوحت عاقلته بين الحكمة
الحكمة والجهالة فلا اقنعه ولا يقنعني.

اجعلني يا رب فريسة للامد قبل ان تجعل الارنب فريسة لي.

اجعل يا رب قوة اعدائي مضارعة لقوتي كي لا تكون الغلبة الا للحق.

اذا كان القصد من الدين الثواب، ومن الوطنية المصلحة، ومن العلم التفوق،
اذن فاعطني الدينوي الحر، وعديم الوطنية المخلص، والغبي المتواضع.

سيأتي زمن يابى فيه ابناؤه الاتساب الينا مثلما يابى بعضنا الاتساب الى
حظافة السعادين.

بعض الناس يسمعون باذانهم والبعض يبطونهم والبعض بجيوبهم والبعض
لا يسمع ابدا.

ما اشبه ارواح بعض الناس بالاسفنج فانك لا تستقطر منها الا ما امتصته
منك.

ابعد الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب.

لو وجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا.

ولدت ثانية لما تزوج جسدي من نفسي.

قلت للحياة «لا فاسمعي الموت متكلمة فرفعت الحياة صوتها عن ذي قبل
وقالت انت تسمعه الان.

هنا تاريخ البشر — ولادة وزواج وموت ثم ولادة وزواج وموت ثم ولادة



وزواج وموت - ولكن في فجر كل عهد من سلسلة اجيال خالية الا من
الولادة الزواج والموت يظهر في الارض مجنون ذو فكرة غريبة ويقصص على
البشر حلما رآه في عالم غير هذا العالم وبين مخلوقات ارقى من سكان هذه
الارض الذين لا يرون في احلامهم سوى الولادة والزواج والموت.

انما الانتظار منابك الزمن.

ما اغربني عندما اشكو الما فيه لذتي.

عندما تبلغ قلب الحياة تجد انك لست ارفع من المجرمين ولا ادنى من
الانبياء..

اكثر ذوي العواطف الرقيقة يتسرعون بمس عواطفك خوفا من ان تسبقهم
ونمس عواطفهم.

عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة يلمس كلاهما اذبال ثوب الابدية.

ما اكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل وما اقل اللواتي يمتلكنه.

قولك انك لا تفهمني مديح لا استحقه انا ولها نة لا تستحقها انت.

لو لم تكن المجرة في داخلي لما عرفت بوجودها.

وقفت امامك مرآة صافية فنظرت بي ورأيت ذاك منعكسة بخطوطها
والوانها فتوهمت انك تحبني والحقيقة انك لم تحب سوى شبحك.

لو تدرك الاشواك سر الزهور

لمبائيل نبيه

يا ساقى الجلاس بالله لا تحفل بكاسي بين هذي الكؤوس
اترع لغيري الكاس، اما انا فاحسب كاني لست بين الجلوس
واعبر. ودعني فارغ الكاس

لا. لا تقل ما طابت الخمر لي او انني ما بينكم كالغريب،
بل ان لي يا صاحبي خمرة ما مثلها يطفي بروحي اللهب
اعصرها من قلبي القاسي

* * *

يا مرمل الالحن من عوده سحرا يهيج الصب حتى الجنون،
اما رايت الوجه مني انكمش والعين غابت تحت ستر الجفون
فلا تقل ذي حال ولهان

لا. لست بالولهان يا صاحبي، فالقلب مني جامد كالجليد.
لكنني مصغ لنفسي ففي نفسي اوتار وفيها نشيد
فاضرب. ودعني بين الحاني

• • •

يا ساكن القصر الجميل افتخر يا صاحبي واهنا بقصر جميل
ولتسلك الابرار من كوثر اللبانات ولتمنحك عمرا طويلا
تجني الهنا عاما ورا عام

لا . لا تقل ما راق لي قصرك اليماني او اني لم يطب لي هبواه
بل ان لي يا صاح قصر ابد نفسي بان تلجا لقصر سواه
ذا قصر افكاري واحلامي

• • •

يا جالسا بين اللحود التي مكانها اضحوا ترابا ودود،
اي، ان من تبكيه يا صاحبي لا شك خدن او صديق ودود
او، ان تشا، قل خير انسان

لكن غدا تنساه . اما انا ففي حياتي كل يوم دفين
اذ انتي اجتث ما قد بلي مني، وكم يبلى رجاء ثمين
في لحظة من عيشنا الفاني!

• • •

يا حاشد الاموال فلما الى فلس بكد الليل قبل النهار
ايامه صفر كاعوامه لا لون فيها غير لون النضار
عمياء تجري حيث لا تدري

لا والذي الاقدار خدامه ما في فؤادي غصة من غناك
اذ قد جاني الحظ بمض الغنى يا صاحبي من غير ما قد جباك
فاحشد ولا تشفق على فقري

* * *

يا حامل الانجيل يدعو الى نبذ المعاصي منذرا بالعقاب
بشر وخلص يا اخي انفسا ضلت لكي تلقى جميل الثواب
اذ ينصب الديان ميزانه

اما صمت الاذن عن دعوتك فاصفح ودعني في ضلالي مقيم
اذ لي فؤاد قد حوى جنة والله ادرى كم حوى من جحيم
فاكرز . ودع قلبي وادراجه .

• • •

يا زهرة ما بين شوك نمت لولا شذاها ضل عنها البصر
هل تدرك الاشواك يا زهرتي ان الشذا هذا شذاك انتشر
في الحقل لا عطر لها فاحا؟

هل تدرك الاشواك ما تدركين؟

هل عطر العليق اذ ياله من حيث تمتصين انت الاربج
ام حاك غير الشوك ثوبا له من حيث حكك انت ابي النسيج؟

قد تصبح الاشواك آقاحا

لو تعرف الاشواك ما تعرفين! . . .



القلوب الجائعة

لوليم كاتسليس

عند اشتداد الازمات البشرية، وحلول النكبات، وحدث المجاعات يشفق الانسان على اخيه الانسان فيبادر الى مساعدته بقدر الامتطاعة والامكان. وتكثر الاحاديث والكتابات عن المجاعة وهولها وعدد ضحاياها.

جميلة هذه العواطف الدالة على تقدمنا في المدنية وعلى اقترابنا رويدا رويدا من الغاية الكبرى التي هي الاخاء العمومي. واجمل منها المساعدة الفعلية التي ليس من ورائها غاية او مصلحة فان قلب الله يهتز طربا كلما هزت قلب الانسان عاطفة الرفق والاحسان.

هذا فيما يتعلق بمجاعة الاجسام ولكن كم هو عدد الذين يشفقون على جائعي القلوب اشفاقهم على جائعي البطون؟ وكم هو عدد الذين يدركون ان آلام الروح، وان تكن ابعد عن الحس من الام الجسد، لهي مؤلمة مثلها ومنغصة للعيش.

ليست هذه من الآلام ذات المظاهر الخارجية، بل كثيرا ما يكذب الوجه مخفيا ما في النفس وقد تكون الابتسامة غلافا ظاهرا لليأس والساآمة. وليس ما يؤلم مثل اليأس الخفي والحزن المكتوم.

هاكم مواكب جائعي القلوب يمرون في فضاء الحياة تحيط بهم اشباح احزان خفية واسرار مطوية. وهم انت وانا وهو وهي: هم جماهير الوضاع والكبراء — الفقراء والاغنياء — المجهولون والمشهورون — البسطاء والعلماء.

كلهم في الشعور سواء، حيث ينبض قلب لا نهاية لامانيه في هيكل محدود بمبانيه.

لنقف برهة ونستعرض بعضها، شاقين حجاب الاجسام، معزقين متاثر التكم والايهام. حتى فصل الى تلك القلوب الدامية فنقراها السلام ونذرف عليها دمة الشفقة والاشترار بالشعور.

١

من هي هذه الامراة المهيبة؟ انها لا تزال في وسط الطريق، في منتصف العمر. وهي جميلة — جميلة جدا وجميلة. زوجة فاضلة لرجل فاضل اجزلت لها الحياة الثراء والنعيم. فهي سعيدة ظاهرا. ولماذا لا تكون؟ السنا نراها وعلى محياها الانيس ابتسامة لا تفارقه؟ على ان في تلك الابتسامة شيئا غريبا لا تراه العين المجردة. هي مجلبة للدمع لان من يراها بعين الشعور الحساس يرى دمة تفرق فيها. فما هو هذا السر.

في اول عهد زواجها صارت اما. رزقت ولدا ما لبث ان مات في المهد. وشأت التقادير ان لا تكون لما بعد ذلك. فهي تتصور في كل يوم بل في كل ساعة ذلك الطفل وتسمع نداءه. وترى يديه الصغيرتين ممدودتين نحو ثديها فيقطر ثديها من الحنو. وتنوب احشاؤها من مرارة اللوعة وتحن شوقا للامومة التي ذقت طعمها قليلا ثم جاء الفطام. فالابتسامة التي رايناها على وجهها ما هي الا جواب ابتسامة الطفل تراها بعين الذكرى التي لا ترحم في كل ساعة من ساعات حياتها المعذبة.

مسكينة هي. لنذرف دمة على دموعها لان قلبها جائع.

٢

جلس على مقعد في الحديقة وقد اقترب الربيع من الصيف. اما هو ففي شتاء كما هو ظاهر من الثلج الناصع في راسه. جلس ينظر الى الاولاد يلعبون على العشب الاخضر مبتسما. ينظر اليهم ولكن نظره بالحقيقة بعيد عنهم اميالا وسنين.

عاد بالذكري الى ايام بعيدة — الى سنين خلت اذ كان بياض شعره سوادا واذا لم تكن الايام والهموم قد احنّت ظهره: هنالك في بيت صغير، مفروش بالاثاث الثمين امرأة في ربيع صباها، جميلة كيوم من ايام الصيف، والى جانبها غلام في العقد الثاني من سنه جميل كالفجر في ايام الصيف. زوجته وابنه. ما اسعد تلك الايام. هي ايام الفردوس قبل سقوط حواء. حواء! واسفاه. اجل حواء. وهناك حية اغرتها. جاءت الصاعقة في تلك السماء الصافية فتلبدت بالغيوم السوداء. واصبح ذلك الفردوس جحيما لا يطاق. فكان ما كان وحدث الطلاق على شروط منها ان يبقى الغلام في حوزتها على ان يراه متى شاء. ولكن بعد مرور اشهر قليلة اختفت الام واختفى الغلام معها كأن الارض قد ابتلعتهما. ولم يجد معه وتفتيشه. لم يجد المال الذي بذله جذافا. لم يجد تجواله في طول البلاد وعرضها. كل ذلك ذهب مدى اذ لم يقف لهما على اثر. وها هو اليوم اقترب من الجليد النهائي جالس على مقعد في الحديقة يراقب الصغار يلعبون في الحديقة، وحديقة نفسه قد يست اشجارها وذبلت ازهارها، وهو يرى خلال ما ابتته له الايام من الدمع رسم غلام ازرق العينين. اشقر الشعر جعديه يتوكأ على انكرسي في اول خطاه ويحاول لفظ كلمات تخرج

من فيه كالتغريد.

لنقف بخشوع امام هذا الحزن الجليل كاليكل القديم ولنقرأ السلام على نفسه فان قلبه جائع.

٣

ازفت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وقد ذهب رفيقها تلك الليلة — والاصح سيدها، مليكها، شاربها. جالت بنظرها حول غرفة العار فرات على الارض بقايا سجاير وعلى الطاولة بعض الدراهم — دراهم تركها هناك زائرها ثمنا لجسمها — ثمنا لما كان من قبل غاليا طاهرا فاصبح مع مرور الايام رخيصا مبتذلا. ثم نظرت في المرأة فاذا هي ترى امرأة كتب التهلك على وجهها الهرم باحرف نارية لم تقو الدهون على محوها.

الى متى تستطيع اخفاء صنيع الايام بمهارة التصنع. عما قريب ستصبح عجوزا فتحرم ما ضحت من اجله كل شيء. حتى غريزتها النسائية. تحرم مرتزقها الرجس. اه، كم ابغضت نفسها في تلك الساعة، اذ تذكرت الغلطة الاولى التي تبعتها مقطة ثم مقطعات حتى نضب منها ماء الحياء فاصبحت امة لكل من اراد وشاء.

حولت نظرها عن المرأة واغمضت جفניה فتخيلت لها مائدة انيقة في بيت نظيف ومن حولها رجل واولاد وهي. هي كزوجة وكأم. رات بعين المخيلة تلك الصورة — صورة ما كان ممكنا ان يكون. فتأثرت ثورة الامومة الكامنة في احشائها اذ شعرت انها خارج الحضيرة البشرية لانها تمردت على

النظام الطبيعي. وما إن الطبيعة تنتقم منها انتقاما مريما هائلا فسقطت الى الارض وبكت بدموع غزيرة غلت من وجهها دعون الدبارة.
لنشقق عليها فان قلبها جائع!

٤

لما ماتت امه كان صغيرا لا يدرك معنى الحياة والموت وكذلك لما تزوج ابوه ثانية. على انه شعر بانقباض في نفسه وتمرد على الدهر من غير ان يدرك ما يخبئه له الدهر. ان هذه المرأة الجديدة ليست امه. ولكنه يدعوها كذلك عملا بامر ابيه. على ان هذه الكلمة العذبة كانت تخرج من فمه وليس من قلبه. ولما ولد بكر المرأة الجديدة كان عمره هو ست سنين. ومنذ ذلك اليوم تنبه فيه الشعور انه اصبح غريبا في بيت ابيه. ان تلك القبلات الحارة التي كانت له من امه اصبحت لمغيره من غيرها. ان الاعتناء والمناخبة وطول الانساء والحكايات واللعب — كل هذه الامور التي تظهر طفيفة والتي منها حياة الولد بل هي حياته شعر بفقدانها فلم يعد ضحكا لعبا كما كان بل تسربت الكآبة الى نفسه الصغيرة والكآبة كما يقول فكتور هيكو «ثقيلة لم تخلق لاغصان ضعيفة كقلوب الصغار».

ومع هذا لم يشك قط ولم يبح امام احد بما كان في ضميره لان نفسه الصغيرة كانت كبيرة. ولكنه كان في كل ليلة يبلى ومادته بدموعه. اما صلاته — اذ كانت امه قد علمته ان يصلي — فقد ابدلها بحسب ما وصلت اليه مداركه من اسرار هذه الحياة فصار يصلي هكذا

«يا ماما اذا كتبت لا تستطيعين ان تعودى الي فدعيني اذهب اليك».
هكذا كان يصلي
لنحبس دموعنا ولنضه الى قلوبنا لان قلبه جائع

٥

ولد غريبا وعاش غريبا في عالم لا يفهمه. تالم كثيرا وفرح كثيرا، لان الالم والفرح على قدر الشعور. ولكن افكاره وعواطفه، فرحه وكدره، رضاء وغضبه امور لا تدركها الناس، فقالوا عنه انه مجنون. زهرة الحقل تحرك عاطفته اما الموت فلا يستطير دمة منه. يدمي قلبه مرأى عصفور صغير لا يستطيع الطيران حائرا في الحقل وقد ضاع عن امه، على ان مشهد قتيل من الناس قد لا يحرك فيه وترا. يرى ما لا تراه العامة وما لا تراه عبون الجسد ويسمع ما لا تسمعه اذناه، فيتناهى عن الملموس والمحسوس مستفسرا اسرار الكسوف بين الكواكب والشموس. يستصغر الكبير ويستكبر الوضيع. يحتقر الغني ويحجل الفقير. يرى ظلم الناس وجهلهم وكبريائهم ويخلمهم ويخافتهم وعبوديتهم فيتألم لما يشعرون. سكينة الليل تسكره وخرير المياه بطربه وغيوم الوادي عند الغسق تسحره. اذا تأثر لامر وتحركت اوتار قلبه ترى الدمع يترقق في عينيه وعندما يرى نقائص البشر ترى ابتسامة الاسهزاء على فمه الحساس. هو ابن الخيال ورفيق الليل وسير الوادي وعشيقه — هو الشاعر ابن السماء، غريب الدار في هذه الديار.
لنرحمه فان قلبه جائع!

٦

يتوهم الناس انه معيد. ماذا عساه ان يشتهي وهو ذو مال ومقام وشهرة.
صعد الجبل وحده، بلا رفيق ولا معين. تساق صخوره فأدنت يديه ورجليه.
غالب المضاعف فقلبا وحاجبه الشقاء بجيش من الهوم والمتاعب قُبِت امامه
ولم يترك سلاحه. كان في حالتي يومه ونعيمه يفكر بالغير ولا يفكر بنفسه
فهو كما قيل: شمعة تلوب لتتير، وقلب يتقطع ليحير كسر غير، ونفس
تحترق لتبرد دموع سواها. كبير بشعوره، كبير بتضحيته، كبير باحتماله
الثابت، كبير بادبه وعلمه. تراه ضحكا ملوبا كي لا يزجج الناس بمنظر
اوجاع نفسه.

ولكنه — يا لظلم الطبيعة — ربط حياته بحياة من هي تقيض كمالاته، لا
بل لفظ حياته المعنوية عندما لفظ تلك الكلمة التي هي بحسب تراتيب البشر
وشرائعهم بمثابة بيع وشراء بدومان ما دامت الحياة غلطة ثمنها السنون.
سكرة ماعة يعقها شقاء عمر. اقتران السر بالصفدة، والنور بالظلمة، والزهرة
اليانة بالعود اليابس — اقتران الخيال السماوي بالمادة، والمواطف السامية
بالحوادث البالية.

ولكن من اجل صفار لم يجنوا اثما حمل عليه وصعد وراء الناصري على
الجلجلة، جاثما حول المائدة، عطشان بجوار النبع، خائفا في وسط البلد مبتسما
في قلب الجحيم.

لنحن رومونا نجلة امام هذا المعذب فان قلبه جائع!

٧

لماذا يا اله الكون جعلت البنين يتحملون عب خطية الاباء؟ ام هي حكمة
منك اردت بها ان تقاص المجرم في اعز ما لديه؟
بريئة هي من كل اثم. ظاهرة عفيفة تقية كانت ولا تزال. هل الذنب ذنبها
اذا كان ابوها وامها خالفا نظام الزواج وخرقا شريعته؟ وهل هي مسؤولة
عما كتبته الصحف وعما نتج من التشهير بالعار؟

ها هي بين رفيقاتها كالسامرية بين اليهود او كالجرباء بين الصحيحات.
يتبعن عنها ويتجنبنها مع ان قلبها مثلى. حبا وحنانا الى رفيقة تناسس بها
وتشكو لها همومها. ما هذه الوحدة التي لا تحتل! فهي بين اترابها كأنها في
جزيرة بلا سكان. لا سفير لها الا الهم ولا رفيق الا الغم راسفة تحت ثقل عار
لم ترتكبه واثم لم تجترمه.

وهناك فتى وضع الله في عينيه ذلك النور الذي لا تراه ابنة بين جميع
البنات. وقد رآته هي. وعرفت ان فيه نعيما ومعادتها فلو كسائر البنات لا
تجر ورامعا اغلال السمعة وقيد العار لجاز لها الامل. اما الان فلا امل ولا
رجاء. رباه! ما اشد ظلم الانسان وقسوته! يدين البري بجريمة سواه ويحكم
عليه بقصاص اشد من قصاص المجرم. اعدل هنا يا رب العدالة؟

هي اذا ستر في فضاء الحياة وحيدة حزينة — لا وتر يجاوب لوتار قلبها ولا
ولا صدى لاغنية تقبها — كشح هائم بين القبور. وعندما تقارب شمسها
الغروب لا تجد بدا مرتجة في يدعا ولا تشر بحلاوة دمة سخية تسقط على



جيبينها.

هذه ضحية جهلنا فلنبحث مستصفحين لان قلبها جائع!

٨

دخل الى غرفة الكتب وجلس امام الموقد لانه كان يحب هذه الغرفة اكثر من مائر غرف البيت. ليس لاثاثها الثمين والصور الفنية المعلقة على جدرانها وليس من اجل الآثار التي فيها — آثار مجده ومجد ابيه الحرية — بل لان هنالك بقرب الموقد حضانة وميفا خشبيين وبندقية صغيرة وطبلا ونفيرا من نحاس — الاعبيهم لما كانوا صغارا.

وليس اوقع من منظر النار في ليالي الشتاء لاحياء الذكرى واستجلاء اشباح الماضي.

كانوا ثلاثة وكان ضحيهم بلاء البيت وكان هو يتظاهر بالغضب لحيانا ليسكنهم ولكن بالحقيقة كانت تلك الضجة اعذب واعلى موسيقى على قلبه. عندما كبروا وانهم دروسهم تشتتوا في ارجاء الارض. فمات الاصغر قبل الحرب بمرض ولم تلبث امه ملوبلا بعده حتى قتلها حزنها عليه. ثم جاءت الحرب وكان ثانيهم في اول حملة ذهبت الى ساحة القتال وبقي هنالك تحت تراب غريب. يومئذ قبره صليب هو لكل غريب مؤنس ونسيب. اما الثالث فمتزوج يسكن مع عائلته بعيدا. وما هو الان في شيخوخته لم يبق له من كل ذلك سوى الالعبات والتذكارات، واليوم يوم عيد، وسيجلس على المائدة وحده على المائدة عينا التي كانت ترقص طربا لصيدي اصواتهم وضحكهم.

دخل عليه خادمه وقال له: «لقد حضر العشاء يا سيدي». فنهض واقفا ودخل غرفة المائدة يتبعه الخادم الامين القديم الذي كان قد زين الطاولة بالازهار بمناسبة العيد ارضا. لسيدته فنظر هذا الى الطاولة ثم الى خادمه وقال له: — «ارسلك ان تجلس لتناول العشاء معي الليلة». فدعش الخادم، وكان يجمل سيده ويعتبره كنصف اله، وقال: «عفوا يا مولاي!» فقاطعه سيده قائلا: «لا بأس. اجلس معي يا ولدي فانت كل ما بقي لي من الماضي».

لنضع قبة على جيبينه المتجمد فان قلبه جائع!

* * *

ها قد رقت السائر عن بعض الام النفس ولوجاعها مستعرضين الحزن كما يستعرض القائد الجيوش وقد حان ان تنزلها فتعود الالوجاع الخفية الى هياكلها المقيمة فتبقى هنالك الى ان تنتهي ما ساء هذه الحياة وبدأ مثلوها. بتمثيل ادوار جديدة في عالم جديد.

اغنية الليل

لميران خليل جبران

سكن الليل، وفي ثوب الكون تخنبي الاحلام
وسمى البدر، واللبدر عيون نرصد الايام
فتعالي، يا ابنة الحقل، زور كرمه العشاق
علنا نطفي بذبائك العصير حرفة الاشواق
اسمعي الببل ما بين الحقلوك بكب الالهام
في فضاء فتحت فيه التلول نمة الربيعان
لا تخافي، يا فتاتي، فالنجوم نكتم الاخبار
وضباب الليل في تلك الكروم بهجب الاسرار
لا تخافي، فمروس الجن في كهفها المسحور
هجت سكري وكادت تخنبي عن عيون الحور
ومليك الجن ان مرّ بروح والهوى بثبه
فهو مثلي عاشق كيف يوح بالذي بضنيه

في بيت الميت

لعبد المسيح حداد

عندما مات طانيوس المر ظل بيت الفقيد مقصد المعزين اسبوعا كاملا
ليل نهار وقد خيف ان يكون بلاه اهل الفقيد من كثرة المعزين اكثر من
قدحهم المرحوم ولكن هي العادة السورة في هذه الاحوال تاخذ ماخذها وهو
التقليد يجري مجراه ولو تقطعت القلوب وتفتت الاكباد وتحطم انا الصبر
اهل الميت يسمعون تعازي من اقواه المعزين كانوا امثولات تعلمها قائلوها
من جملة الصلوات التي تقال كل يوم واني انا كاتب هذه الحكاية اشعر بكل
ما في من العواطف مع الفاقدين ليس على من يفقد بل على جلادتهم في
استماع فلسفة التعازي.

الا انه من نعم المولى ان الاصطلاح في التعزية ان يكون وقتها قصيرا جديدا
فالمرمي يقي قبعة بيده واذا كان في الشتاء يظل لابساً مترته العليا وما
الداعي الى هذا الاختصار ميل من القوم الى التخفيف عن اهل الميت بل
كثرة القادمين حتى يضيق عنهم المكان واذا ذاك يخرج فوج ليعطي مكانا
لفوج القادم جديدا.

اما اهل الميت فجلوس بلا حراك واذان بلا سنة وعيون تنظر احضانها
وشفاء تتمم كلمتين لكل قادم وكل مودع وهما «ورامك مالم» جوابا على



التحية في التعزية لدى الدخول والخروج وهي «عوضنا الله بسلامة رؤوسكم»
والمرحوم طانيوس المراكبي اعترفه معرفة خارجية فلم يزره في بيته
بعيانه ولكن صديقي بطرس كرواني جذبني جذبا لناخذ خاطر اهل الفقيد
قائلا لي ان التعزية واجبة على كل عارف ولا فرق نسبيا كان ام صديقا ام
من المعارف.

وهكذا كان، ذهبنا وكان حضرة صديقي ابرع مني في الكلام فقد دخلت
الى بيت الميت وانا كالبنيين في عالم التقاليد فقد هممت بالقاء التحية التي
اقولها في كل الاوقات الا ان صديقي بطرس رفع كفه ووضعته على فمي
فجعلني ابلغ «نهاركم سعيد» ثم همس باذني ان اقول «الله يعوضنا
بسلامتكم» فقلت وجلست كاني من اهل الميت على ما وصفت وازيدهم
بعدم التهمة لان المسألة لا تعني وبمنظر الاشباح من كل جهة لان حضني
كان مملوا بشترتي المطوية وفوقها قبعتي وقد احمر وجهي خجلا لاني كنت
الوحيد التازع عنه شترته.

بعد سكوت خمس دقائق فتح بطرس فاه بالكلام فقال

«قبل ان مات اسكندر الكبير عرف ان اخرته اقربت وان امه ستحزن عليه
حزنا عيقا فدهاها اليه قبل موته وقال لها وميتي اليك يا امساء ان تأذي
مادية بعد موتي وتدعي اليها كل الناس وعندما يجلسون الى المائدة قولي
لهم ان من لم ينفق حزنا على حبيب له فليعد يده وياكل. وهكذا كان فيعد
وفاته اديت مادية ودعت اليها جميع الناس ولما جلسوا الى المائدة قالت
لهم ما اوصاها ابنها اسكندر ان نقوله فلم يمد يده للطعام. ففرغت اذ ذلك
ان كاس الموت دائرة على الجميع ولهذا تعزت في مصابها الجلل».

سمعت هذه الموعظة فكبر قائلا بعيني وقلت في نفسي يا ضيعان ما تعلمته
في المدارس والله ان بطرس فاقني بأسلوبه المعزي وقال احسن موعظة تقال
في محله. وكانني نسيت نفسي اني موجود في هيكل الصمت فقلت لرفيقي
«احسنت والله بهذه التعزية انها لحكمة منزلة»

اما الحاضرون ولم يكونوا كثيرا لان زيارتنا لاهل الميت كانت بعد
اسبوع وقد بدلت حركة التعزية ثقل فقد سمعوا الموعظة الجميلة كماهم لم
يسمعوا شيئا البتة وقد عجبت لامرهم فقلت في نفسي لعلمهم طمعانيون لم
يفهموا معنى الذي قيل امامهم.

ولم يكذبني بطرس كلمانه الدرية حتى وافى البيت فسوج مؤلف من
ثلاثة رجال ولان المكان واسع والزوار قليلون بقينا في اما كنا بل بقي
بطرس جالسا واضطرت ان لا اتحرك لانه هو الزفيرك لهذه الزيارة.

ولما جلس القادمون جديدا فتح احدهم فاه بالكلام وفيما هو بهم ليحكلم
حزنت على نفسي وقلت يا لله ما اجيئي فاني لا افهم شيئا من العادات
والتقاليد ولم امرن نفسي على الكلام اللازم في كل حين - اما المتكلم
فيما يقوله

هنا حال الدنيا. الموت محتم على كل الناس لا مهرب منه. كان اسكندر
الكبير قد فتح الدنيا بأسرها وهو في الثلاثين من عمره.....

وفيما هو يخبرنا عن الاسكندر قلت في نفسي موعظة ثانية تاتينا وقد
حتمت على ان اقصد المكتبة العمومية بعد هذه الزيارة لاطالع حياة ذلك
الرجل العظيم الذي كل تاريخه مواضع لازمة للبشر في حالات المصائب
وقد تحولت الى اصفا. تام لاسمع المتكلم فلا تفوتني الموعظة الثانية ولكن

شدها كان فشلي عندما سمعت منه نفس الموعظة التي اخبرها بطرس ولهذا
استأثرت في داخلي ابدا استيا..

عندئذ هم رفيقي بالتبويض لانه رأى فوجا اخر مولفا من قادمين اقتربا
من الباب فكبت على ركبته وهمت في اذنه اني اريد ان ابقى حتى نخرج
كلنا معا فسأبرني بطرس مضطرا ودخل القادمان قليلا افشين التعزية وجلسا.
وما هي الا لحظة حتى فتح كبيرهما فاه بالكلام فسمعت يقول

«ما هان علينا موت المرحوم ولكن امر الله لا مرد له هكنا قدر وكيان
فسيحان الدائم. يحكى ان اسكندر ذا القرنين شر بدنوا اجله...»

هنا تنحنت قليلا فلاحت مني لفنة الى صديقي بطرس فرايته يخط وجهه
ابتهامة ولكن في الحال ادرت وجهي عنه الى ناحية المتكلم لاسمع حكاية
اسكندر ذا القرنين وبعد سماعي جملتين من حديثه بدا وجهي يخط ابتهامة
عريضة وللحال خوفا من ان تنتهي الابتهامة بضحكة ونحن في هيكल الحزن
والخشوع نهضت ونهض معي رفيقي فقلت

«بالاذن بلا قطع حديث حضرة المتكلم ونهاركم سعيد جميعا» وخرجت
وتبعني بطرس ولما صرنا خارج البيت امسكني صديقي متوقفا وقال والسم
يقطر من وجهه:

«ما قطعك وقنع عليك اذا كنت لا تفهم ان في بيوت اهل الموتى لا
يقولون عبارة «نهاركم سعيد» وقد اقيمتك عندما دخلنا ان لا تلفظها قبلنا
فلماذا نيت هذا الامر عندما خرجت»؟

قلت له دعني من عتبك يا بطرس واخبرني اين قرأت القصة التي قلتها
في بيت البيت فقال انه سمع جده يرويها في ما تم شيخ القرية. فقلت وابن

فراها جندك فقال لا بد انه سمعها من جده. فقلت له اذا في مرة ثانية اضبط
التاريخ وقل هكنا: «حدثني جدي عن جده عن جده حتى تصل الى معاصر
لامسكندر الكبير».

فضحك بطرس وصفح عني وقال وهو يضافحني لياخذ سيلا غير سيلى
«اضحك بسرك فاننا لم تكمل الساعة في بيت المرحوم والا لكنا سمعنا
حكاية اسكندر الكبير لا اقل من عشرين مرة».

فاجبته ولعلني قلت الصواب. «لو كنت موضع اهل البيت لقلت للناس
المرحوم استراح من هذه الدنيا ومن مواعظكم».

وودعت بطرس وسرت في طريقي فالتقيت بجماعة عرفت منهم واحدا
ولما راني دنا مني مسلما واخبرني انه ذاهب لياخذ بخاطر آل العر فاخبرته
اني آت من تعزيتهم الله يساعدهم. فاعاد «الله يساعدهم» وزاد «وعينهم»
وقد اخبرته كيف اني دخلت بيت البيت ولم اقل عبارة تعزية اعزى بها
المساكين لاني لا افهم الاصطلاحات فضحك مني وقال «اعني مسألة فلسفة».

احك قصة فيها مغزى وعز بها الجماعة. فقلت وما عساك ان تعكبي انت؟
فبدا يخبرني قصة اسكندر ذي القرنين ولكنني قاطعته قائلا اني اعرفها
واشرت له ان يلحق باصحابه ليعزوا الجماعة وليساعدتهم الله - ويعينهم -
وبرحهم.



الربيع

لرصيد ايوب

مرحبا ذبنا اشتياقا يا ربيع يا خفيف الروح اهلا مرحبا
كلما ضاء محياك البديع هبت الارض تباهي الكوكبا
ومشى في سفع اضلاعي صريع مات لولا ذكر ايام الصبا
عجبا تمضي زمانا وتعود وريعي قد مضى لم يرجع
من ترى انباك اسرار الخلود فتوقيت الردى لم تصرع

ام هي الارض التي تبني البقا عرفت كيف البقا بالانصاف
قابت عن حكمة ان تنفقا ما لديها حنا حتى المعاد
واكتت ثوب بهاء مورقا ماله ما دامت الدنيا تقاد
يا له ثوبا موشى بالورود كل عام يرتدى لم يتزع
حبنا لو كان لي منه برود كنت ارويها اذن من ادعي

ما احلى وجهك الصافي الجميل رصنه بالندى ايدي الدهور
رب نفس سجت دهرًا طويل مثلما يسجن مصداح الطيور
اصبحت مطلوقة بعد الكبول تغتني ربح الموامي والصخور
فهي لم تخلق لترسي بالقيود لا ولا قد صنعت للبرقع
عجبا في هذه الدنيا النقود حجت احلى النجوم اللمع

لرصيد ايوب

يا ربيع الارض يا نعم الدوا لنفوس ما لها الا الهوم
حيثما تنشر منها ما انطوى وتذريه اذا مر النسيم
وبح اهل العشق ارباب الهوى خلقوا في الكون كي يدعوا النجوم
قسمت ارزاقهم قبل المهود وقفوا في كل دار بلقح
حفظوا للناس في الدنيا العهود انما حفظهم لم ينفع

عطري يا زهر اذبال الرياح ان سرت فوق الرياض القشب
لودعيها كلما لاح الصباح ارجا يغني به عن كبي
غربة امت حياتي وانتزاح ومناجاة ورعي الشهب
فاذا ما لاح للمصبح عمود بعدليل كغراب ابقع
قلت في نفسي وللنوم حدود اوحى غربة في مضجعي

انا لولا ذكر ايام الصبا قلت يا نفسي اذا شئت اذهبي
غير اني كلما هبت صبا انعشت قلبي بذكر طيب
لا ابالي ان حلتك المغربيا طالما شمس المعنى لم تغرب
فحياة المرء في هذا الوجود رغبة النفس وعت لو لم تعي
وبكائي للاولى طلي اللحد كعزائي بالاولى باتوا معي

مستقبل اللغة العربية

لمبران خليل جبران

ما هو مستقبل اللغة العربية؟

انما اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الامة، او ذاتها العامة، فاذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهر وفي التقهر الموت والاندثار.

اذا فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع للكائن — او غير الكائن — في مجموع الامم التي تتكلم اللغة العربية. فان كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتها السريانية والعبرانية.

ما هي هذه القوة التي ندعوها بقوة الابتكار؟

هي في الامة عزم دافع الى الامام. هي في قلبها جوع وعطش وشوق الى غير المعروف، وهي في روحها سلسلة احلام تسعى الى تحقيقها ليلا ونهارا ولكنها لا تحقق حلقة من احد طرفيها الا اضافت الحياة حلقة جديدة في الطرف الاخر. هي في الافراد النبوغ وفي الجماعة الحماسة، وما النبوغ في الافراد سوى المقدرة على وضع ميول الجماعة الخفية في اشكال ظاهرة محسوسة. ففي الجاهلية كان الشاعر يتأهب لان العرب كانوا في حالة التأهب، وكان ينمو ويمتد ايام المخضرمين لان العرب كانوا في حالة النمو والتمدد، وكان يتشعب ايام المولدين لان الامة الاسلامية كانت في حالة التشعب.

وظل الشاعر يتدرج ويتصاعد ويتلون فيظهر آنا كفيلسوف، واونة كطبيب، واخرى كفلكي حتى راود النعاس قوة الابتكار في الامم العربية فنامت وبنومها تحول الشعراء الى ناظمين، والفلاسفة الى كلاميين، والاطباء الى دجالين، والفلكيون الى منجمين.

اذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الامم التي تتكلمها، فان كان لتلك الامم ذات خاصة (او وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيما كماضيها — والا فلا.

* * * * *

وما عسى ان يكون تأثير التمدين الاوروبي والروح الغربية فيها؟ انما «التأثير» شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتضمغه وتبتلعه وتحول الصالح منه الى كيائها الحي كما تحول الشجرة النور والهواء وعناصر التراب الى اقلان فاوراق فازهار فثمار. ولكن اذا كانت اللغة بدون اضراس تقضم ومعدة تهضم فالطعام يذهب سدى بل ينقلب مما قاتلا: وكم من شجرة تحال على الحياة وهي في الظل فاذا ما نقلت الى نور الشمس ذبلت وماتت. وقد جاء «من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه».

واما الروح الغربية فهي دور من ادوار الانسان وفصل من فصول حياته. وحياة الانبياء موكب هائل يسير دائما الى الامام، ومن ذلك القبار الذهبي المتصاعد من جوانب طريقه تتكون اللغات والحكومات والمذاهب: فالامم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبكرة، والمبتكر مؤثر، والامم التي تمشي في موخرفته هي المقلدة، والمقلد متأثر، فلما كان الشرقيون سابقين

والغريون لاحقين كان لمدينتنا التأثير العظيم على لغاتهم، وها قد أصبحوا هم السابقين وامسينا نحن اللاحقين فصارت مدينتهم بحكم الطبع ذات تأثير عظيم على لغتنا وافكارنا واخلاقنا.

يبد أن الغريين كانوا في الماضي يتناولون مما نطبخه فيمضغونه وبيتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغري، اما الشرفيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغريون وبيتلعونه ولكنه لا يتحول الى كيانهم الشرقي بل يحولهم الى شبه غريين، وهي حالة اخشاها واتبرم منها لانها تبين لي الشرق تارة كمعجوز فقد اضرامه وطورا كطفل بدون اضراس.

ان روح الغرب صديق وعدو لنا. صديق اذا تمكنا منه وعدو اذا تمكنا منا، صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو اذا وهبنا قلوبنا، صديق اذا اخذنا منه ما يوافقنا وعدو اذا وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه.

* * * * *

وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية؟ قد اجمع الكتاب والمفكرون في الغرب والشرق على ان الاقطار العربية في حالة التشويش السياسي والاداري والنفسى. ولقد اتفق اكثرهم على ان التشويش مجلبة الخراب والاضمحلال.

اما انا فاسال - هل هو تشويش ام ملل؟

الملل هو الاحتضار في صورة النعاس والموت في شكل النوم. وان كان بالحقيقة تشويشا فالتشويش في شرعي ينفع دائما لانه يبين ما كان خافيا في روح الامة ويبدل نشوتها بالصحو وغيوبتها باليقظة وهو نظير عاصفة تهز بعزمها الاشجار لا لتقتلعها بل لتكسر اغصانها اليابسة وتبعثر اوراقها الصفراء.

واذا ما ظهر التشويش في امة لم تزل على شيء من الفطرة فهو اوضح دليل على وجود قوة الابتكار في افرادها والاستعداد في مجموعها. اما السديم اول كلمة من كتاب الحياة وليس باخر كلمة منها، وما السديم سوى حياة مشوشة. اذا فتاثير التطور السياسي سيحول ما في الاقطار العربية من التشويش الى نظام، وما في داخلها من الغموض والاشكال الى ترتيب والفة، ولكنه لا ولن يبدل مللها بالوجد وضجرها بالحمامة: ان الخراف يستطيع ان يصنع من الطين جرة للخمر او للخل ولكنه لا يقدر ان يصنع شيئا من الرمل والحصى.

* * * * *

هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وتعلم بها جميع العلوم؟ لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من ايدي الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى ايدي الحكومات المحلية.

ففي سوريا مثلا كان التعليم يا تينا من الغرب بشكل الصدقة، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لاننا جياع متضورون، ولقد احيانا ذلك الخبز، ولما احيانا اماتنا. احيانا لانه ايقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا، واماتنا لانه فرق كلمتنا واضعف وحدتنا وقطع روابطنا وابعد ما بين طوائفنا حتى اصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الاذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد في جبل احدى الامم الغربية وترفع لواها وتترنم بمحاسنها وامجادها. فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة اميركية قد تحول بالطبع الى معتمد اميركي، والشاب الذي تجرع رشقة من العلم في مدرسة

يسوعية صار سفيرا افرانيا، والشاب الذي لبس قميصا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا... الى اخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء... واعظم دليل على ما تقدم اختلاف الاراء وتباين المنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي. فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الانكليزية يريدون اميركا او انكلترا وصية على بلادهم، والذين درسوها باللغة الافرنسية يطلبون فرنسا ان تتولى امرهم، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة او بتلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة ادنى الى معارفهم واقرب الى مداركهم.

وقد يكون ميلنا السياسي الى الامة التي نتعلم على نفقتها دليلا على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجران جنة واحدة وتهدم جدارا من الجهة الاخرى؟ ما هذه العاطفة التي تستتب زهرة وتقتلع غابة؟ ما هذه العاطفة التي تحيينا يوما وتميتنا دهرًا؟ ان المحسنين الحقيقيين واصحاب الاريحية في الغرب لم يضعوا الشوك والحك في الخبز الذي بعثوا به الينا، فهم بالطبع قد حاولوا فنعنا لا الضرر بنا. ولكن كيف تولد ذلك الشوك ومن اين اتى ذلك الحك؟ هذا بحث اخر اتركه الى فرصة اخرى.

نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية وتنبور منازعنا القومية لان في المدرسة تتوحد الميول وفي المدرسة تتجهر المنازع، ولكن لا يتم هذا حتى يصير بإمكاننا تعليم الناشئة على نفقة الامة. لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ابنا لوطن واحد بدلا من وطنين متناقضين احدهما لجسده والاخر

لروحه. لا يتم هذا حتى نستبدل خبز الصدقة بخبز معجون في بيتنا، لان المتسول المحتاج لا يستطيع ان يشترط على المتصدق الاجنبي. ومن يضع نفسه في منزلة الموهوب لا يستطيع معارضة الواهب فالموهوب مسير دائما والواهب مخير ابدا.

* * * * *

وهل تغلب «اللغة العربية الفصحى» على اللهجات العامية المختلفة وتوحيدها؟ ان اللهجات العامية تتحور وتتهذب وبذلك الخشن فيها فيلين ولكنها لا ولن تغلب - ويجب الا تغلب - لانها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ومنبت ما نعده بليغا من البيان.

ان اللغات تتبع مثل كل شيء اخر سنة بقاء الانسب، وفي اللهجات العامية الشيء الكثير من الانسب الذي سيبقى لانه اقرب الى فكرة الامة وادنى الى مرامي ذاتها العامة: قلت انه سيبقى واعني بذلك انه سيلتحم بجسم اللغة ويصير جزءا من مجموعها.

لكل لغة من لغات الغرب لهجات عامية، ولتلك اللهجات مظاهر ادبية فنية لا تخلو من الجميل المرغوب والجديد المبتكر، بل في اوروبا واميركا طائفة من الشعراء البوهويين الذين تمكنوا من التوفيق بين العامي والفصيح في قصائدهم وموشحاتهم فجاءت بليغة وموثرّة: وعندي ان في الموالي والزجل و«العتابا» و«المعنى» من الكنايات المستجدة والامتعارات المستلحة والتعابير الرشيقة المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة، والتي تملأ جرائدنا ومجلاتنا، لبانت كباقة من الرياحين بقرب راية من الحطب، او كسرب من الصبايا الرقصات المترنات قبالة مجموعة من البعث المحنطة.

لقد كانت اللغة الإيطالية لهجة عامية في القرون المتوسطة، وكان الخاصة يدعونها بلغة «الهيج»، ولكن لما نظم بها دانتى وبترارك وكامونس وفرنسيس داسيزي قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة إيطاليا الفصحى وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكلًا يسير ولكن في نعش على اكتاف الرجعيين... وليست اللهجات العامية في مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعري والمنتبي من لهجة «الهيج» الإيطالية عن لغة أوفيد وفرجيل فإذا ما ظهر من الشرق الأدنى عظيم ووضع كتابا عظيما في إحدى تلك اللهجات تحولت هذه إلى لغة فصحى. بيد أني استبعد حدوث ذلك في الاقطار البرية لأن الشرقيين اشد ميلا إلى الماضي منهم إلى الحاضر أو المستقبل، فهم المحافظون على معرفة منهم أو على غير معرفة، فإن قام كبير منهم لزوم في اظهار مواهبه السبل البليانية التي مار عليها الأقدمون، وما مبل الأقدمين سوى اقصر الطرقات بين مهد الفكر ولحيه.

* * * * *

وما خير الوسائل لأحياء اللغة العربية؟

إن خير الوسائل، بل الوسيلة الوحيدة لأحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس إلى عالم البحث، وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين.

الشاعر أبو اللغة وأما، تسير حيثما يسير وتربض أينما يربض، وإذا ما قضى جلست على قبره بأكية منتحبة حتى يمر بها شاعر آخر وباخذ يديها. وإذا كان الشاعر أبا اللغة وأما فالمقلد ناسج كفنها حفار قبرها.

أعني بالشاعر كل مخترع كبير كان أو صغيرا، وكل مكتشف قويا كان أو ضعيفا، وكل مخترع عظيم كان أو حقيرا، وكل محب للحياة للمجردة أاما كان أو صعلوكا، وكل من يقف متبها أمام الأيام والليالي فيلسوفيا كان أو ناطورا للكروم.

أما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئا ولا يخلق أمرا بل يستمد حياته النفسية من معاصريه ويصنع أثوابه المعنوية من رقع يجزها من أثواب من تقدمه.

أعني بالشاعر ذلك الزارع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلا عن المحراث الذي ورثه عن أبيه فيجيء بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد، وذلك البستاني الذي يستتب بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة ثالثة برتقالية اللون فيأتي بعده من يدعو الزهرة الجديدة باسم جديد، وذلك الحائك الذي ينسج على نوله نسيجا ذا رسوم وخطوط تختلف عن الأقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون فيقوم بعده من يدعو نسيجه هذا باسم جديد. أعني بالشاعر الملاح الذي يرفع السفينة ذات شراعين شراعا ثالثا، والبناء الذي يبني بيتا ذا بايين ونافذتين بين بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة. والصباغ الذي يمزج الألوان التي لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لونا جديدا، فيأتي بعد الملاح والبناء والصباغ من يدعو ثمار أعمالهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعا إلى سفينة اللغة ونافذة إلى بيت اللغة ولونا إلى ثوب اللغة.

أما المقلد فهو ذلك الذي يسير من مكان إلى مكان على الطريق التي سار عليها ألف قافلة وقافلة ولا يحيد عنها مخافة أن يتيه ويضيع، ذلك الذي يتبع بمعيشته وكسب رزقه وما كله ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التي مشى عليها ألف جيل وجيل فنظل حياته كرجع الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل

لحقيقة قصة لا يعرف عنها شيئا ولا يريد ان يعرف.

اعني بالشاعر ذلك المتعب الذي يدخل هيكل نفسه فيجثو با كيا فرحا نادبا مهلا مصغيا مناجيا ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه اسماء وافعال وحروف واشتاقات جديدة لاشكال عبادته التي تتجدد في كل يوم، وانواع انجذابه التي تتغير في كل ليلة، فيضيف بعمله هذا وترا فضا الى قيامة اللغة وعودا طيبا الى موقدها.

اما المقلد فهو الذي يردد صلاة المصلين وابتهاال المبتهلين بدون ارادة ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان الشخصي حيث لا يبان ولا شخصية.

اعني بالشاعر ذاك الذي ان احب امرأة افردت روحه وتنحت عن سبل البشر لتلبس احلامها اجسادا من بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسكينة الاودية ثم عادت لتضفر من اختباراتنا اكليل لراس اللغة وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة.

اما المقلد فيقلد حتى في حبه وغزله وتشبيهه فان ذكر وجه حبيبه وعنفها قال «بدر وغزال» وان خطر على باله شعرها وقدها ولحظها قال «ليل وغصن وبان وسهام» وان شكى قال «جنن ماعر وفجر بعيد وعزول قريب» وان شاء ان ياتي بمعجزة بيانية قال «حييتي تستطر لولوء الدمع من نرجس العيون لتسقي ورد الخلود وتعض على عتاب انا ملها يبرد اسنانها» يترنم صاحبنا البيغاء بهذه الاغنية العتيقة وهو لا يدري انه يسم ببلادته دسم اللغة ويمتن بسخافته وابتذاله شرفها ونبالتها.

لقد تكلمت عن المستنبط ونفعه والعقيم وضرره ولم اذكر اولئك الذين يصرفون حياتهم بوضع القواميس وتاليف المطولات وتشكيل المجامع اللغوية

— لم اقل كلمة عن هؤلاء لا اعتقادي بانهم كالشامطي بين مد اللغة وجزرها وان وظيفتهم لا تتعدى حد الغربة — والغربة وظيفة حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلون اذا كانت قوه الابتكار في الامة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم ولا تجمع على يادها سوى الشوك والقطرب؟
اقول ثانية ان حياة اللغة وتوحيدها ونعيمها وكل ما له علاقة بها قد كلن وميكون رهن خيال الشاعر فهل عندنا شعراء؟

نعم عندنا شعراء، وكل شرقي يستطيع ان يكون شاعرا في حقله وفي بستانه وامام نوله وفي معبده وفوق منبره وبجانب مكتبه. كل شرقي يستطيع ان يعتق نفسه من سجن التقليد والتقاليد ويخرج الى نور الشمس فيسير في موكب الحياة. كل شرقي يستطيع ان يستلم الى قوة الابتكار المختبئة في روحه — تلك القوة الازلية الابدية التي تقيم من الحجارة ابنا له.

اما اولئك المنصرفون الى نظم مواهبهم ونثرها فلم اقول: ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانعا عن اقتفاء اثر المتقدمين فخير لكم وللغة العربية ان تبوا كوخا حقيرا من ذاتكم الوضيعة من ان تقيموا صرحا شاهقا من ذاتكم المقتبسة. ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجرا عن نظم قصائد المديح والثناء والتهنئة فخير لكم وللغة العربية ان تموتوا مهملين محقرين من ان تحرقوا قلوبكم بخورا امام الانصاب والاصنام. ليكن لكم من حماسكم القومية دافعا الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الالم وعجائب الفرح فخير لكم وللغة العربية ان تتناولوا ابسط ما يتمثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من ان تعربوا اجل واجمل ما كتبته الغريون.



سيان . . .

لنسيب عريضة

سيان ان تصني	للنصح او تغضي
يا نفس ، فالاتي	مثل الذي بعضي
العيش اذ يشفي	كالعيش اذ يضي
ان الذي يحيي	بعض الذي يفني
الطهر لا يدني	والعهر لا يقضي
فالكاس ان تطفح	كالكاس في النقص
الجوهر السامي	يبقى بلا رجس
كم مومس تعضي	هذرا للرمس
فافل كما تهوى	يا قلب لا تحذر
ان كنت من تبر	ما ضرك المصهر

العبودية

لحبران خليل جبران

انما الناس عبيد الحياة، وهي العبودية التي تجعل ايامهم مكتنفة بالذل والهون ولياليهم مغمورة بالنماء والدموع.

ها قد مرت سبعة الاف سنة على ولادتي الاولى وحتى الان لم ار غير العبيد المستسلمين والسجناء المنكبلين.

لقد جيت مشارق الارض ومغاربها، وطفيت في ظل الحياة ونورها، وشاهدت مواكب الامم والشعوب سائرة من الكهوف الى الضروح، ولكنني لم ار للان غير رقاب منحنية تحت الاثقال، وسواعد موثوقة بالسلاسل، وركب جائية امام الاصنام.

قد اتبعت الانسان من بابل الى باريس ومن نينوى الى نيويورك ورايت اثار قيوده مطبوعة على الرمال بجانب اثار اقدامه، وسعت الاودية والغابات تردد صدى نواح الاجيال والقرون.

دخلت القصور والمعاهد والهاكل، ووقفت حذاء العروش والمذابح والمنابر، فرايت العامل عبدا للتاجر، والتاجر عبدا للجندي، والجندي عبدا للحاكم، والحاكم عبدا للملك، والملك عبدا للكاهن، والكاهن عبدا للصنم، والصنم تراب جبلته الشياطين وتضيقه فوق راية من جماجم الاموات.

دخلت منازل الاغنياء الاقوياء واكواخ الفقراء الضعفاء، ووقفت في المخادع المنشأة بقطع العاج وصفائح الذهب، وفي المآوي المفعمة باشباح الياوس وانفاس المنايا، فرايت الاطفال يرضعون العبودية مع اللبن، والصبيان يتلقنون

الخضوع مع حروف الهجاء.. والصبايا يرتدين الملابس مبطنه بالانقياد والخضوع، والنساء يهجن على اسرة الطاعة والامثال.

اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطئ الفرات الى مصب النيل الى جبل مينا الى ساحات اثينا الى كنائس رومية الى ازقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرايت العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس ينحرون للفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها الهاء، ثم يسكبون الخمر والطيب على قدميها ويدعونها ملكا، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبيا، ثم يخرون ساجدين لديها ويدعونها شريعة، ثم يتحاربون ويتقاتلون من اجلها ويدعونها وطنية. ثم يستلمون الى مشيتها ويدعونها ظل الله على الارض، ثم يحرقون منازلهم ويهدمون مبانيهم بارادتها ويدعونها اخاء ومساواة، ثم يجذبون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالا وتجارة... فهي ذات اسماء عديدة وحقيقة واحدة ومظاهر كثيرة لجوهر واحد. بل هي علة ازلية ابدية تجي باعراض متباينة وقروح مختلفة بتوارثها الابناء عن الاباء مثلما يتوارثون نسمة الحياة وتلقي بذورها العصور في تربة العصور مثلما تستغل الفصول ما تزرعه الفصول.

* * *

واغرب ما لقيت من انواع العبوديات واشكالها العبودية العمياء - وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آباؤهم وتنيخ نفوسهم امام تقاليد جدودهم وتجعلهم اجسادا جديدة لارواح عتيقة وقبورا مكلسة لعظام بالية.

والعبودية الخرماء - وهي التي تعلق ايام الرجل باذيال الزوجة التي يمتقتها. وتلصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتجعلها من الحياة بمنزلة

النعل من القدم..

والعبودية الصماء - وهي التي تكره الافراد على اتباع مشارب محيطهم والتلون بالوانه والارتداء بازياته فيصبحون من الاصوات كرجع للصدى ومن الاجسام كالخيالات.

والعبودية العرجاء - وهي التي تضع رقاب الاشياء تحت سيطرة المحتالين وتسلم عزم الاقوياء الى اهواء الطامعين بالمجد والاشتهار فيمسون مثل آلات تحركها الاصابع ثم توقفها ثم تكسرها.

والعبودية الشمطاء - وهي التي تهبط بارواح الاطفال من الفضاء المتسع الى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الغباوة ويقطن الذل في جوار القنوط فيشبون تعماء ويعيشون مجرمين ويموتون مردولين.

والعبودية الرقطاء - وهي التي تتباع الاشياء بنير اثمائها وتسمي الامور بغير اسمائها فتدعو الاحتيال ذكاء والثروة معرفة والضعف لينا والجبانة ابا.. والعبودية العوجاء - وهي التي تحرك بالخوف السنة الضعفاء فيتكلمون بما لا يشعرون ويتظاهرون بما لا يضررون ويصبحون بين ايدي المسكنة مثل ثوب تطويه وتنشره.

والعبودية الحدياء - وهي التي تقود قوما بشرائع قوم اخرين.

والعبودية الجرياء - وهي التي تتوَج ابناً الملوك ملوكاً

والعبودية السوداء - وهي التي تسم بالعار ابناً المجرمين الابرياء..

والعبودية للعبودية نفسها وهي قوة الاستمرار.

* * *

ولما تعبت من ملاحقة الاجيال، ومللت النظر الى مواكب الشعوب والامم،

جلست وحيدا في وادي الاشباح حيث تختبئ خيالات الازمنة الغابرة وتربض
ارواح الازمنة الاتية: هناك رايت شبحا هزليا يسير منفردا محمدا بوجه الشمس
فسأله «من انت وما لمسك»

قال «اسمي الحرية»

قلت «واين ابناؤك؟»

قال «واحد مات مصلوبا وواحد مات مجنونا وواحد لم يولد بعد» ثم توارى
من عيني وراء الضباب.

يا نفس

لنسيب عريضة

يا نفس، مالك والاني؟ تتألمين وتولمين
عذبت قلبي بالحنين وكنته ما تقصدين

قد نام ارباب الغرام وتدثروا لحف السلام
وايت يا نفس المنام افانت وحدك تشرين؟

الليل مر على سواك افما دهاهم ما دهاك؟
فلم التمرد والعراك؟ ما مور جسي بالمتين

اطلقت نوحك للظلام اياك يسمع الانام
فيظن زفرتك النيام بوق النشور ليوم دين

• • •

يا نفس، مالك في اضطراب كفرة بين الذئاب؟
هلا رجعت الى الصواب وبدلت ريك باليقين

احمامية بين الرياح قد ما قها القدر المتاح
فايتل بالمطر الجناح يا نفس، ما لك ترجفين؟

أوما لحزنك من براح حتى ولو أذف الصباح!
يا ليت شرك لي مباح لأعي صدى ما قد تعين

امبتك ارواح القنم فارتك ما خلف اللثام
فطمت في ما لا يرام؟ يا نفس كم ذا تطمحين

اصعدت في ركب النزوع حتى وصلت الى الربوع
فانك امر بالرجوع اعلى هبوطك تاسفين؟

ام شافك الذكر القديم ذكر الحمى قبل السديم
فوقفت في سجن الاديم نحو الحمى تلتفتين؟

أاضمت فكرا في الفضاء فتبعته فوق الهواء
فناى وغفل في العلاء فرجعت ثكلى تندين؟

اسلكت في قطر الخيال دربا يقود الى المحال؟
فحططت رحلك عند آل يمتص ري الصادرين

فنسيت قصدك والطلاب ووقفت يذهلك السراب
وهرقت فضلات الوطاب طمعا بهاء تأملين؟

حتى اذا اشد الأوام والال امفر عن ركام
غيت رامك كالنعام في رمل قلبي تحفرين

اعشقت مثلك في السماء اخنا تمن الى اللقاء
فجلست في سجن الرجاء نحو الاعالي تنظرين؟

لوتحت باليد والرداء لترك، لكن لا رجاء:
لم تندر انك في كساء قد حيك من ماء وطين

اتحول دونكما حياه لو كان يلوها الاله
لبكى على بشر براه رحما يصارعها الجنين!

* * * * *

يا نفس، انت لك الخلود ومصير جسمي للحدود
مبعث عيثك فيه دود فدعي له ما تنخرين

يا نفس، هل لك في الفصال؟ فالجسم اعياء الوصال
حملته ثقل الجبال وردلته لا تحفلين

عطش وجوع واشتياق امف وحزن واحترق!
يا وريح عيشي! هل تطاق نزعات نفس لا تلين؟

والقلب، وآمني عليه! كالطفل يسط لي يديه
هلا مددت يدا اليه كالامهات الى البنين

غذيت مر الفطام وحرمت ذوق الغرام
وصنعت شيئا من غلام يحبو على باب السنين

فندا كحفار القبور يثد العواطف في الصدور
وبيت يهتف بالثبور يشكو اليك وتشتين

اعنى تطاعنه الشجون وجراحه هارت عيون
وبها يرى جبل المنون فيسير سير الظافرين

حتى اذا اقترب المراد تطلّى رواء بالسواد
فيعود اعنى لا يقاد الا بعكاز الحنين

يتلمس النور البعيد بانامل الفكر الشريد
ويسيل من فمه للنشيد ميل الدماء من العطين

ارليت بيت المنكبوت وذباة فيه تموت
رفعت على نغم السكوت الما فلم يغن العطين؟

فكذلك في شرك الرجاء قلبي يلد له الغناء
ماذاك شلو بل رثاء ييكى به الامل الدفين

* * *

يا نفس، ان حم القضا ورجعت انت الى السما
وعلى قيصك من دما قلبي فماذا تصنعين؟

ضجيت قلبي للوصول وهرعت تبين المشول
فاذا دعيت الى اليخول فباي عين تدخلين؟

الشعر والشعراء

ليخائيل نسيه

ما هو الشعر ومن هو الشاعر

كلنا يتكلم عن الشعر. بعضنا يؤمله، والآخر يعشقه، والثالث يقرضه، والرابع يقتات ويتنفس به. هذا يشحن ذاكرته بالمعلقات والموشحات والخيالات واللاميات، يرددها في وحدته وتلوها على مسمع اصحابه. وذلك يكتب القصيدة بعد القصيدة ويستعد لان ينشر درر افكاره في «ديوان» ولا ديوان ابي الطيب. والآخر، الذي لم يعلمه ابواه «الف. با» يصنف على «المعنى والقرادي والمرصود» او يتغنى بذلك «الموال» او هذا البيت من العتابا. كلنا يعشق الشعر - فصيحاً كان او عامياً - ولا بدع فنحن من ملالة قوم «هم. هم» اذا مات منهم شاعر قام شاعر.

كلنا يتكلم عن الشعر كأننا نعرف ما هو الشعر كما نعرف ما هو الخبز والماء والثوم والبصل. ولو اجتمعت زمرة من عشاق الشعر يننا لتحدث عن الشعر لوجدتها مبللة اللسن. هذا يعني بالشعر كلاماً موزوناً مقفى، وذلك بيتا واحداً من القصيد، والآخر لا يحسب شعراً كل ما يقدر القارى على فهمه دون ان يلجأ الى القاموس.

ان جهلنا معنى الشعر الحقيقي ومنزله في عالم الادب قد اوصلنا الى ما نحن فيه الان من كثرة «النظامين» وقلة الشعراء، وغنانا بالقصائد وفقرياً

بالشعر. لذلك ساحتاول هنا ان آتي على بعض ما قاله اكبر شعراء الغرب وناقديه في تعريف الشعر تاركاً للقارى ان يقابل بين هذا التعريف وذلك فيختار ما يوافق ذوقه وادراكه وميوله.

اللورد مكولي، في مقالته عن ملتن، يعرف الشعر هكذا: «نحن نعني بالشعر فن استعمال الكلمات بطريقة تحدث ايها ما في المخيلة.» لكن مكولي لم يكن شاعراً. فلنسمع ما يقوله الشاعر عن فنه: «شلي» يخبرنا ان الشعر هو «سجل اسعد دقائق في حياة اسمى العقول واسعداها» كذلك: «الشعر مرآة نرىنا القبيح والمعوج جيلاً متناسلاً والقصيدة هي صورة الحياة بعينها معبر عنها بحقائق ابدية» وايضاً: «الشعر يرفع النقاب عن جمال العالم الخفي ويجعل الاشياء المألوفة ان تظهر كأنها غير مألوفة.» وماثيو ارنولد يرى في الشعر مزية جديدة ويعرفه هكذا: «الشعر هو كمال اللغة البشرية. فيه يقترب الانسان من الحق ويتجاسر ان يفوه به.» اما «كولردج» فيرى في الشعر «اتقاء اجمل الكلمات وتنسيقها احسن تنسيق.» ودجونسون يدعو الشعر «اختراعاً» وسيمونيدس اليوناني يعرف الشعر «كصورة ناطقة» و«قالته» يسميه «فناً وضعياً مادته اللغة.» ولكن ملتن يذكرنا ان «القصيدة الحقيقية هي تمثال مركب من احسن واشرف ما في العالم» ويلنسكي - شيخ الناقدين الروسين - يعرف الشعر «كدقات نبض الحياة العالمية ودمها وناورها ونورها وشمها» وايضاً «كجوهر الحياة بل الحياة نفسها».

والان لو القينا نظرة سطحية على هذه التعاريف لوجدناها، مع كل ما فيها من الاختلاف الظاهر في التعبير، تدور حول نقطتين جوهريتين. قسم منها ينظر الى الشعر من جهة تركيبيه وتنسيق عباراته وقوافيه واوزانه والاخر يرى

في الشعر قوة حيوية، قوة مبدعة، قوة مندفة دائماً الى الامام. والشعر في الحقيقة ليس الاول وحده ولا الثاني فقط، بل هو كلاهما. الشعر هو غلبة النور على الظلمة، والحق على الباطل. هو ترنيمة البلبل ونوح الورق. وخير الجلول وقصف الرعد. هو ابتسامة الطفل ودعوة الثكلي. وتورد وجنة العذراء وتجدد وجه الشيخ. هو جمال البقاء وبقاء الجمال. الشعر - لنة التمتع بالحياة، والرعشة امام وجه الموت. هو الحب والبغض، والنعيم والشقاء. هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوي. الشعر - ميل جارف وحنين دائم الى ارض لم نعرفها ولن نعرفها. هو انجذاب ابدى لمعانقة الكون بأسره والاتحاد مع كل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان. هو الذات الروحية تمتد حتى تلامس اطرافها اطراف الذات العالمية. وبالاجمال، فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة، وناطقة وصامتة، ومولولة ومهللة، وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة.

الشعر رافق الانسان من اول نشأته وتدرج معه من مهد حياته حتى ماعته الحاضرة. من الهمجية الى البربرية الى الحضارة الى مدنية اليوم تمشت الانسانية والشعر سميرها ومعزها ومشجعها ومقويها. رافقها ويرافقها في الحل والترحال، والعمل والبطالة، والبؤس والرخاء، والحرب والسلام، والوفرة والقلّة. تعرفه ابرة الخياطة ومطرقة الحداد وزاوية البناء ومنجل الحاصد ومحراث المزارع. تعرفه خلوات النساء وقصور الملوك واكواخ الفقراء. تعرفه القلوب المنكسرة المجردة من افراح هذه الدنيا، والقلوب المفعمة بملكات العالم وشهواته. تعرفه روح العذراء وروح المومسة. تعرفه العيون الدامعة والعيون الضاحكة والوجوه الشاحبة والوجوه الباسمة. اعراشنا ليست كاملة الابه، وامواتنا

لا يلعللون خونه. ترنيمه واحدة ترسل الجندي الى محافر الفناء كالى عرس.
ونشيد واحد يخفف على التوتى حربه مع اللجة المزمجرة والامواج المتطاحنة.
«موال» لا ندري في قلب من اخترع ولسان من نطق به اولا يردد اباءه
ونلحنه نحن بعد مئات من السنين ويبت من «الغابا» بليت عظام قائله من
اجيال يخترق مكينة وحدتنا ويحرك الستنا فتخفق قلوبنا اما حزنا واما فرحا.
ويختلس من عيننا دمة او دموعا او يسقط على اوجنا ابتسامة اللثة والسعادة.
قصيدة انشأها منذ عشرات من القرون بلوي يدعى امرء القيس او عنتره او
المهلل او قيس العامري نطالها اليوم فنعجب بها ونطرب وتهتز عواطفنا.
نحفظ ابياتا مختلفة من قصائد مختلفة ونردددها بين الاونة والاخرى كأنها من
بنات افكارنا او مستودعات قلوبنا. نسعى وراء غاية ما ولا نألف فنشد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

او تصادف في الطريق حديقا مود اليا من قلبه وبذل النور في عينيه ظلاما،
حانه دهره فاصبح يمقت يومه ويخاف غده، فتعزبه بقولنا

دع التقادير تجري في اعنتها ولا تبستن الا خالي الببال
ما بين طرفه عين واتباعتها بغير الله من حال الى حال

لو نسمع غيا يفاخر باجداده واجداد اجداده فنذكره بقول الشاعر

لا تقل اصلي وفصلي ابدا انما اصل الفتى ما قد حصل الخ

ولو وقفنا لنعدد الايات التي تناقلتها الالسن فاصبحت جزءا من حياة الشعب
اليومية لفاق بنا المقام.

ولماذا نردد هذا البيت او تلك القصيدة لو ذلك «الموال» وترك جبلا من
القصائد التي لو قرأناها مرة لشكرنا ربنا على نجاتها بالسلامة؟
لان هذه الايات والقصائد و«المولات» اما تفسر لنا الحياة بتعبيرها عن
حالات نفسية نشعر بها ونعجز عن مكبتها في قالب من الكلام. واما تنقش في
مخيلتنا صورة نحب ان تتمتع بجمالها كما نحب ان ننظر الى وجه جميل ويد
تام وشمس تغرب وزهرة في المرج تنحني مع مرور النسيم. نحب كذلك
موسيقى اللفظ وسلامة التركيب وفصاحة التعبير كما نحب ان نصفي الى
تموجات الاثير التي ترسلها اوتار كمنجة اذ يلامسها القوس من يد امتاذ ماهر.
كلنا - لأمف الكثيرين بيننا - لم نخلق شعراء ولم نعط موهبة ترجمة القلوب
والارواح والطبيعة. لذلك كثيرا ما نضطر ان نعبر عن عواطفنا وافكارنا
واحاساماتنا بالسنة الغير. كلنا لسنا موسيقيين ومصورين، لذلك نضطر من وقت
الى اخر ان ندع الاخرين يقومون بسد حاجتنا الموسيقية والفنية اجمالا اذا
كنا نشعر بشل هذه الحاجات على الاطلاق.

عبثا حاول تولستوي وسواه ان يحطوا من مقام الشعر وينزلوه من مملكته
الالهية الى مملكة النسيان والخمول. عبثا ندعوا به فعظموا افاته وصغروا مقامه
ونهبوا عن صرف الوقت في قرصه. ما دام الانسان انسانا، ما دام فيه ميل
فطري الى الفناء ان كان في الحزن او الطرب، وما دامت اللغة واسطة لتصوير
افكاره والتعبير عن عواطفه وآماله، فسبقى الشعر حاجة من حاجاته الروحية.
لانه في الشعر يجسم احلامه عن الجمال والعدل والحق والخير. وفيه يرسم
الحياة التي تعيشها روحه ولا تراها عيناه ولا تسمعها اذناه. حواله بين اقدار
العالم ودابه اليومي وهمومه الصغيرة ومشاكله الكبيرة.

اذن - تسالونني - هل الشعر خيال فقط وتصوير ما ليس كائنًا كانه كائن؟
وانا لهما لكم بدوري - ما هو الفرق بين الحقيقة والخيال وهل من حد فاصل
بينهما؟ انتم واقفون على ربوة تشرف على البحر، تراقبون من هناك كيف
تبتلع الامواج سلكا بعد سلك من اشعة الشمس المنحدرة. وبينكم وبين البحر
غابة محدودة الاطراف من الصنوبر والارز والسنديان. في اسفل الربوة وادنى
تراكمت فيه الصخور بعضها فوق بعض، تجري بينها مدممة مياه جدول صغير.
وفي نهر الذهب المكون من اشعة الشمس المتلاشية ترون باخرة يتصاعد منها
عمود من الدخان الى قلب الفضاء. الشمس والبحر والغابة والوادي والباخرة
قد اصطفيت في مخيلتكم هيئة صورة متناسبة الالوان والخطوط، قماشها الافق
واطرافها الفضاء. الصورة تسحركم بتناسبها ودقة ترتيبها ودهنها وتناسب النور
والظل فيها. اهي حقيقة ام خيال؟ - اذا قلتم حقيقة فاسمحوا لي ان اذكركم
بالافعى التي التفت على صخرة بالقرب منكم وقد امسكت بين فكها ضبا
تحاول ان تزدرده عشاء. يوما. او بالثعلب الذي انزوى بين الصخور القريبة
منكم ودمه يسيل من رصاصة احابه من يد الصياد. او بالدبدبان التي تتلطم
في برك الماء المنتنة في الوادي. هل عددتم الاشجار في الغابة وميزتم الارز
من الصنوبر والسنديان من البلوط؟ هل رايتم العوسج الملف على جذوع هذه
الاشجار؟ وبالاجمال هل رايتم كلما مرت اعينكم فوقه من راس الراية الى
خط الافق وجعلتموه جزءا من الصورة التي تتمتعون بجمالها؟ كلا ولماذا.
ليست كل هذه التفاصيل جزءا من الحقيقة التي امامكم والتي تتمكنون من
رويتها لو شئتم؟ - نعم. ولكن صوركم كاملة بدونها، وجمالها في انها مركبة
من جمال المجموع لا تفاصيل المفرد.

اهي خيال او وهم اذن؟

كلا فليست وهما ولا خيالا بل حقيقة محسوسة. انتم لم تبدعوا الربوة ولا
الغابة. ولا اختلقتم البحر ولا الشمس ولا الفضاء. ولا الجدول. كل ذلك
رايتوه وشعرتهم بوجوده. ولكنكم قد قابلتم وميزتم، ونبذتم واخترتم
ثم رتبتم ما اخترتموه في نسبة معلومة كانت تبيجها الصورة التي رسمتها لكم
المخيلة. جرى ذاك كله وانتم لم تغيروا حقيقة الموجودات لم «تخلقوا» شيئا
انما اخذتم ما وجدتموه في الطبيعة فطرحت منه وزدتم عليه، وبدلتم في ترتيبه
حتى حصلتم على ما طلبته واحبته انفسكم.

وهكذا يفعل الشاعر. اذا سمعتموه يتغزل بجيل ذهبي، بجيل لا اثر فيه للظلم
والبغض والفقر والحسد والنزاع والموت، بجيل يسود فيه الحب والعمل
والاخاء والمساواة وهلم جرا - فلا تنعوه بالجنون والكذب والوهم. هو لم
يخلق الحب ولم يوجد العمل ولا سبب الفقر ولا قال للموت كن فكان. هو
وجد هذه الصفات والاحوال في العالم عند زيارته هذا العالم. لكن روحه التي
تمشق الجميل وتنفر من القبيح قد وضعت هذه الصفات في نسبة جديدة غير
التي نراها ماثلة في حياتنا اليومية. وتغيير النسبة هو اختلاق الشاعر الذي
يدعوه «خيالا». لكن خيال الشاعر حقيقته. والشاعر الذي يستحق ان يدعى
شاعرا لا يكتب ولا يصف الا ما تراه عينه الروحية ويختبر به قلبه حتى يصبح
حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية اخيانا قاصرة عن رؤيته. ذاك
لا يعني ان الشاعر يقدر ان يدعى الاسود ابيض والاحمر اصفر - اي ان يعري
الاشياء الحقيقية عن مميزاتا الطبيعية ويعطيها صفات من عنده داعيا ذاك
«خيالا». كلا. وهذا كل الفرق بين الشاعر والشعور. الشاعر لا يصف الا ما

بندركه بحواسه الجسدية او يلامسه بروحه . لسانه يتكلم من فضلة قلبه . اما الشرور فيحاول ان يقتنعنا انه حلم احلاما نحن نعلم علم اليقين انها لم تمر له براس لا في النوم ولا في اليقظة . ويصف لنا عواطف لم يشعر بشئها لا بشر ولا جن ولا ملاك من اول وجود هذا العالم حتى اليوم . لذلك تهزنا اشعار الاول فنحفظها ونردددها . وتضحكننا «قصائد» الثاني فنضرب بها عرض الحائط .

وما هي الغاية من الشعر؟

قوم يقولون ان غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب ان تتعداه (الفن لاجل الفن) واخرون ان الشعر يجب ان يكون خادما لحاجات الانسانية وانه زخرفة لا ثمن لها اذا قصر عن هذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ طويل لا تقدر ان تأتي به هنا ، ولا غاية لنا ان نبحث في حسنات كل منهما وسيئاته . انما نكتفي ان نقول ان الشاعر لا يجب ان يكون عبد زمانه ورهين ارادة قومه . ينظم ما يطلبون منه فقط ويفوه بما يروق لهم سماعه . واذا كان هذا ما يعنيه اصحاب المذهب الاول فلا شك انهم مصيبون . لكننا نعتقد في الوقت نفسه ان الشاعر لا يجب ان يطبق عينيه ويصم اذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه اليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم او لويله . وما دام الشاعر يستمد غذاءه لقريحته من الحياة فهو لا يقدر - حتى ولو حاول ذلك - الا ان يعكس اشعة تلك الحياة في اشعاره فيندد هنا ويدح هناك ويكرز هنالك . لذلك يقال ان الشاعر ابن زمانه ، وذلك صحيح في اكثر الاحوال ان لم يكن في كلها .

والان بعد ان بحثنا ، ولو سطحيا ، في الشعر ، لنقف ونسأل -

من هو الشاعر؟

الشاعر نبي وفيلسوف ومصور وموسيقي وكاهن . نبي لانه يرى بعينه

الروحية ما لا يراه كل بشر . ومصور - لانه يقدر ان يسكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام . وموسيقي - لانه يسمع اصواتا متوازية حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة . العالم كله عنده ليس سوى آلة موسيقية عظيمة تنقر على اوتارها اصابع الجمال وتنقل العانها نسمات الحكمة الابدية . هو يسمع موسيقى في ترنيمة العصفور وولولة العاصفة ، وزئير اللجة وخريف الساقية ، ولثغ الطفل وهذيان الشيخ ، فالحياة كلها عنده ليست سوى ترنيمة - محزنة او مطربة - يسمعا كيفما انقلب لذلك يعبر عنها بعبارات موزونة رنانة . الوزن والتناسب في الطبيعة اخوان لا ينفصلان وبغيرهما «لم يكن شيء» مما كَوَّن . والشاعر الذي تعاق روحه روح الكون يدرك هذه الحقيقة اكثر من سواه . لذلك نراه يصوغ افكاره وعواطفه في كلام موزون منتظم . الوزن ضروري اما القافية فليست من ضروريات الشعر لاسيما اذا كانت كالقافية العربية يروي واحد يلزمها في كل القصيدة . عندنا اليوم جمهور من الشعراء يكرزون «بالشعر المطلق» ولكن سواء وافقنا «والت هويتان» وتباعه ام لا فلا مناص لنا من الاعتراف بان القافية العربية السائدة الى اليوم ليست سوى قيد من حديد تربط به قرائح شعرائنا - وقد حان تحطيمه من زمان .

واخيرا - الشاعر كاهن لانه يخدم الها هو الحقيقة والجمال . هذا الاله يظهر له في ازياء مختلفة واحوال متنوعة . لكنه يعرفه اينما راه ويقدم له تسايح حيثما احست روحه بوجوده . يراه في الزهرة النلاوة والزهرة الناضرة . يراه في حمرة وجنة الفتاة وفي اصفرار وجه الميت . يراه في السماء الزرقاء والسماء المتبلدة بالغيوم . في ضجة النهار وسكينة الليل وبالاختصار ان روح الشاعر تسمع دقات انباض الحياة وقلبه يردد صداها ولسانه يتكلم «بفضلة قلبه» . تتأثر نفسه من

مشهد يراه أو نعمة يسمعها فتولد في راسه افكار ترافقه في الحلم واليقظة فتتملك كل جارحة من جوارحه حتى تصبح حملا يطلب التخلص منه . وهنا يرى نفسه مدفوعا الى القلم ليفتح مجالا لكل ما يجيش في صدره من الانفعالات وفي راسه من التصورات ولا يستريح تماما حتى ياتي على اخر قافية فيقف هناك وينظر الى ما سال من بين شغرتي قلعه كما تنظر الام الى الطفل الذي مقط من بين احشائها . امامه فلة من ذاته وقسم من كيانه .

الشاعر - ونعني به الشاعر لا «النظام» - لا يأخذ القلم في يده الا مدفوعا بعامل داخلي لا سلطة له فوقه . فهو عبد من هذا القيل . لكنه سلطان مطلق عندما يجلس لينحت لاحاسامه وافكاره تماثالا من الالفاظ والقوافي لانه يختار منها ما يشاء . فيختار الاحسن اذا كان من المجيدين او ما دون ذلك بالتدرج حسب قواه الفنية والادبية . اما «النظام» فيأخذ قلما وقرطاسا ثم يبدأ بوخز دماغه وقريحته على يتمكن من ان يبيجها ولو قليلا . غايته لا ان يترجم عن عواطف او ان يعبر عن افكار بل ان «ينظم قصيدة» . لذلك اذا خدعنا هذا بطلاوة نسقه فلا يطول ان نكتشف تصنعه وخداعه فنسائه وننسى قصيدته . اما الشاعر الذي يسقي قلعه من قلب طافح وروح هائجة فربما لا نفهمه اليوم ولا نهتم به ، لكن لا بد ان نفيق غدا ونذكر هفوتنا لان الجمال - كالشمس لا يختفي . وحينئذ نسرع لنكفر عن امائتنا الى ذلك الشاعر ولو بعد موته . فعلي مقامه وتقييم له التماثيل ان لم يكن على ملتقى الطرق او في ساحات المدن ففي قلوب تختلج عند مطالعة ما جاد به قلعه . هذا ما جرى لشكبير وكثيرين سواه من كبار الشعراء والكتّاب . لكن شكبير لم يمت ولن يموت . اما الوف «النظاميين» الذين حازوا شهرة وقتية عن غير استحقاق

فلا نسمع بهم ولا نذكرهم ، واذا ذكرناهم ففي سبيل التفكهة فقط . اكثرنا نولد وفينا ميل فطري الى الشعر . والشباب هو قصيدة الحياة وريبعها ، الذي تنبثق فيه قوى الروح وقوى الجسد من بين اكمام الصبا والذي يحرك فينا هذا الميل فتتوهم اننا شعراء ونبدأ نحلم بشهرة الشعراء العظام .

ناخذ القلم و«ننظم» ونحسب كل قافية يجود علينا بها القاموس «درة فريدة» . حكاية قديمة كالدهر يقصها عليكم تلاميذ المدارس في كل اقطار الارض لكن هذه القصائد الصبائية تولد والموت لها بالمرصاد فلا تتعدى دائرة محصورة من الزمان والمكان . ربما تلاها مولفوها على مسمع والديهم او اقاربهم او اصدقائهم . ثم يطرحونها مع بقية تذكارات الصبا وشوق الشباب ، ذاك عند الشعوب التي تميز الشاعر من «الشعور» . اما عندنا فكل من ظن انه شاعر لا يكاد ان ينظم اول قصيدة حتى ترى الجرائد والمجلات قد فتحت صدرها لها واعدت لمولفها القابا تتراوح بين «الناطقة» و«الشاعر العصري المجيد» . حتى ان افقر الشعراء عندنا ، اذا لم يكن نابغة فهو على الاقل «شاعر عصري مجيد»

انا لا الوم فتى مغرورا بنفسه يظن انه شاعر وليس بشاعر ولذلك ينظم وينظم . كلنا نحسب ان تصور انفسنا لانفسنا ارفع واحسن واجمل مما نحن في الواقع . وقول اليازجي «كل يعد نفسه نعم الفتى» كان حقيقة في عهد عاد وثمود ولا يزال حقيقة حتى هذه الساعة وسيبقى حقيقة الى ان يصبح الانسان الها . اما «النظاميون» - وماذا اقول فيهم بعد؟ بينهم من لو درس حرفة الخياطة لبرع فيها . وبينهم من لا يجاربه احد في مسح الاحذية . وبينهم من لا تقير له في بيع الفجل والمرطبات وله صوت في تلحين «بورديا عطشان» ولا

تفريد البلبيل. وبينهم من لا يشق له غبار في كتابة الصكوك وتسجيل الحجج
وبينهم من هم ولا شك نوابغ في بيع «الكشة» والطرق على الابواب. لكنهم
لا يدركون ذلك - وهذه هي مصيبتنا الكبرى فيهم. اذا لمحت اليهم بلطف
«اعطوا الخبز لخبازه. وللخياط قنباره» يجيئونك انهم قد درسوا ذلك منذ
حدائهم. واذا نصحت لهم كاخ مخلص ان يرحموا ادمعتهم ويستعملوا وقتهم
لعمل انفع من صيد القوافي الشاردة امتشاطوا غضبا ودعوك طفيليا تتدخل فيما
لا يعينك. وافهموك بلغة لا تحمل التأويل انهم ينظمون الشعر لانهم يعشقونه،
وانهم شعراء ويعرفون انهم شعراء. فما لنا الا ان نقول لهم. «بارك الله لكم بما
تملكون وما تنظمون. اما نحن فعلينا واجب مقدس نقوم به امام انفسنا وامام
بنينا وبناتنا. وذاك ان نقدم لانفسنا ولهم غذاء روحيا صالحا لا فاسدا. وان
نعطيهم من الشعر اجوده لا اقبحه. لذلك نستمحكم عذرا ان ندعو الاشياء
باسماها. ولذلك «لا تؤاخذونا» اذا ميزنا بينكم وبين الشعراء فدعونا ما
تكتبونه «صف كلام» وما يكتبونه شعرا وفنا!»

الدينوزة

لندره حداد

لما رايت القلب منكشا	وخشيت ان يسلو وما اعتادا
نبتته فاهتز مرتعشا	وحبته اذ شب منطادا
ما كان عن ملل تقاعده	لكنه من حمله قعدا
هم وتبريح يكابده	ولييب وجد حوله اتقدا
يا ويح قلبي كم احمله	ما قد ينوء لثقله الجبل
يا ليت لي املا اعلنه	يوما به ان ينفع الامل
صاحبه وبصحبتي ظلما	ونظيره قد عشت مظلوما
فمن المصرة والصفاء حرما	ومن السعادة كنت محروما
كم السقام وكنت اكتمه	وكنت عيشا لم يزل صعبا
قد رقت لكن لست ارحمه	فكان عندي غيره قلبا
ودعت ايامي ونضرت بها	والشب للانسان انذار
مضت الحياة تقود بهجتها	مذ غاب نيسان وايار

اربيع عمري لم اجلك سوى
ان كان طيبك للنفوس دوا
برق مع الاعصار قد ومضا
قد كان لي عوض الدوا مرضا

راققتني وجهت انك لي
فتركتني احيا بلا امل
نور الحياة وعقدها الغالي
ومن الفضول حياة امثالي

ما مر بي حال تسر ولا
فكان جسي حينما جبلا
زمن رآه القلب فابتهجيا
من طينة بالهم قد مزجا

لا الناي بطربي ولا الشادي
ومن الغرابة زعم حادي
بالذ ما يشدو ولا العود
اني من الاحياء معدود

ابنت الفجر

لايليا ابي ماضي

ان انا اغمض الحمام جفوني
وتمشي في الارض دارا فدارا
ودوى صوت مصرعي في المدينة
فسمت دويته ورنينه
لا تصيحي واحسرتاه لثلا
واذا زرتني وابصرت وجهي
يربك السامعون ما تضرينه
قد محا الموت شكه ويقينه
يندبون الفتى الذي تعرفينه
وتعالي العويل حولك ممن
لا تشقي علي ثوبك حزنا
غالب اليأس واجلسي عند نعشي
ان للصمت في المآتم معنى
ولقول العذال عنك « بخيل »
واذا خفت ان يثور بك الوجد
فارجمي واسكبي دموعك مرا
وامسحي باليدين ما تسكينه
فتبدد امرارنا المكنونه
هو خير من قولهم « مسكينه »
تتعزيز به النفوس الحزينه
فانك يا ابنة الفجر من احبك ميت
زابل النور مقلتيه وغابت
ولانت بمثل هذا رهينه
تحت اجفانه المعاني المبينه



فاصبيخي هل تسمعين خفوقا
وانظري ثم فكري كيف امسى
ساكنا لا يقول شيئا ولا يسمع
لا يبالي اودعوه الثريا
واذا الحارسان ناما عيا
فتعالي وقبلني شفتيه
قبل ان يسدل الحجاب عليه
واحذري ان تراك عين رقيب
فاذا ما امنت لا تركيه

• • •

واذا الساعة الرهيبة حانت
وسعت الناقوس بقرع حزنا
زوذي الراحل الذي مات وجدا
نظرة تعلم السموات منها

• • •

طوت الارض من طوى الارض حيا
واختفى في التراب وجه صبيح
فاذا ما وقفت عند السواقي
حيث اقتسبت ان تدومي على العهد

حيث علمته القريض قامسى
فاذكره مع البروق السواري
واذا ما مشيت في الروض يوما
وذكرت مواقف الوجد فيه
حيث علمته الفتون فاضحى
حيث وسدته يمينك حتى
حيث كنت وكان يقيقك طورا
حيث حاك الربيع للروض ثوبا
فالتمى كل زهرة فيه اني
ثم قولني للطير مات حبيبي

• • •

واذا ما جلست وحدك في الليل
ورايت الغيوم تركض نحو الغرب ركضا
ولحظت من الكواكب صدا
فغضبت على الليالي البواقي
فاهجري المخدع الجميل وزوري
واثري الورد حوله وعليه

وحاجت بك الشجون الدفينه
كانها مجنونه
وفغاراء وفي النسيم خشونه
وحنت الى الليالي الثمينه
ذلك القبر ثم حيي قطينه
واغرسى عند قلبه ياسمينه

أرم ذات العماد

لجبران خليل جبران

«الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد» (القرآن الشريف)
«يدخلها بعض امتي» (الحديث)

توطئة لارم ذات العماد

بعد ان ملك شداد ابن عاد جميع الدنيا امر الف امير من جبابرة قوم عاد ان يخرجوا ويطلبوا ارضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة عن الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب. فخرج اولئك الامراء ومع كل امير الف رجل من خدمه وخشعه. فساروا حتى وجدوا ارضا واسعة طيبة الهواء فاعجبهم تلك الارض فامروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها اربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم احاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المسووعة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا اشرفت الشمس. وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذها لينا. واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة الف قصر بعدد روماء مملكته كل قصر على عمدة من انواع الزبرجد واليواقيت معقدة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع. واجرى في وسطها انهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار انواع الاشجار جذوعها من الذهب واوراقها ونورها من انواع الزبرجد واليواقيت واللاكي. وطلى حيطانها بالمسك والعنبر. وجعل فيها جنة مزخرفة له. وجعل اشجارها الزمرد واليواقيت وسائر انواع المعادن. ونصب عليها انواع الطيور المسووعة العاصح والمفرد وغير ذلك.

«الشعبي في كتاب سير الملوك»

ارم ذات العماد

المكان - شابة صغيرة من الجوز والهور والرمان تحيط بمنزل قديم منفرد بين منبع العاصي وقرية الهرمل في الشمال الشرقي من لبنان
الزمان - عصاري يوم من ايام تموز في سنة ١٨٨٣
اشخاص الرواية - زين العابدين النهاوندي - وهو درويش عجمي في الاربعين من عمره - (معروف بالصوفي)

نجيب رحمه - اديب لبناني في الثالثة والثلاثين
آمنة العلوية - معروفة في تلك النواحي «بجنية الوادي» ولا احد يعرف عمرها

يرفع الستار فيظهر زين العابدين متكئا على ساعده في ظلال الاشجار وهو يرسم براس عصاه الطويلة خطوطا مستديرة على التراب. بعد هنيهة يدخل الغابة نجيب رحمه راكبا على فرس ثم يترجل ويربط مقود فرسه بجزع شجرة وينفض الغبار عن ملابسه ثم يقترب من زين العابدين

نجيب رحمه - السلام عليك يا سيدي.
زين العابدين - وعليك السلام. (يحول وجهه قائلا في نفسه) اما السلام نقبله واما السيادة فلا ندري انقبلها ام لا.
نجيب - (ينظر حواليه مستفحضا) اهنا تسكن آمنة العلوية؟
زين العابدين - هذا منزل من منازلها.
نجيب - اتعني يا سيد ان لها بيتا اخر.
زين العابدين - لها منازل لا عداد لها.
نجيب - منذ الصباح وانا ابحث وامال كل من لقينه عن مقر آمنة العلوية ولم يقل لي احد ان لها منزلا او اكثر.



زين العابدين — هذا دليل على أنك لم تلتق منذ الصباح بغير من لا يرى
الابعية ولا يسمع الا باذنيه.

نجيب — (مستغربا) ربما كان الامر مثلما تقول. ولكن اصدقني يا سيدي
افني هذا المكان تسكن آمنة العلوية؟

زين العابدين — نعم في هذا المكان يسكن جسدها بعض الاحياء.

نجيب — وهلا اخبرتني اين هي الان.

زين العابدين — هي في كل مكان (مشيرا بيده الى الجهة الشرقية) اما
جسدها فيسير متجولا بين تلك التلول والودية.

نجيب — وهل تعود اليوم الى هذا المكان؟

زين العابدين — ستعود ان شاء الله.

نجيب — (يجلس على صخر امام زين العابدين ثم يتفحصه طويلا) يبدو
لي من لحيتك انك فارسي.

زين العابدين — نعم. ولدت في نهاوند وريت في شيراز وتثقت في
نيسابور وجبت مشارق الارض ومغاربها وانا غريب في كل مكان.

نجيب — كلنا غريب في كل مكان.

زين العابدين — لا والحق. فقد لقيت وحدثت الف الف من الناس فلم
ار سوى المكتفين بمحيطهم. المستأنين بالفهم. المنصرفين عن العالم الى
الفسحة الضيقة التي يرونها من العالم.

نجيب — (معجبا بكلام جليسه) الانسان يا سيدي مطبوع على حب المكان
الذي ولد فيه.

زين العابدين — المحدود من الناس مطبوع على حب المحيود من الحياة.

وشحيح البصر لا يرى غير ذراع من السبيل الذي تطأه قدماء. وذراع من
الحائط الذي يسند اليه ظهره.

نجيب — ليس لكل منا المقدرة على الاحاطة بكليات الحياة. ومن الظلم
ان تطلب من شحيح البصر ان يرى البعيد والضئيل.

زين العابدين — اصبحت واحسنت فمن الظلم ان تطلب الخمر من الحصرم.
نجيب — (بعد دقيقة سكوت) اسمع يا سيدي. منذ اعوام وانا اسمع الاخبار
عن آمنة العلوية ولقد اثرت بي هذه الاخبار الى درجة قصوى فعزمت على
الاجتماع بها لاستفسارها ومعرفة اسرارها وخفاياها.

زين العابدين — (يقاطعه) اوجد في هذا العالم من يستطيع معرفة اسرار
آمنة العلوية وخفاياها؟ اوجد بين البشر من يقدر ان يسير متجولا متنزها في
قاع البحر كانه في حديقة؟

نجيب — قد امارت التعبير يا سيدي فسامحني. انا لا افدر بالطبع على
الاحاطة بمكنونات آمنة العلوية ولكني ارجو ان اسمع منها حكاية دخولها الى
ارم ذات العباد.

زين العابدين — ما عليك سوى الوقوف في باب حلمها فان فتح لك بلفت
قصده. وان لم يفتح فانت المعلوم.

نجيب — ماذا تعني يا سيدي بقولك ان لم يفتح لي كنت انا المعلوم؟

زين العابدين — اعني ان آمنة العلوية ادرى الناس منهم بنفوسهم، فهي
تري بلمحة واحدة ما في ضمائرهم وقلوبهم وارواحهم فان وجدتك خليقا
بمحادثتها حدثتك والا فلا.

نجيب — ماذا اقول وماذا افعل لا كون حريا باستماع حديثها.

زين العابدين - عبثا تحاول الدنو من آمنة العلوية بواسطة القول والعمل
فهي لا ولن تصني الى ما تقوله لا ولا تنظر الى ما تفعله بل سوف تسمع باذن
اذنها ما لا تقوله وترى بعين عينها ما لا تفعله.

نجيب - (تظهر على ملامحه سيما الدعشة) ما ابلغ كلامك هذا وما اجمله.
زين العابدين - ليس ما ا قوله عن آمنة العلوية سوى دندنة اخرس يريد ان
يفني نشيدا.

نجيب - اتعلم يا سيدي اين ولدت هذه المرأة العجيبة؟

زين العابدين - ولدت في صدر الله.

نجيب - (متلبكا) اعني اين ولد جسدها.

زين العابدين - بجوار دمشق.

نجيب - وهلا اخبرتي شيئا عن والديها وتربيتها؟

زين العابدين - ما اشبه سوء الاتك هذه بسوءالات القضاة والمشرعين.

افتظن انك تستطيع ادراك الجواهر باستفسارك الاعراض او معرفة طعم الخمرة
بمجرد النظر الى خارج الجرة.

نجيب - بين الارواح واجسادها رابطة وبين الاجساد ومحيطها علاقة ولما
كنت لا اعتقد بالصدف ارى ان النظر في تلك الروابط وتلك العلاقات لا
يخلو من الفائدة.

زين العابدين - اعجبتني، اعجبتني يلوح لي انك على شيء من العلم. اذا
قاممع. لا اعرف شيئا عن والدة آمنة العلوية سوى انها ماتت وهي تتمخض
بابنتها. اما والدها الشيخ عبد الغني الضرير المشهور بالعلوي فقد كان امام
زمانه في العلوم الباطنية والتصوف. وقد كان رحمه الله ولوعا بابنته الى درجة

قصوى فهدبها وثقفها وسكب في روحها كل ما في روحه ولما بلغت اشدها
ادرك ان العلوم التي اخذتها عنه لم تكن من العلم الذي انزل عليها الا بمقام
الزبد من البحر فصار يقول عنها «لقد انبثق من ظلمتي نور استضي به» ولما
بلغت الخامسة والعشرين خرج بها لاداء فريضة الحج. ولما قطعوا بادية الشام
واصبحا على بعد ثلاث مراحل من المدينة المنورة بلي الضرير بالحمى وتوفي
فدفنته ابنته في لحف جبل هناك وجلست على قبره سبع ليال تناجي روحه
وتستكشفها اسرار الغيب وتستعلم منها عما وراء الحجاب. وفي الليلة السابعة
اوحى اليها روح والدها ان تطلق راحلتها وتحمل زادها على عاتقها وتسير
من ذلك المكان الى الجنوب الشرقي ففعلت (يسكت دقيقة ويحدث بالافق
البعيد ثم يعود الى الكلام) وظلت آمنة العلوية سائرة في البادية حتى وصلت
الى «الربع الخالي» وهو قلب الجزيرة الذي لم تخترقه قافلة ولم يصل اليه
سوى افراد قليلين منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا. اما انججاج فظنوا انها
تاهت في تلك القفار وقضت جوعا، ولما عادوا الى دمشق اخبروا الناس
بن ذلك فحزن عليها وعلى ايها من عرف فضلها ثم التحف ذكرهما النسيان
كانهما ما كانا. وبعد خمسة اعوام ظهرت آمنة العلوية في الموصل. وكان
ظهورها بما هي عليه من الجمال والهيبة والعلم والصلاح اشبه شيء بهبوط نيزك
من الفضاء. فقد كانت تسير بين الناس مسفرة وتقف بحلقات العلماء والائمة
متكلمة عن الامور الربانية وتصف لهم مشاهد ارم ذات العماد بفصاحة ما
سمع القوم بمثلا. ولما اشتهر امرها وكثر عدد اتباعها ومربديها خاف علماء
المدينة ظهور بدعة واختشوا الفتنة فشكوها الى الوالي فاستقدمها هذا اليه والقي
بين يديها صرة من الذهب وطلب اليها ان تغادر المدينة، فرفضت المال وترك



المدينة ليلا بدون ان يصحبها احد من الناس. ثم توجهت الى الامانة فحلب فتمشق فحمص فطرابلس وكانت في كل مدينة من هذه المدن تثير ما سكن في نفوس الناس وتشعل ما خمد في وجدانهم فيلتفون حولها ويصفون الى محاضراتها واحاديث اختباراتها العجيبة مجذوبين بعوامل قوية سحرية. غير ان ائمة الدين وشيوخ العلم في كل بلد كانوا يصادرونها ويفندون اقوالها ويعرضون بها الى الحكام. بعد ذلك طلبت نفسها العزلة فجاءت هذا المكان منذ اعوام واستوحشت به زاهدة متعبدة منصرفة عن كل شيء سوى التعمق في الاسرار الربانية. هذا قليل من كثير اعرفه عن حياة آمنة العلوية. اما ما حباني الله بمعرفته عن ذاتها المعنوية وما يتألف في نفسها من القوى والمواهب فليس بامكاني الكلام عنه الان. ومن من البشر يا ترى يستطيع ان يجمع الاثير المحيط بهذا العالم في كوموس واكواب؟

نجيب - (متأثرا) اشكر لك يا سيدي ما تفضلت وحدثتني به عن هذه الاميرة العجيبة. لقد ضاعفت شوقي الى الوقوف بحضرتها.

زين العابدين - (بنغمة دقيقة) انت مسيحي. اليس كذلك؟

نجيب - نعم ولدت مسيحيا غير انني اعلم اننا اذا جردنا الاديان مما تعلق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا.

زين العابدين - اصبحت وليس بين البشر ادرى بالوحدة الدينية المجردة من آمنة العلوية فهي في الناس على اختلاف طوائفهم كندى الصباح الذي يهبط من الاعالي وينعقد درا مشعشا بين اوراق الازهار المتباينة لونا وشكلا. نعم هي كندى الصباح....

(يقف زين العابدين فجأة عن الكلام ويلتفت الى الجهة الشرقية مصغيا

ثم ينتصب على قدميه ويومئ الى نجيب ان ينتبه فيفعل هذا ممثلا) زين العابدين - (هامسا) هوذا آمنة العلوية.

(يرفع نجيب يده الى جبهته كأنه احس بحدوث تغيير في دقائق الهواء ثم ينظر فيرى العلوية اتية فتغير ملامحه ويضطرب في داخله ولكنه يبقى واقفا في مكانه كالتمثال.... تدخل آمنة العلوية وتقف امام الرجلين وهي بيئتها وحر كاتها وملابسها اقرب من معبودات الشعوب الغابرة منها الى امرأة شرقية في الزمن الحاضر. ومن الصعوبات تحديد عمرها بمجرد النظر الى ملامحها فكأن الشباب في وجهها يستر الف سنة من المعرفة والاختبار. اما نجيب وزين العابدين فيظللان جامدين خاشعين متهيئين كأنهما بحضرة نبي من انبياء الله.... وبعد ان تحلق العلوية بوجه نجيب كأنها تخترق بنظراتها صدره تدنو منه وقد انبسطت ملامحها وابتمت، وبصوت عذب تقول....)

آمنة العلوية - جئنا ايها اللبناني متسنا اخبارنا مستفحضا حالنا، وسوف لا تجد بنا الا ما بك، ولا تسمع منا الا ما عرفته في نفسك.

نجيب - (مفعولا) ها قد رايت وسمعت وصدقت واكتفيت

العلوية - لا تكن قنوعا بالقليل فمن يرد ينايع الحياة بجرة فارغة صرف بجزئين طافحين.

(تمد يدها اليه فيتناولها بكثنا يديه خاشعا محتشا ويقبل اطراف اصابعها مدفوعا بعامل خفي. تلتفت الى زين العابدين وتمد يدها اليه فيفعل هذا فعل نجيب ثم تتراجع قليلا الى الوراء وتجلس على حجر منحوت امام بيتها وتشير الى صخر قريب وتقول لنجيب) - هذه مقاعدنا فاجلس.

(يجلس نجيب ويفعل زين العابدين فعله).

العلوية — انا نرى بعينيك نورا من انوار الله ومن ينظر اليها ونور الله في عينيه ير - مقيتنا عارية مجردة . وانا نرى بوجهك ما يرفعه الاخلاص عن حب الاستطلاع الى الرغبة في الحق . فان كان على لسانك كلمة قلبها فنحن اليك مصغون . وان كان في قلبك سوءال فاطرحه فنحن لك مجبيون .

نجيب — جئت مستعلما عن امر يتحدث الناس به لغرابته ولكني ما وقفت بحضرتك حتى علمت ان الحياة مظاهر الروح الكلية فكان مثلي مثل صياد القى شبكه في البحر ليصطاد سمكا ولما اجتذبها الى الشاطئ وجد فيها صرة من الحجارة الكريمة .

العلوية — جئت تسألنا عن دخولنا ارم ذات العماد؟

نجيب — نعم يا سيدتي . منذ حدثني وهذه الكلمات الثلاث « ارم ذات العماد » تعانق احلامي وتمشي مع خيالي بما وراءها من الرموز والمقاصد الخفية .

العلوية — (ترفع راسها وتغمض عينيها وبصوت يخاله نجيب اتيا من قلب الفضاء تقول) — اجل قد بلغنا المدينة المحجوبة ودخلناها واقمنا فيها وملانا روحنا من اريجها وقلبنا من اسرارها وجيوبنا من لؤلؤها وياقوتها فمن ينكر علينا ما شاهدناه وعرفناه كان ناكرا لذاته امام الله .

نجيب — (متأثرا) — ما انا يا سيدتي سوى طفل يلثغ متلثما بما يريد بيانه فان سالتك عن امر فيخشوع اسأل . وان استقصيت امرا فبايمان واخلاص . فها جعلت عطفك علي شفيعا بي لنديك اذا ما اتعبت بترك بسوءلاني الكثيرة ؟ العلوية — سل ما شئت فقد جعل الله الحقيقة ذات ابواب يفتحها بوجه من يطررها بيد الايمان .

نجيب — هل دخلت ارم ذات العماد بالجسد او بالروح وهل هي مدينة مصنوعة من عناصر الارض المتبلورة وقائمة في بقعة معلومة من الارض ام هي مدينة روحية ترمز عن حالة روحية يبلغها انبياء الله واولياؤه في غيبوبة يلقيها الله تقابا على نفوسهم ؟

العلوية — ليس ما نراه على الارض وما لا نراه سوى حالات روحية وانا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلال مبين . انما الزهرة وعطرها شيء واحد . فالاعشى الذي ينكر لون الزهرة وصورتها قائلا : « ليست الزهرة سوى عطر يتعوج في الاثير » ليس هو الا كالمزكوم الذي يقول : « ليست الازهار غير صور والوان » .

نجيب — اذا المدينة المحجوبة التي ندعوها بـ ارم ذات العماد حالة روحية ؟ العلوية — كل مكان وزمان حالة روحية . وكل المرئيات والمعقولات حالات روحية . فان اغمضت عينيك ونظرت في اعماق اعماقك رايت العالم بكلياته وجزئياته وخبرته ما فيه من النواميس وعلمت ما يلزمه من الذرائع وفهمت ما يتلمسه من المحجبات . اجل انك اذا اغمضت بصرك وفتحت بصيرتك رايت بداية الوجود ونهايته — تلك النهاية التي تصير بدورها بداية وتلك البداية التي تتحول الى نهاية .

نجيب — وهل بإمكان كل انسان ان يغمض عينيه ويرى جوهر الحياة المجرد ؟

العلوية — يستطيع كل انسان ان يشوق ثم يشوق ثم يشوق حتى ينزع الشوق بقاب الظواهر عن بصره فيشاهد اذ ذلك ذاته . ومن ير ذاته ير جوهر



الحياة المجرد. فكل ذات هي جوهر الحياة المجرد.

نجيب - (يضع يده على صدره) - اذا كل ما في الوجود من محسوس ومعقول كائن هنا هنا في صدري؟

العلوية - كل ما في الوجود كائن فيك وبك ولك.

نجيب - ابامكاني ان اقول لذاتي ان ارم ذات العباد موجودة في باطني. لا في خارجي؟

العلوية - كل ما في الوجود كائن في باطنك وكل ما في باطنك موجود في الوجود. وليس هناك من حد فاصل بين اقرب الاشياء واقصاها او بين اعلاها واخفضها او بين اصغرها واعظمها. ففي قطرة الماء الواحدة جميع اسرار البحار. وفي ذرة واحدة جميع عناصر الارض. وفي حركة واحدة من حركات الفكر كل ما في العوالم من الحركات والانظمة.

نجيب - (تظهر على وجهه امارات الالتباس) - قد قيل لي يا سيدتي انك قطعت المسافات الشاسعة حتى بلغت ذلك المكان المعروف بالربع الخالي في قلب الجزيرة. وقيل لي ان روح والدك كانت الموحية اليك والهادية لك والسائرة معك حتى بلغت ارم ذات العباد. افليس على الراغب في الوصول الى تلك المدينة المحجوبة ان يكون في حالة شبيهة بحالتك وان تكون له الوسائل الجسدية والاسباب المعنوية ليحصل على ما حصلت انت عليه؟ العلوية - اجل قد قطعنا انصهارى وقاسينا الجوع والعطش وخبرنا مخاوف النهار ورمضاءه واهوال الليل وسكينته قبل ان راينا اسوار مدينة الله. ولكن قد بلغ مدينة الله قبلنا من لم يسر خطوة وعرف جمالها وبهاءها من لم يخبر جوعا في الجسد او عطشا في الروح. اي والحق لقد طاف في المدينة المقدمة

اخوان لنا واخوات بدون ان يخرجوا من المنازل التي ولدوا فيها (تسكت هنيهة ثم تومئ يديها الى الاشجار والرياحين المحيطة بها) لكل بذرة من البنود التي يلقيا الخريف في اديم التراب اماليب خاصة في فسح قشرتها عن لبائها وفي تكوين اوراقها فازهارها فثمارها. ولكن مهما تباينت الاماليب فمحنة جميع البنود تظل واحدة. وتلك المحنة هي الوقوف امام وجه الشمس.

زين العابدين - (يتمايل الى الامام والى الورا متاثرا كانه انتقل بالروح الى عالم سام ثم يصرخ بصوت رخيم)

- الله اكبر. لا اله الا الله الكريم الوهاب الملقى ظله بين الالسنه والشفاء. العلوية - اجل. قل الله اكبر لا اله الا الله. وقل لا شيء الا الله. (يتمتم زين العابدين هذه الكلمات في ذاته اما نجيب فيخلق بالعلوية كالمسحور وبصوت يكاد يكون همسا يقول) - لا شيء الا الله. العلوية - قل لا اله الا الله ولا شيء الا الله وكن مسيحيا.

نجيب - (يخني راسه محركا شفتيه مرددا كلماتها ثم يرفع راسه قائلا) - قد قتلها يا سيدتي وسوف اقولها الى نهاية حياتي. العلوية - يلس لحياتك نهاية فانت باق ببقاء كل شيء. نجيب - من انا وما انا لابقى خالدا؟

العلوية - انت انت. وانت كل شيء. لذلك ستبقى خالدا. نجيب - اني اعلم طبعاً يا سيدتي ان الذرات التي تتألف منها وحدتي الهيولية ستبقى ببقاء الهيولى ولكن اباقية يا ترى هذه الفكرة التي ادعوها انا؟ اباقية هذه اليقظة الضئيلة المنطقية بالهجوم؟ اباقية هذه الفقايع المتلعة بنور الشمس وامواج البحر التي ولدها هي هي الامواج التي تمحوها لتولد

غيرها؟ اباية هذه الاماني والامال والافراح؟ اباية هذه الاوهام المرتعشة في هذا النوم المتقطع في هذا الليل الغريب بعجائبه الهائل باتساعه وعمقه وعلوه؟

العلوية — ترفع عينها الى العلا. كأنها تتناول شيئا من جيوب الفضاء وتقول بلهجة ايجابية ملوؤها العزم والمعرفة والخبرة) — كل موجود باق. ووجود الموجود دليل على بقاءه. اما الفكرة وهي العلم بكليته، اذ لولاها لما علم العالم موجودا كان لو غير موجود فهي كيان ازلي ابدي خالد لا يتغير الا ليتجوه ولا يخفي الا ليظهر بصورة اسنى ولا ينام الا ليحلم بيقظة ابيه. ولقد عجبت لمن يثبت بقاء الذرات في الغلافات الخارجية التي تصورها حواسنا ولكنه ينكر ما جعلت الغلافات من اجله. عجبت لمن يقرر خلود العناصر التي تالف منها العين ولكنه يشك بخلود النظر الذي اتخذ العين آلة له. عجبت لمن يثبت ابدية المسيات ولكنه يحتم باضمحلال الاسباب. عجبت لمن تشغله المظاهر المكونة عن المكون المظهر. عجبت لمن يقسم الحياة الى شطرين فيؤمن بالخطر المدفوع ويحدد الشطر الدافع. عجبت لمن ينظر الى تلك الجبال والسهول المغمورة بنور الشمس ثم يصغي الى الهواء متكلم بالسنة الاغصان ثم يتجرع عطر الازهار والرياحين وبعد ذلك يقول لنفسه «لا ولن يزول ما اراه واسمعه، لا ولن يضمحل ما اعرفه واشعر به، ولكن هذه الروح العاقلة التي ترى فتتبيب وتتأمل وتسمع فتفرح وتكتشب، هذه الروح التي تشعر فترتعش وتنبسط وتعلم فتكتشب فتتحقق، هذه الروح التي تحيط بكل شيء موف تضمحل اضمحلال الفقايع على وجه البحر وتزول زوال الظل امام النور» اي والحق اني اعجب لكائن ينكر كيانه.

نجيب — (متبيجا) — قد آمنت بكياني يا سيدتي. ومن يسمعك متكلمة ولا يؤمن كان شبه بالصخر منه بالانسان.

العلوية — ان الله وضع في كل نفس رسولا ليسيروا الى النور ولكن في الناس من يبحث عن الحياة في خارجه والحياة في داخله ولكنه لا يعلم.

نجيب — اليس في خارجنا انوار لا نستطيع بدونها الوصول الى ما في اعماقنا؟ اليس في محيطنا قوى تستنهض قوانا وموثرات تنبه الغافل فينا؟ (يطرق هنيهة مترددا ثم يعود يقول) — او لم نوح اليك روح والدك امورا لا يعرفها سجين الجسد ورهين الايام والليالي؟

العلوية — اجل، ولكن عبنا يطرق الزائر باب البيت اذا لم يكن في داخل البيت من يسمع الطرقات ويقوم ليفتح في وجهه. انما الانسان كائن منتصب بين اللانهاية في باطنه واللانهاية في محيطه. فلو لم يكن فينا ما فينا لما كان في خارجنا ما في خارجنا. لقد ناجتني روح والدي لان روحي ناجتها واوحت الى عاقلتي الخارجية ما كانت تعرفه عاقلتي الباطنية. فلولا جوعي وعطشي لما حصلت على الخبز والماء ولولا شوقي وحنيني لما لقيت موضوع شوقي وحنيني. نجيب — يستطيع كل منا يا سيدتي ان يغزل سلكا من شوقه وحنينه ويمده بين روحه والارواح المنتعقة؟ افليس هناك طائفة من الناس قد اعطيت المقدرة على مخاطبة الارواح واستئزال مشيئتها ومرامها.

العلوية — ان بين سكان الاثير وسكان الارض مخاطبات ومسامرات مستتبة باستتباب الايام والليالي. وليس بين الناس من لم ياتر بمشيئة القوى العاقلة غير المنظورة. فكم من عمل ياتي به الفرد متوهما انه مخير بفعله وهو بالحقيقة منسير. وكم من عظيم في الارض كانت عظلمته في استسلامه التام

الى ارادة روح من الارواح استلام فيثارة دقيقة الاوتار الى نقرات عازف خبير. اجل، ان بين عالم المراثيات وعالم العقل سبيلا نجتازه في غيبوبات تحدث لنا ونحن غافلون ثم نعود وفي اكفنا المعنوية بنور نلقيا في تربة حياتنا اليومية فتنبت اعمالا جليلة او اقوالا خالدة، ولولا تلك السبل المفتوحة بين ارواحنا والارواح الاثيرية لما ظهر في الناس نبي ولا قام فيهم شاعر ولا سار بينهم عارف. (ترفع صوتها عن ذي قبل) اقول وما آتي الادهار تشهد لي ان بين الملا الاعلى والملا الادنى روابط شبيهة بعلاقة الامر بالمأمور والمندبر بالمندبر اقول انا محاطون بوجودات تستميل وجداناتنا، وعاقلات توغزالي عاقلاتنا، وقوى تستنهض قوانا، اقول ان شكوكنا لا تنفي امثالنا الى ما نشك به، وانصرافنا الى امانني اجسادنا لا يصرفنا عن مراد الارواح بارواحنا، وتعلمنا عن حقيقتنا لا يحجب حقيقتنا عن عيون المحجوبين عنا، فنحن وان وقفنا فساترون بمسيرهم، وان همدنا فمتحركون بحر كاتهم، وان صمتنا فمتكلمون باصواتهم، فلا للهجوع فينا يزيل يقظتهم عنا، ولا اليقظة بنا تحول احلامهم عن مسارح خيالنا، فنحن وهم في عالمين يضمهما عالم واحد، وفي حالتين تنطلقهما حالة واحدة، وفي وجودين يجمعهما ضمير كلي سرمدى احد ليس له بدء وليس له نهاية وليس له فوق وليس له تحت وليس له حد وليس له جهات.

نجيب - اياتي يوم يا سيدتي نعرف فيه بالاستقراء العلمي والاختبار الحسي ما تعرفه ارواحنا بالخيال وما تختبره قلوبنا بالتشويق؟ وهل يتقرر لنا بقاء الذات المعنوية بعد الموت مثلما تقرر لدينا بعض الاسرار الطبيعية فلمس بيد المعرفة المجردة ما تلمسه الان باصابع الايمان؟

العلوية - نعم سيأتي ذلك اليوم. ولكن ما اضل الذين يدركون حقيقة مجردة

ببعض حواسهم ولكنهم يظنون مرتابين بها حتى تبدو لحواسهم الاخرى. ما اغرب من يسمع الشحور مغردا وشاهده مرفقا متنقلا ولكنه يبقى مشككا بما سمع وما راي حتى يقبض يده على جسم الشحور. ما اغرب من يحلم بحقيقة جميلة ثم يحاول تجسيدها وحسبها بقوالب الظواهر فلا يفلح فيرتاب بالحلم ويحدد الحقيقة ويشك بالجمال. ما اجمل من يتخيل امرا ويتصوره بشكله ومعالمه وعندما يستحيل عليه اثباته بالمقاييس السطحية والبراهين اللفظية بحسب الخيال وهما والتصور شيئا فارغا. ولكن لو تعمق قليلا وتامل هنية لعلم ان الخيال حقيقة لم تتحجر بعد وان التصور معرفة اسمى من ان تتقيد بسلامل المقاييس واعلى وارحب من ان تسجن باقفاص الالفاظ.

نجيب - افي كل خيال حقيقة يا سيدتي وهل في كل تصور معرفة؟ العلوية - اي والحق. ان مرآة النفس لا تعكس سوى ما انتصب امامها ولو شامت لما استطاعت. ان البحيرة الهادئة لا تريك في اعماقها خطوط جبال ورسوم اشجار واشكال غيوم لا وجود لها بالحقيقة، ولو شامت البحيرة لما استطاعت. ان خلايا الروح لا ترجع اليك صدى اصوات لم يرعش بها الاثير حقا. ولو شامت الخلايا لما استطاعت. ان النور لا يلقي على الارض ظل شي. لا كيان له، ولو شاء النور لما استطاع. انما الايمان بالشيء المعرفة بالشيء. والمؤمن يرى ببصيرته الروحية ما لا يراه الباحثون والمنقبون بعيون رؤوسهم، ويدرك بفكرته الباطنة ما لا يستطيعون ادراكه بفكرتهم المقتبسة. المؤمن يختبر الحقائق القديمة بحواس تختلف عن الحواس التي يستخدمها الناس كافة فيظنها جدارا محكم البناء فيسير في طريقه قائلا «ليس لهذه المدينة من ابواب» (تقف العلوية وتخطو بضع خطوات نحو نجيب، وبلهجة من اوشك ان يبلغ

من الكلام حدا لا يريد الزيادة عليه نقول).

العلوية — ان المؤمن يعيش كل الايام وكل الليالي، اما غير المؤمن فلا يعيش سوى ثوان معلودة منها، فما اضيق عيش من يرفع يده بين وجهه والعالم اجمع فلا يرى غير الخطوط في كفه، وما اشد شفتي على من يدير ظهره الى الشمس فلا يرى غير ظل جسده على التراب.

نجيب (ينتصب واقفا شاعرا بدنو ساعة انصرافه) — اقول للناس يا سيدتي عندما اعود اليهم ان ارم ذات العماد مدينة احلام روحية وان آمنة العلوية قد سارت اليها على سبيل الشوق ودخلتها من باب الايمان؟

العلوية — قل ان ارم ذات العماد مدينة حقيقية كائنة بكيان الجبال والغابات والبحار والصحارى. وقل ان آمنة العلوية قد وصلت اليها بعد ان قطعت ابادية الخالية وقاست الم الجوع وحرقة العطش وكآبة الوحدة وهول الانفراد وقل ان جبايرة الدهور قد بنوا ارم ذات العماد مما تبلور وتجوهر من عناصر الوجود، ولم يحجبوها عن الناس ولكن الناس حجبوا نفوسهم عنها، فمن يضل الوصول اليها فليشك دليله وحادييه بدلا من مصاعب الطريق وحراجه. وقل للناس ان من لا يشعل سراجا لا يرى في الظلام سوى الظلام. (ترفع وجهها نحو العلا وتغمض عينيها ويظهر على ملامحها نقاب من العطف والحلاوة). نجيب — (يدنو منها منحني الراس ويظل صامتا هنيئة ثم يقبل يدها هامسا) ها قد بلغت الشمس الغروب وعلي ان اعود الى مساكن الناس قبل ان يكتنف الظلام الطريق.

العلوية — سر في النور وسر بامان الله.

نجيب — سامير في نور المشعال الذي وضعه في يدي يا سيدتي.

العلوية — سر بنور الحق الذي لا تطفئه الالهواء. (تنظر اليه نظرة طويلة مفعمة بشعاع الامومة ثم تتحول عنه وتمشي بين الاشجار حتى تنحجب عن عينيها.

زين العابدين (يقترّب من نجيب) — انى ابن انت مائر الان؟

نجيب — الى منزل اصحاب لي بقرب منبع العاصي.

زين العابدين — اسمح لي بمرافقتك؟

نجيب — بكل سرور، ولكنني ظننت انك باق بجوار آمنة العلوية فطوبتك روحي وتمنيت لو كنت مكانك.

زين العابدين — نحن نحيا بنور الشمس عن بعد ولكن من منا يستطيع الحياة في الشمس (بلهجة ذات معان بعيدة) اجي مرة في الاسبوع متبركا متزودا وعندما ياتي المساء اعود قانعا مكثيا.

نجيب — وددت لو جاء الناس كافة مرة في الاسبوع ليتبركوا ويتزودوا ويعودوا قانعين مطمئنين.

(يحل نجيب مقود فرسه ويسير بهراجلا بجانب زين العابدين)

السنار

الغد

لندره حداد

حملت على الكفين هامتها وحنت على الشباك فتفكر
حناء قد ظنت سعادتها وافت اليها وانقضى الكدر
نظرت الى الماضي فما ذكرت الا زمان اللهو والكتب
ورنت الى غدها واذا لمحت انواره هاجت من الطرب
اخذت تحدث وحدها النفس والقلب يقظان ومرنجف
مسرورة تستقبل العرما وبها الى استقباله شغف
اغدا على جسر من الحب نجتاز من شط الى شط
متسابقين لدعوة القلب طوعا بلا قيد ولا شرط
اغيدا تيار الحب يرتفع عن عاشقين بمسرح العمر
نشو واذن الدهر تتمتع اغنية الاميال والفكر
اغدا تودعنا عواذلنا ونودع الواشين والرقبا
فتطيب في القيا منا هليا وردا فنسقى ما بها العذبا
اغدا نسير بموكب بهج ملكين والابصار ترعانا
نحو الكنيسة مربوط المهيج لولا الحيا ما كان اغنانا

ونسير من روض الى روض قرب الغدير بظل اغصان
نطأ المروج اخف من غمض في جفن منهوك ومهران
فاذا وقفت هنيئة وقفا واذا مشيت مشى على اثري
واذا قطفت ازاهرا قطفا واذا شلتوت شدا بلا ضجير
واضمه وضمني شفا حتى يكاد الصدر ينفجر
من ذا يعيب الصدر ان تلفا وبه لبيب الحب يستر
حب بجسمينا قد اندفعا كالماء حول الغاطس العاري
يا ويح من في لجه غرقا وفوءاده يشوى على النار
تقضي الليالي اذ تصير لنا انا وقد كانت لنا شجيا
لا نشكي ارقا ولا شجيا فيها ويندو همنا فرحا
ونجومها في الافق ترقبنا سمرانة تبدو كحراس
يا ليتها تبقى ويتركنا وجه الصباح واوجه الناس

• • •

اغدا اراك وانت محتجب نورا يشع بيومي الداجي
كم قد اضاف «لعل» مكتب و«عسى» اليك بلهجة الراجي
لولالك يا غد لم ينل املا ذو حاجة او ماجد طمحي
انت العلاج لمن شكا عللا ورجاء من تحت الشقا رزحا

فلسفة الحياة

لا بليا ابي ماضي

ايها ذا الشاكي وما بك داء
ان شر الجنة في الارض نفس
وترى الشوك في الورود ونعمى
هو عبء على الحياة ثقيل
والذي نفعه بغير جمال
ليس اشقى ممن يرى العيش مرا
احكم الناس في الحياة افاس
فتمتع بالصبح ما دمت فيه
واذا ما اظلم رأيتك هم
ادركت كنهها طيور الروابي
ما تراها - والحقل ملك سواها
تتغنى، والصقر قد ملك الجو
تتغنى، وقد رأت بعضها يوم خدحيا
تتغنى، وعمرها بعض عام
فتغنى، وقد تعيش طويلا؟
فهي فوق الغصون في الفجر تلو
وهي طورا على الثرى واقعات
كيف تغدو اذا غدوت عليلا؟
تتوقى قبل الرحيل الرحيل
ان ترى فوقها الندى اكيلا
من يظن الحياة عبئا ثقيل
لا يرى في الوجود شيئا جميلا
ويظن اللذات فيه فضولا
عللها فاحنوا التعليلا
لا تخف ان يزول حتى يزولا
قصر البحث فيه كيلا يطولا
فمن العار ان تظل جهولا
تغلت فيه مراحا ومقيلا
عليها والصائدون السبلا
وبعض البعض يقضي قتيلا
افتبكي وقد تعيش طويلا؟
سور الوجد والهوى ترتيلا
تلقط الحب او تجر الذبولا

كلما امسك الغصون مكنون
فاذا ذهب الاصيل الروابي
فاطلب اللهو مثلما تطلب الاطيار عند
وتعلم حب الطبيعة منها
فاترك القال للورى والقيلا
فيا لذي يتقي الموائل يلقى
كل حين في كل شخص عدولا
كن هزارا في عشه يتغنى
مع الكبل لا يبالى الكبولا
لا غرابا يطارد الدود في الا
رض وبوما في الليل يبكي الطلولا
كن غديرا يسير في الارض
رقراقا فيسقي من جانبيه الحقولا
تسبح النجوم فيه ويلقى
كل شخص وكل شيء مثيلا
لا وعاء يقيد الماء حتى
تتحيل المياه فيه وحولا
كن مع الفجر نسمة توسع الازهار
شما ونارة تقيلا
لا سموما من السواقي اللواتي
تملأ الارض في الظلام عويلا
ومع الليل كوكبا يونس الغابات والنهر
والربى والسهولا
لا دجى يكره العوالم والناس
فيلقي على الجميع سدولا
ايها ذا الشاكي وما بك داء
كن جميلا تر الوجود جميلا

حفار القبور

لمبران خليل جبران

في وادي ظل الحياة ، المرصوف بالعظام والجماجم ، سرت وحيدا في ليلة حجب الضباب نجومها ، وخامر الهول مكنتها .

هناك ، على ضفاف نهر الدماء والدموع ، المنساب كالحية الرقطاء ، المتراكض كاحلام المجرمين ، وقفت مصغيا لهمس الاشباح ، محدقا باللاشيء . ولما اتصف الليل وقد خرجت مواكب الارواح من اوكارها ، سمعت وقع اقدام ثقيلة تقترب مني ، فالتفت واذا بشبح جبار مهيب منتصب امامي ، فصرخت مذعورا « ماذا تريد مني ؟ »

فنظر اليّ بعينين مشعنتين كالمرساج ثم اجاب بهدوء « لا اريد شيئا واريد كل شيء »

قلت « دعني وشأني وسر في سبيلك »

فقال مبتسما « سبيلي سبيلك » فانا سائر حيث تسير ورايض حيث تربض »

قلت « جئت اطلب الوحدة فخلني ووحدي »

فقال « انا الوحدة نفسها فلماذا تخافني ؟ »

قلت « لست بخائف منك »

فقال « ان لم تكن خائفا فلماذا ترتجف مثل قصبة الريح ؟ »

قلت « ان الهواء يتلاعب باثوابي اما انا فلا ارتجف »

فضحك مقهقها بصوت يضارع ضجيج العاصفة ثم قال

لمبران خليل جبران

« انت جبان تخافني وتخاف ان تخافني فخوفك مزدوج ولكنك تحاول اخفائه عني وراء خداع اوهى من خيوط العنكبوت فتضحكني وتغيظني »

ثم جلس على الصخر فجعلت قسر ارادني محدقا بعلامحه المهيبة

وبعد هنيهة خلتها الف عام نظر اليّ مستهزئا وسالني قائلا « ما اسمك »

قلت « اسمي عبد الله »

فقال « ما اكثر عبيد الله وما اعظم متاعب الله بعبيده ، فهلا دعوت نفسك سيد الشياطين واضفت بذلك الى مصائب الشياطين مصيبة جديدة »

قلت « اسمي عبدالله وهو اسم عزيز اعطاني اياه والذي يوم ولادني فلن ابدله باسم اخر »

فقال « ان بلية الابناء في هبات الابهاء ، ومن لا يحرم نفسه من عطايا ابائه واجداده يظل عبد الاموات حتى يصير من الاموات »

فحنيت رأسي مفكرا بكلماته ، مسترجعا الى حافظتي رسوم احلام شبيهة بحقيقته ثم عاد وسالني قائلا « وما صناعتك ؟ »

قلت « انظم الشعر واثره ولي في الحياة اراء اطرحها على الناس »

فقال « هذه مهنة عتيقة مهجورة لا تنفع الناس ولا تضرهم »

قلت « وماذا عسى ان افعل بايامي وليالي لا تنفع الناس »

فقال « اتخذ حفر القبور صناعة تريح الاحياء من جثث الاموات المكردة حول منازلهم ومحاكمهم ومعابدهم »

قلت لم ار قط جثث الاموات مكردة حول المنازل »

فقال « انت تنظر بعين الوهم فترى الناس يرتعشون امام عاصفة الحياة

فتظنهم احياء وهم اموات منذ الولادة ولكنهم لم يجدوا من يدفنهم فظلوا منطرحين فوق الثرى ورائحة النتن تنبعث منهم»

قلت وقد ذهب عني بعض الوجع «كيف اميز بين الحي والميت وكلاهما يرتعش امام العاصفة؟»

فقال «ان الميت يرتعش امام العاصفة اما الحي فيسير معها راكضا ولا يقف الا بوقوفها»

وانكأ اذ ذاك على ساعده فبانت عضلاته المحبوبة كاصول سندبانة مملوءة بالعزم والحياة ثم سألني قائلا «امتزوج انت؟»

قلت «نعم وزوجتي امرأة حسنة وانا كلف بها»

فقال «ما اكثر ذنوبك ومساوئك - انما الزواج عبودية الانسان لقوة الاستمرار فان شئت ان تتحرر طلق امراتك وعش خاليا»

قلت «لي ثلاثة اولاد كبيرهم يلعب بالاكرو وصغيرهم يلوك الكلام ولا يلفظه فماذا افعل بهم؟»

فقال «علمهم حفر القبور، واعط كل منهم رفشا ثم دعهم وشانهم»

قلت «ليس لي طاقة على الوحدة والافراد فقد تعودت لذة العيش بين زوجتي وصغاري فان تركتهم تركتني السعادة»

فقال «ما حياة المرء بين زوجته واولاده سوى شقاء اسود مستر وراء طلاء ابيض. ولكن ان كان لا بد من الزواج فاقرن بصبية من بنات الجن»

قلت مستغربا «ليس للجن حقيقة فلماذا تخدعني»

فقال «ما اغباك فتى - ليس لغير الجن حقيقة ومن لم يكن من الجن كان في عالم الريب والالتباس»

قلت «وهل لصبايا الجن ظرف وجمال»

فقال «لهن ظرف لا يزول وجمال لا يذبل»

قلت «ارني جنية فاقتنع»

فقال «لو كان بامكانك ان ترى الجنية وتلمسها لما اشترت عليك بزواجها»

قلت «وما النفع من زوجة لا ترى ولا تمس؟»

فقال «هو نفع بطي ينتج عنه اقراض المخاليق والاموات الذين يختلجون امام العاصفة ولا يسرون معها»

وحول وجهه عني دقيقة ثم عاد وسألني قائلا «وما دينك»

قلت «او من بالله واكرم انبياءه واحب الفضيلة ولي رجاء بالآخرة»

فقال «هذه الفاظ رتبها الاجيال الغابرة ثم وضعها الاقتباس بين شفتيك»

اما الحقيقة المجردة فهي انك لا تؤمن بغير نفسك ولا تكرم سواها ولا تهوى غير اميالها ولا رجاء لك الا بخلودها منذ البدء والانسان يعبد نفسه ولكنه يلقبها باسماء مختلفة باختلاف امياله وامانيه - فتارة يدعوها البعل وطورا المشتري والخرى الله»

ثم ضحك فافترجت ملامحه تحت نقاب من الهز والسخرية وزاد قائلا

«ولكن ما اغرب الذين يعبدون نفوسهم ونفوسهم جيفة منتنة»

ومرت دقيقة وانا افكر باقواله فاجد فيها معاني اغرب من الحياة واهول

من الموت واعمق من الحقيقة حتى اذا ما تاهت فكري بين مظاهره ومزاياء

صرخت قائلا «ان كان لك رب فربك قل من انت»

قال «انا رب نفسي»

فقلت «وما اسمك؟»

قال «الاله المجنون»

فقلت «واين ولدت؟»

قال «في كل مكان»

فقلت «واي متى ولدت؟»

قال «في كل زمان»

فقلت ممن تعلمت الحكمة، ومن ذا الذي باح لك باسرار الحياة وبواطن الوجود»

قال «لست بحكيم فالحكمة صفة من صفات البشر الضعفاء بل انا مجنون قوي اسير فتميد الارض تحت قدمي واقف فتقف معي مواكب النجوم وقد تعلمت الاستهزاء بالبشر من الابالسة، وفهمت اسرار الوجود والعدم بعد ان عاشرت ملوك الجن وراققت جبابرة الليل»

فقلت «وماذا تفعل في هذه الاودية الوعرة وكيف تصرف ايامك ولياليك؟»
قال «في الصباح اجدف على الشمس، وعند الظهيرة العن البشر، وفي المساء اسخر بالطبيعة، وفي الليل اركع امام نفسي واعبدها»
فقلت «وماذا تاكل وماذا تشرب واين تنام؟»

قال «انا والزمان والبحر لا تنام ولكننا ناكل اجساد البشر ونشرب دماءهم وتحلى بلهائهم»

وانتصب اذ ذاك مبكلا ذراعيه على صدره ثم احلق بعيني وقال بصوت عميق هادى «الى اللقاء فانا ذاهب الى حيث تلتئم الغيلان والجبابرة»

فهمت قائلا «امهلني دقيقة فني سوء ال آخر»

فاجاب وقد انحجب بعض قامته بضباب الليل «ان الالهة المجانين لا

يمهلون احدا - فالى اللقاء»

واختفى عن بصري وراء ستار الدجى وتركني خائفا طائشا محتارا به وبنفسى

ولما حولت قدمي عن ذلك المكان سمعت صوته متوججا بين تلك الصخور الباسقة قائلا «الى اللقاء - الى اللقاء»

وفي اليوم التالي طلقت امراتي وتزوجت صبية من بنات الجن، ثم اعطيت كل واحد من اطفالى رفشا ومحفرا وقلت لهم اذهبوا وكلما رايتم ميتا واروه في التراب»

ومن تلك الساعة الى الان وانا احفر القبور والحد الاموات غير ان الاموات كثيرون ونا وحدي وليس من يسعفني!

السطر الغامض

في	مجل	الارض	سطر	غامض	بين	السطور
ليس	يدري	ما	حواء	غير	اصحاب	الشعور
ولقد	ماتوا	جميعا	وتواروا	في	القبور	
ليت	شعري	افبقى	غامضا	حتى	النشور	
حيثما	يبدو	جليا	في	ما	الله	كنور

رشيد ايوب

البرغشة

بقلم وديع باحوط

سمعت برغشة تطان طالبة طعاما من دمي . فاومأت اليها ان تفصد مخلوقا
غيري . ولكنها ابت ان تعيرني اتباعها . واصرت على طلبها فقلت في نفسي
«وجادلهم بالتي هي احسن» فكررت لها الاشارة ان تسعى وراء رزقها من غير
هذا الباب وافهمتها بالحنى وبالطف الايماء خطر الطريق فما كان ذلك الا
ليزيدها عنادا واقداما . وظلت توالي هجماتها حتى تناولتني بلذعة اكسبتها
غذاء دقيقتها وعلمتني بالمحسوس ان البعوضة تستطيع ان تسطو على الاسد . .

ملأت هذه البرغشة افكاري . فصرت ان اكلت اتخيلها تاكل مريثا من
صحفتي . وان شربت اتصورها تشرب هنيئا من كاسي . وان مشيت اتأملها
تجد في اثري لتحتل ارضا جيدة من جسي . او جئت السوق المزدهمة بالاقدام
ترامت لي كأنها تقفز من شفة رجل الى خد غانية . ومن ذنب حصان الى
عشون انسان .

فملكت النهار وجلبته حتى اذا مالت الشمس الى الغروب تافت نفسي لمرأى
سراج الليل فطلبت منزلي لاجئا اليه من اعتداء الحيوان على الحيوان .
نمت باكرا فرايتها في الحلم . تلك البرغشة! رايتها فرحة جذلة تمايل
كأنها النصارى في خميس السكارى . ولعلها مرت في طريقها بمائدة احد
الاغنياء الامخيا . او بدبر قادها الحظ فيه الى زق خمر لراهب فيلسوف
ضحاك يناجي الروح بالروح . . .

وتقدمت نحوي وهي تتوئب بتوقيع طنطنتها على الالحان البرغشية . ثم
دارت على محورها مرتين وانبرت ترقص رقصة «الغالص» النباية . . .
رايتها ضحكة لعوبة تنظر الى الحياة من شرفة عالية . وكأنني لوتيت قوة
النظر المكبرة الكشافة فتميزت تكوين زائرتي فاذا جناحاها يقدحان شرر
الذكاء وخفة الروح . بقوائم رشيقة ميامة وخرطوم بسام جذاب . مل بجانبه
صارم ذو حدين احدهما مسنون للقطع والاخر مسنن للنشر . فحسنت هذه
البرغشة في عيني حتى كدت اتمنى لا بل تمنيت لو كنت من جنسها لاعبها
واخاصرها واختبر حالها فافهم سر حياتها . وما اسهل حصول المرء على رغائبه
في الحلم . فاني ما كدت اتمنى ما تمنيت حتى رايت نفسي برغشة لا غش
فيها . ولما رايتني زائرتي كذلك طنطننت موالا خازيا . ومالت الي بعاطفة
وحدة الجنس ولذعتني لذعة تسليم وترحيب تدعى بلغتها «وزوز» الذي
تفسيره بلغة الانسان العربية «قبلة» فرددت لها السلام باحسن منه ولبشنا
برهة تتبادل فيها طنين التعارف «وتوزوز» . .

وقد لحظت من رطائتي ولغني البرغشية المكسرة انني برغشة غريبة فسالنتني
من اي مستنقع جئت؟ فقلت الحق الحق اقول لك يا اختي اني دخيل على
عالم البرغش . فانا ان صدق التاريخ والمخبرون وذاكرتي يتصل نسبي
بالانسان الذي هو اشرف خلق الله . وبعبارة اوضح انني كنت انسانا وقدي
حولني الخالق القادر على كل شيء برغشة كما ترين . وكان ذلك بطلب
مني وبمطلق ارادتي .

فقلت بلهجة المتكلم . وما الذي حملك على طلب السقوط الى وهمة
الانحطاط الذي نحن فيه . ولعلك رضيت به لغرض في نفسك . فقد جاء

في امثالكم «ان الرجال عند اغراضها نساء» فهل من غرض لك عندنا حتى رغبت ان تصير على صورتنا ومثالنا ؟

قلت نعم يا اختي وما غرضي الا لاستطلع كنه امرك وافهم سر حياتك .
فنحن الحيوانات التي شرفها الخالق بالعقل وزينها بالنطق دابنا التدخل في
امور الغير لتعمير الكرة الارضية وتوفير اسباب الراحة والسعادة لنفوسنا .
فهذا وحده يسود السلام وتسد المخلوقات تحت عنايتنا العطوفة الروموفة .

فقلت وقد تمت بضع كلمات غويصة في لغتها لم افهمها — اذن هكذا .
ولكن الانسان قد تمادى كثيرا في استبداده بالخلقة فهو طماع شره
احتكر الارض لنفسه بما عليها وما تحتها وما فوقها . فاضع تحت سلطته
الحيوان والنبات والمعدن والرطوبة والحرارة والجاذبية و واستخدمها
جميعا لحاجاته . وما اكثر حاجاته وما اطول سلسلتها ! فانها كالفلسفة التي
تتبعون بها . ترك السبب ونتيجته . ثم لا نلبث ان تخرج من النتيجة
سببا هو نتيجة النتيجة فتصبح الاسباب نتائج لنتائج قبلها . والنتائج اسبابا
لنتائج بعدها وهكذا يظل السبب يخلق نتيجة والنتيجة تخلق سببا الى ما لا
نهاية له وحاجات الانسان متسلسلة من قليل الى كثير فاكثر . فكلما كثرت
اشد طمعه وطلب المزيد من التوسع وهو ما دام على ذلك سيظل يتطلب سلطة
اوسع تزيد معها حاجاته حتى تضيق هذه بتلك فيندفع منتظبا سلطة اخرى اكثر
اتساعا الى ما لا نهاية له لو ما نراه اليوم يتحفز لاكتساح السماء . ولم ذلك ؟
ليس لان الارض تكاد تضيق بحاجاته ؟ فقد باشر ركوب الهواء واضعا نصب
عينيه التدخل في شؤمون الكواكب وضما الى املاكه . . . ولا ادري كيف
يجيز لنفسه ذلك بعد ان صرح زعماءه بعضهم لبعض باستقلال الشخصيات

والامم . . وترك كل شعب ليعيش ويجري في احكامه بحسب اختياره .
وكم مرة سمعتم ينادون — كل بلاد لاهلها . يقولون ذلك وهم يعلمون
انهم كذبة مخادعون غشاشون . لانهم يفعلون عكس ما يقولون . فلماذا
لا يتركون الهواء للهوائيين ان كانوا من الصادقين ؟

قلت يا اختي «عدي العشرة» فتذهب حدثك ويهدا ثائر غضبك . انظري
كيف تنتفض قوائمك ويرتجف خرطومك . ان الحدة مجلبة للتخاصم على
غير طائل . وانما الغضب يورث عسر الهضم ويهلك المعدة ويحدث اضطرابا
في الجهاز العصبي . فتعالني نبث بمحبة اخوية : الاتعلمين ان الانسان قد
افاد الكرة فائدة عظيمة ؟ فالعمران الذي بلغ شأوه الحاضر انما هو نتيجة
سعي الانسان واجتهاده وغلومه التي بها حول قفار الارض الى حدائق غناء
وحقول مخصبة ومدائن عامرة وارياف تدر لبنا وعسلا . والزحام القائم بين
المخلوقات في مضمار الحياة من اكبر اسباب العمران . فلولا لك انت الارض
باقية كما تركها جدي آدم وجدتك التي عاصرتها رحمة الله عداد اللذعات
التي لدغته اياها بمعاونة الحية وحواء

ولا تنسي تنازع البقاء وبقاء الافضل . وهي قوة هائلة لا يقف في طريقها
شيء . ترحف بخيلها ورجلها ساحقة الضار ومبقية على النافع او الافضل
لينمو ويثمر . افليس للانسان حق في الزحام تحت هذا الناموس . ولماذا
لا يجوز له اكتساح الافلاك والافلاك جزء من الكون المرتبط بعضه ببعض ؟
فلعل فيها ما يستدعي احتلال الانسان « ومشارفته » امعادات لسكانها واصلاح
شؤمهم ان كانوا اهلا للاصلاح والامعاد . واستخدامهم «لحاجاته» ان
كانوا لا يصلحون لغير ذلك . .

ولكن ما لنا ولهذا البحث الموقظ النعرات بيننا . حدثيني عن نفسك فانما جئت لك لهذا الغرض لا لسواه .

فقلت دخلنا في موضوع فلسفي طويل عريض . وما اوسع مجال الفلسفة فانها الملجأ الامين للمباحكين الهارين من وجه الحقيقة اذا كانت في جانب خصومهم . وما عساني احدثك عن نفسي . فحنن البراغش نسمع ونحس ونرى ونشم ونفوق . ثم قالت مازحة - ان اقوى حامة فينا السمع فيها نعرف عن الانسان واسراره اكثر مما يعرفه غيرنا من المخلوقات . ذلك لانتنا نستطيع الدخول الى اي مكان ياوي اليه بلا استثناء ولا استئذان . الى البيوت والامراسم والمدارس والكنائس والدوائر السياسية والتجارية والسجون ومخادع القضاة والكهنة والمزيفين ومهما بالغ الناس في توفير التحوطات لمنعنا من الدخول اليهم لا نعدم وسيلة لاختراق الحصون . فليس من دسيسة تدبر بينهم الا عرفنا بها . ولا من همسة يتداولها العشاق والمتآمرون الا وسمعناها وما دار سر بين اثنين او اكثر الا اطلعنا عليه . فكم يشتهي الانسان في بعض الاحايين « ان يكون برغشة لسمع الوشوشة » .

فقلت ان حامة السمع فيك تحسدين عليها . ولكن ليس هذا ما اريد ان اعرفه عنك . فاخبريني كيف تعيشين وهل تقضين حياتك بلا مؤنس او رفيق او معين ؟

فامطرت وقد قلص الحياء خرطومها وقالت متأهبة . فهمت ما تعني . نحن اناثي البرغش اتعس المخلوقات لان ذكورنا لا نفع منهم يرجى . نحسهم فلا ينهضون ونناديهم كمن ينادي الاموات فلا يجيبون . فان الواحد منهم يقع على ساق نبتة خضراء ويبقى هناك مكتفيا بقوته منها حتى تموت

فيموت هو معها . تأمل هذا البليد الصانع الذقن القاعد « كقفة الهم » على ساق تلك النبتة (مشيرة الى زوجها الفاضل) فانه منذ تزوجته لم يذكرني انا التي فضله على جميع مزاحميه . آه ليت اليوم الذي فيه رضيت به زوجا كان يوم جنازتي . فما رايتك في بليتي ايها الانسان سابقا ؟

سواء ال سالتني اياه فهل اجيب عليه ؟ فكرت في الامر فوقعت في حيرة لان الموضوع شائك . وآثرت السكوت مخافة الوقوع في شر التدخل « بين المرأة ورجلها » ومن ذا الذي يرضى ان يحشر نفسه بين « سن الثوم وقشرته » فسكت برهة ولكنني عملا باداب البحث تكلمت حائما حول الموضوع دون ان اعرض وجهي « للتسويد » .

ثم قالت - جاء في كتبكم الفلسفية ان الانثى اقوى وارقى من الذكر في الاجناس المنحطة . وان الذكر اقوى وارقى من الانثى في الاجناس الراقية والقول الاول ينطبق تماما علينا . فهل ينطبق القول الثاني عليكم ؟ اصحيح ان الرجل اقوى وارقى من المرأة في جنسكم ؟

فقلت في نفسي . ما تخلصت من « شربوكة » حتى وقعت في غيرها اعتقد منها . غير اني سردت لها الحقيقة عملا بحرية الفكر والجرأة الادبية ولن اسردها هنا لاني افضل ان اعد من طبقة ذكور البرغش . وان يطلع جنسي بوصمة الانحطاط من ان اذيع ما قلته للبرغشة

فشمت بخرطومها متاففة كأنها لا تريد ان تسمع ان جنسي ارقى من جنسها وقالت . لا ننكر على الانسان قوته وجبروته . غير ان لباقي المخلوقات قوة ورقيا في محيطها . والبرغشة كذلك . فهي التي يحتقرها الانسان تعرف عن فلسفة الحياة اكثر مما يعرفه كثيرون من بني الانسان . وفيها صفات تفوقهم

بها . فانها تفهم جيدا ان الاتكال على الغير ضعف وصغارة .
وان العمل وحده يعينها على الفوز بالغاية التي تسعى لها . فلا تفتقر عن السعي
حتى اذا جاء المساء وامن الله في اجلها عادت الى بيتها فاجحة موفقة
وليس ليلهي البرغثة لاه عن الشغل . فهي لا تعرف الخمول والكسل .
ولا تزور اما كن نظيفة لثلا تصرف وقتها بلا فائدة . وتظل تعمل حتى تفوز
بمرادها او تموت شهيدة العمل .

اعرف انما كثيرين يؤثرون البطالة على الشغل . فلو خلق الله الواحد منهم
برغثة لما استطاع ان يقتل الوقت او يهمل واجباته . بل لوجب عليه ان يشتغل
ويشتغل ويشتغل . والا فموتا يموت .

وارى بعضهم لا يشتغلون ومع ذلك ياكلون ويكتسون ويتنعمون موءلفين من
دناءتهم حملا ثقيلا على كواهل المجتهدين والبلاد . واما البرغثة فلا تأكل
من غير «عرق جبينها» . .

وارى بعضهم لا يشتغلون الا مرغمين . والبرغثة تشتغل مسرورة ومدفوعة
من تلقاء ذاتها .

وارى بعضهم يسرقون ويحتالون ويباغتون المارة في الطرق فيسلبونهم اشيائهم
واموالهم . بينما البرغثة تائف استخدام هذه الوسائل الدنيئة فتسير في طلب
حاجتها مهاجمة ايا كان بطنينها المسموع . فاسحة له مجال الدفاع عن نفسه
واشيائه . حتى اذا فازت او سقطت في المعركة فانها تفوز شريفة او تسقط
شريفة .

انك ايها الانسان تحاول طردها عن افك او يلك او خلك او اذنك .
فلا ترتد عنك الا لتعيد الكرة بعزيمة اشد مضاء من ذي قبل . وتظل تهاجمك

حتى تحتل بقعة من جسمك . فتمتص غداها متغلبة عليك . وهي تلك البرغثة
الحقيرة . وانت ذلك الانسان الجبار .

لهذا السبب وغيره من الاسباب يحاول الانسان ابعادها عنه متحاشيا قريبا
منه . وكثيرا ما ينقض عليها ليخطف انفاسها فيستريح من اذية «اضرامها» .
ويمعن في اخواتها قتلا فيميت ملايين في كل سنة . يفعل ذلك متجها هلا
فلسفة حياتها كانه لا يدري انها تسعى في طلب رزقها مثلما هو يسعى في طلب
رزقه . وانما الافضية راجحة في جانبها . فهي تمتص قليلا من دمه دون ان
تؤذيه او انها تؤذيه احيانا . اما هو فيلوع ويذبح ويقتل ويفني اما للغاية
نفسها .

ثم تنفست طويلا واستاقت الكلام مازحة:

ولو جعل الله في البرغثة دماغا بحجم دماغ الانسان . وظلت برغثة
تكوينها وعزيمتها لسبقت في مضار الحياة اعظم الرجال . اما يرونها وهي
في حالتها الحاضرة تدخل بيوت الوزراء والروماء والملوك . فتتمرغ بلحاهم
وتتفلغل في نواصيهم . وتلعب متدحرجة على صلعاتهم غير متيبهة عظمة الوزير
ولا وقار الرئيس ولا جلالة الملك . ثم تشاركهم في اكلهم وشربهم وتنحلي
او تملح بمعة او مصتين من دماهم ؟

ابجمل الانسان ان الدم الملوكي يجري في عروق كثيرات من البراغش ؟
فهن بهذا الاعتبار جديرات باعلاء العروش في الممالك الانسانية . ولبعض
براغش اليونان التي كانت تدخل غرفة الملك في قصره الحق في المطالبة
بعرش المرحوم اسكندر المتوفى . اي انهن والملك قسطنطين في مستوى
واحد من هذا القبيل . فكلما الفريقين تربطهما رابطة الدم الكريم و . .

فقاطعتها بقولي انك على ما يظهر قد سردت كل ما تريته حسنا من صفات البرغثة دون ان تذكر شيئا من «ميثاتنا نحن البراغش» وفي وسع الانسان تعبيرنا بها وقد يكون مصيبا . . . تأملي كم تسبب البرغثة للناس من الآفات انها تنقل اليهم الجراثيم الخبيثة فتعيت منهم الوفا في الوفا كل سنة . فليس من العدل تلويهم اذا اساءوا علينا وبالغوا في استنباط الومائل لآبادتنا .

وكأن كلماتي نبهتني لتحفة قديمة متروكة في زوايا نفسها وقد نسج عليها العنكبوت . فكثرت برهة كانها تبحث عن تلك التحفة التي اهملتها اذ فطنت لها بدافع حاجتها اليها . وما عسى ان يحتاج المنصف الباحث عن الحقيقة لقرارها . يحتاج لغير الضمير الكامن في الانسان كمنبه ينهيه عن الشر ويأمره بالخير ويدفعه للاعتراف بالحقيقة كانت له او عليه ؟

فالبرغثة كانت تبحث عن ضميرها في تلك الساعة . لتكبح به جماح نفسها الامارة وتدرس عليه الشجاعة الادبية وبطولة التسليم بالخطأ .

وقد وجدت تحفتها المبهمة فقالت «لقد اصبت اياها الانسان المتبرغش» . واني اجل ذلك العرق الانساني الذي يخلج فيك . ولا الومك في دفاعك عن اصلك فانما الانسانية امك ومن ذا الذي ينسى امه . تلك التي تخزن له في احشائها حبا لا يموت قبل ان تموت .

ثم سكنت بغتة وغاصت في لجة من التأمل العميق حتى قالت . ما اسعد حظ الانسان فهو يعرف امه وامه تعرفه . اما انا فلا اعرف امي وامي لا تعرفني ولست ادري كم مرت امامي في روحاتها وجيئاتها دون ان تشعر بقربي او اشعر بقربها .

«واستخرط خرطومها في الانكماش» واذ لم اربدا من مشاركتها في

احزانها تقدمت اليها اعزبها تبعا للرسوم الانسانية لاني كنت لا ازال اجهل العادات المصطلح عليها في مواقف الحزن عند البراغش . ومالت الله على مسمع منها «ان لا يربها فيما بعد مكروها بعزير» . . .

واختلت بنفسها خمس ثوان مدة الحداد . فلما انقضت تذكرت موضوع بحثنا فقالت . اذا كانت البرغثة تنقل الى الناس جراثيم الامراض فهم المعلومون لانهم يتركون الاوماخ والاقذار منتشرة على الارض وفي الشوارع . كانهم بذلك يدعوننا الى وليمة . وانما نحن نعيش على الاوماخ والاقذار . فناتبها مسوقين بغريزتنا كما تسوق الناصي غريزتهم الى الاماكن التي يرتزقون فيها .

زرت بالامس بيوتا كثيرة . فحيث رايت فضلات الاطعمة . والمواعين مدافن للاقذار . وارض البيت ومخة . دخلت وعمدت الى تلك الاطايب التهم منها ما قدرت على التهامه . وما بقي نفثت فيه جراثيمي . اما حيث رايت النظافة سائدة فلم ادخل لثلا يضيع وقتي سدى .

فاذا اصيب سكان البيت الذي ادخله فاللوم واقع عليهم وخصوصا على صاحبة البيت . وان مات البعض من افراد عائلتها من جراثيمي فهي القاتلة لانها كسولة تهمل تنظيف بيتها اهمالا احسبه بمثابة ورقة دعوة تكتبها الى عزرائيل ليشرفها بزيارة .

فلا يلزم الانسان البرغثة . لانها مثل سائر الناس تطلب بغريزتها القوت استبقاء لحياتها . وتعتبر جميع الخلق ومالهم رزقا مشاعا لها . لا فرق في نظرها بين دكان السمان ومخزن الاطالس والاجواخ . ولا بين الاسطبل ومتحف الآثار او القاذورة ومحن الدجاج المحمر . ولا بين الكوخ والقصر



أو المطبخ وغرفة الاستقبال . ولا بين ثور البقر وحاكم البلد . وجميع الناس
زبائنهم تبيع منهم وهم لا يربحون منها سوى بضعة مكروبات تدر على الطبيب
والاجزائي ارباحا طائلة . وفي بعض الاحيان على الكاهن ايضا لاجل
مغفرة الخطايا

وامتدقت في الصباح فرايت نفسي في وطني . في جسدي الانساني .
ولكن في من الحكمة ما لم يكن في مساء البارحة

حرقه الشيوخ

لمبران خليل جبران

يا زمان الحب، قد ولى الشباب، وتوارى العمر كالظل الضئيل
وامحى الماضي، كسطر من كتاب خطه الوهم على الطرس البليل
وغدت ايامنا قيد العذاب في وجود بالمسرات بخيل
فالذي نعشقه يا ما قضى، والذي نطلبه مل وراح
والذي حزننا بالامس مضى مثل حلم بين ليل وصباح

يا زمان الحب، هل يفني الامل * * *
هل، ترى، يسحو الكرى رسم القبل *
او يدانينا ونسينا الملل *
هل يصم الموت اذاننا وعت *
هل يفشي القبر اجفانا رأت *
بخلود النفس عن ذكر العهود؟ *
عن شفاء ملها ورد الخدود؟ *
سكرة الوصل واشواق الصدود؟ *
انه الظل وانقام السكون؟ *
خافيات القبر والسر المصون؟ *

كم شربنا من كوهوس سطعت في يد الساقى كنور القبس!
ورشفنا من شفاء جمعت نفمة اللطف بثغر العس!
وتلوننا الشعر حتى سمعت زهر الافلاك صوت الانفس!
... تلك ايام تولت كالزهور بهبوط الثلج من صدر الشتاء،
فالذي جادت به ايدي الدهور ملبته خلصة كف الشقاء... .

لو عرفنا ما تركنا ليلة تنقضي بين نعاس ورقاد،
 لو عرفنا ما تركنا لحظة * * * تنثني بين خلو وسهاد،
 لو عرفنا ما تركنا برهة من زمان الحب تمضي بالبعد،
 قد عرفنا الآن، لكن بعدما هتف الوجدان: «قوموا واذهبوا»!
 قد سمعنا وذكرنا عندما صرخ القبر ونادى: «اقربوا»!

هل تذهبن؟

لرشد ايوب

يا هند، قد قد الزمان وراج قول المرجف
 فلم نذهب في الظلام الى الجبال ونخفي
 هل تذهبن؟

وهناك نرح مثلما ال اطياف تسبح في الفضا
 متوكلين على المقادير، صابرين على القضا
 في كل حين

او نمطى طيارة ونطير في الجو الفسيح
 متمعين كما نشأ بحبنا الصافي الصحيح
 كالزاهدين

يا هند، تظهر نجمة غراء، لامعة الجبين
 غيابة، فكانها تدعو اليها العاشقين
 هل تذهبن؟

قصة الصمصامة

لسيب عريضة

(السيف اصدق انباء من الكتب)

ابو تمام

لي عادة افعلها على الاقل مرة كل عام. وهي من عاداتي الحميدة القليلة
 التي اتبناها راغبا لامكرها، والحمد لله. هذه العادة هي زيارة متحف
 «متروبوليتان» في نيويورك. اقصد كل ربيع فامر في طريقي اولا على
 حدائق «ستراي» فاستمتع بجمالها وخضرتها ومياها وزخارفها واستقبل الربيع
 فيها، ولا سبيل في نيويورك الى استقباله كما كان يستقبله اسلافي الفينيقيون
 في المروج الزهراء والمخاريف الغناء مع العذارى الراقصات. ثم اعرج على
 بناية المتحف الضخمة القائمة على جانب الحديقة فالحجها متخشا كالعابدين دخل
 الهيكل او - بالحري - كحبر الاحبار حين دخوله قدس الاقداس مرة في
 السنة. فازور اولا قاعة التماثيل واصلي هناك صلاتي الروحية الفنية امام تماثيل
 رودان وزملائه العظام. واسجد بالروح امام الدمي التي حاول البشر ان
 يودعوا بها جمال الالهة. واسألك اليونان والرومان في السجود لافروديت
 ومنرفا وديانا. واقتدي بالفينيقيين في تعظيم عشتار والبعل، وبالعرب في
 تكريم اللات والعزى. ولا انكر اني في سبيل الفن وثني من الطبقة الاولى
 اقوم بطقوسي الوثنية في هياكل الربات - ربات الفن والجمال. وهذا لا



يمنعني ان اكون موهنا طافح القلب باليقين: لو من بالله وباليوم الاخير او بالحياة المثلى بعد الموت حيث لا تتالق الا الارواح الجميلة.

وبعد انتهائي من مقدمة بخور قلبي ذبيحة امام التماثيل ارتقي الدرج الى الشقة العليا من هيكل الفن فاطوف في قاعاته متاملا الصور النفيسة الفنية المعلقة على الجدران من تصاوير اعظم متفنتي العالم نبوغا، فاقرا اقاصيص الجمال والحياة المكتوبة فيها بالالوان، واصغي الى الموسيقى الصامتة بالحانها الغريبة الصادرة من كل صورة، فاملا قلبي ونفسي وعقلي منها، حتى اذا انتشيت من خمارها خرجت من عالم الخيال الى حضيض اليقظة مغادرا المتحف راجعا ادراجي الى غرفتي الصغيرة، مقرّي في بلاد غربتي وماواي في منفائي.

هكذا فعلت هذا العام. ذهبت لاداء فريضتي، بل حججت الى كعبة الفن ورفعت هنالك صلاتي الروحية الى الكائن الاسمي علة العلل بين التماثيل والدمى. على اني شعرت عندما انتهيت من حجتي بدافع يقودني الى قاعة العاديات وكنت امر بياها من قبل معرضا ولم ادخلها قط لكرهي ان ارى آثار الامم القديمة المقدمة تعرض لابصار غير خاشعة وقلوب غير فاهمة. وقد يمر بها الرهط من عامة المتفرجين ضاحكين استغرابا لا مطاطئين احتراما.

فدخلت القاعة على كره مني كأن شيطانا يستحث اقدامي الى حيث لا اريد. وما عثمت ان اجتزت حطام هياكل المصريين واثار الاثوريين فافضيت الى غرفة ليست بالكبيرة الواسعة ولا بالصغيرة الضيقة. ولما اجلت نظري فيها تراجعت منذهلا متشائما لاني ابصرت فيها امثلة السلاح القديم معلقة هنا وهناك في اقفاص من البلور. فكأن اله الوغى والتنكيل شاء ان يقودني

بالرغم مني الى هيكله مع علمه بنفوري منه. فتراجعت في الغرفة ناوبا الهرب وقد شعرت يقبضة «مارس» تمسكني بخناق حتى قاربت الباب. واذا بعيني قد جذبتا بقوة خفية الى قفص من البلور منفرد بقرب المدخل فيه سيف وحيد قد مل بعضه من غمده والقي على قطعة من الحرير شرقية النسيج والزر كشية. فسرت نحوه كأن سحرا فيه يجذبني اليه، واكبت على القفص لانتصت من قراءة الرقعة التي يضعها مدراء المتحف على كل ما يعرضونه ليعينوا ماهيتها. فاذا بها تنطق بما ياتي:

«سيف ابي عبدالله اخر امراء العرب في الاندلس.

اهداه الى المتحف المركزي. بتاريخ...»

فرفعت راسي وهو يطرق غصبا عني. وترا كضت امام عيني نفسي نذارات جميلة المطلع، اليمّة الخاتمة. فامتلا دماغي افكارا مدلهمة كالهواية، ثقيلة كالرواسي. وقصفت في قلبي عواصف تنتحب وتولول ثم فركت عيني كاني اعني من سبات ثقيل ورنوت الى السيف مرة اخرى وقد خلت ما رايته رويّا او سعادير او هام، فاذا بي امام الحقيقة ولا سبيل الى الشك

اجل، انا امام سيف ابي عبدالله. امام رمز القوة المتبددة والمجد الضائع. امام السيف الذي مل في اخر دقيقة لحفظ مجد العرب فنا، ويا ليه انتقص! يا لك من سيف مزخرف مرصع كأنك خلقت للزينة، لا للنود عن الشرف! لو كنت خاليا من كل حلية الا من المضاء - خواض المعامع، ضرابا في سبيل المجد، لأي سيف كنت! لانت كالنفس العربية: نبيلة، ابيه، مقدمة ما دامت في سداجتها، فمتى اعتادت الرخاء والزينة ورفاه العيش اخلدت الى نعيمها

فتطرق اليها الضعف والخمول .

وطفقت اتأمل السيف تأمل العاشق الحزين في جثة جيبته . فاكشفت
امرا ما انتهت له عند اول نظرة . رايت على النصل الظاهر كتابة دقيقة
النقش . فشرعت استجلي معالمها ، فاذا بها هذه الايات:

جرد حسام الفتك من غمد الردى واضرب به هام الحوادم والعدى
لم ذا التواني عن متابعة الندى ان السيوف اذا تعلاها الصدا
حلقت مضاربها بان لا تقطع

قلقت في نفسي - ليت شعري، اعرف ناقش هذه الايات وجامع معانيها
ان هذا السيف الشريف سيؤول الى قصص يسجن فيه وتكل مضاربه، ولا من
يجرده للمجد او للفتك او للندى؟

وكأن تجوالي الطويل في المتحف او تراكم هواجسي انهكني فلم استطع
الوقوف طويلا . فجلست على مقعد تجاه القفص ، وجلوسي خرق لحرمة
السيف الجليل وما اثار في قلبي من جليل التاريخ . فاستغرقت في غيبوبة
التأمل مخترقا حواجز المتحف، عابرا المحيط، قاطعا الفياقي، طائرا في جو
بلاد العرب متصفحا معالمها الدارسة ، مراجعا تاريخها المجيد ومشاركها
ابطاله في كل وقائعهم وسائرنا تحت الويتهم الى النصر شمالا وجنوبا وشرقا
وغربا: الى القادسية ، الى اليرموك ، الى مصر ، الى خرامان، الى الهند الى
المغرب الى الاندلس . ولم تتمالك عيناى الموجه نظرها الى السيف ان
سالتاه بلسان صامت كلسان القدر الرهيب ولهجة معنفة كللهجة المحاسب
يوم الدين:

- وانت ايها السيف ماذا فعلت؟ هل خرجت قط من غمدك . اي
المعارك خضت، واي ساعد نبيل ضرب بك؟ هل تذرع بك صاحب حق في
الوصول الى حقه، او دفعت الاذى عن ضعيف مستصرخ، او ما كنت الا ظلوما
غشوما على الضعيف، خائنا خاضعا امام العدو القوي؟

«حديث السيف»

فسمعت صوتا من السيف يقول لي:

- مهلا ايها الفارق في بحار الخيال! واسمع ما اقله لك، فلقد سمعت
نجواك ورافقتك مع افكارك الى المعامع التي حملتها اليك او هامك، وكنت
قد خضتها قبلك تحت مثار النقع . ولولا ان تخاطبني بلهجة عربية لظلمت
اصم ابكم ولما نطقت بحرف يظهر لك شيئا من مكنونات امري التي عجز
عن استيضاحها كل علماء الانار

لا يغرنك اني ملقى هنا على وساد من الحرير في غمد جميل منقوش
وقبضتي محلاة مزخرفة . فهذه الحلة التي يفتخر بها سواي ما هي الا شر
حللي . وما لبستها الا رغما حين خمدت جنوة العرب وسرى الى عروقهم
حب الزهو والترف فالبسوني مصاغا من الذهب والفضة كما لبسوا الديباج
والبخز والشفوف .

ها اني مخبرك بتاريخي منذ هبطت الى الارض لا لابرر نفسي امامك
بل لتعلم ان وراء المظاهر البسيطة قد تختبئ اسرار رائعة جليلة العبر
كنت في اول امري نارا سائلة في احد النجوم القصية يضيء نسوري
بين الداراي في السماء . ولامر من امور الباري الخفية اهبطت الى الارض



في هيئة نيزك. وشرفنتي يد العناية فاهبطنتي في بلاد العرب النبيلة في طليعة تاريخها . فعر علي قين يمانني فعرف قيمة ما في من الجواهر فوضعني في كبره واكب يعمل في سنة بكل اجتهاد حتى اتم صقالي فصاغني سيفا يخطف البصر ويقد الصخور واهداني الى التبع اليماني ملك حمير وقيل بني قحطان وقص عليه اصلي وفصلي فنظر الي الملك نظرة اعجاب وقال :
— عسى ان يكون هذا العضب ذلك السيف المنتظر الذي قال عنه جدي قحطان ان با تضاؤه بدء مجد العرب وباغماده خمود جنوتهم .

ثم امر بي فرفعت الى هيكल الشمس فوضعني الكهان في اقدس مكان ولما ازف العام الجديد مير بي باحتفال باهر الى مدفن جد الامة العربية . فرايت نفسي امام سرير من الذهب واللؤلؤ اضجعت عليه جثة قحطان سليل الانبياء والجبابرة ، وهو على تماذي الدهور لم تغير ايدي البلى شيئا من وقاره وهيبته . فوضعني الملك على العرش باحترام قرب يد الميت . فلم اشرع الا ويد الميت العظيم قد تحركت ولمست مقبضي ثم انتضتني وهزنتني هزا عنيقا فلمعت مني بروق ونيران . ثم تشجعت اليد وعادت هامة فتدحرجت الى الارض عند اقدام الملك . فخر الحاضرون الى الارض رهبة وقد تحققت لديهم الآية المنتظرة ورفعتني الملك باحترام فقبل صفحتي وقال :
لقد ارسل الله الينا نارا من السماء لنشعل بها المسكونة . فلتستعد جيوشنا لافتتاح الارض .

لا اذكر كم من السنين خضت غمار المعارك في مقدمة جيش بني حمير . وانا اعلم اننا افتتحنا البلاد شرقا وشمالا وغربا فاخضعنا افرقية واتحمتنا اقاليم فارس . ولما لم يبق من مكان معبر نفتحه عدنا الى مواطننا . فعلقوني

في مكان محترم من الهيكل اذخارا لامر عظيم . فبقيت هنالك مقدارا من السنين غاب عني عدها ، ولم ادر بما هارت اليه المملكة من الضعف حتى سمعت ذات يوم ضجة لم اعهد مثلها . ثم دخل الهيكل مسرعا فتى وسيم عليه امارات الرفعة والملك فانتزعني من مكاني وقبلني وعلقني على جانبه وخرج بسرعة كما دخل وهو يقول :

— لقد انتهت امجادنا ايها السيف ، وامتهنت عقائلنا . فقد صار الجبشان اسيادا للعرب وانتفضى ملك التبابعة . ولكنك ستكون ايها السيف رفيقا لي في الجهاد . فانا سيف بن ذي يزن سليل التبابعة لن اصبر حتى امتعيد حرية العرب . وهرب بي سيف الى بلاد القياصرة مستنجدا . فرفض الروم مساعدتنا على ابناء دينهم فقمصدنا بعد الخيبة بلاط فارس . وهنالك تمكن ابن ذي يزن من امتالة كسرى فتركنا بلاد الاعجام في مقدمه جيش من الاساورة فما وضعنا السفن في شواطئ اليمن حتى انتضيت ليوم عصيب . ولي في حروب الجبشة واليمن مواقع خضت فيها في الاوداج والمناكب وشربت النجيع حتى ارتوت . وبعد ان تتوج سيف ملكا على اليمن في قصر غمدان وصفا له الدهر وقدمت اليه وفود العرب بتهاثها وخضوعها عشت ملاصقا له لا افارقه حتى غدر به عبيده فقتلوه على غرة دون ان يمكنوه من تجريدي . فهلك سيف وهلكت بموته دولة حمير وصار الملك لعامل الاكاسرة .

اما انا فطرحت في خزانة الاسلحة مع السيوف البسيطة . ثم عرضني تجار الفرس في الموسم للبيع من جملة السيوف . فاشتراني فارس من البدو يدعى هاني . بن مسعود من قبيلة شيبان وقد عرف قيمتي . ورجع بي الى عشيرته ، وانا اسأل الله ان لا يسليني الا لنصرة العرب . حتى كان يوم رايت به القبيلة

في جزع واستعداد. ثم ارتحلوا وأنا لا ادري لذلك سببا. وفي الطريق علمت من مجن معلق الى جانبي ان ذلك النعمان قد قتل في بلاط كسرى غدرا، وأنه كان اودع ماءه وملا به نهر فرات فطالبهم كسرى بها فابوا الا الوفاء وحفظ الدمام. فجرد عليهم الفرس جيشا لاهلاكهم واخضاع العرب اجمعين فلم يبق لبني شيان الا الاستقتال في سبيل حرية العرب. فتهلكت لعلمي بان الحق والنصر للعرب. والتقى الاعجام بنا قرب مياه ذي قار فحدثت موقعة هائلة ثبت بها العرب ثبات الابطال. وكان هاني، بطل المعركة وكنت معه في المقدمة اطمعن النحور والصدور وابري السيوف والرماح واقد الدروع واجتني الاعمار حتى غابت الشمس عن ميدان مكسو باشلاء الفرس وغنائمهم المتروكة. وعدنا ظافرين عالمين ان الاعجام لن يجسروا على مس كرامة العرب واختراق حدودهم. فقد كانت معركة ذي قار وقاية للعرب من سطوة الفرس.

مضت سنوات على «ذي قار» وأنا احن الى الضراب حين العاشق الى اللقاء ومات هاني. وتركني لمن لا يعرف لي قيمة. فباعني صاحبسي الجديد في الموسم فاشتراني رهط من اصحاب رسول جديد سمعا بظهوره في الحجاز ودعوته العرب الى الاتحاد. ففرحت لذلك فرحا عظيما ولا سيما عندما اهديت الى القائد البطل خالد بن الوليد فخضت معه غمار الحروب في مواقع شتى مجيدة واهمها موقعة اليرموك حيث علا نجم العرب وافل نجم الروم وعادوا يتعشرون باذيالهم الى ما وراء البحر.

ونما عزل خالد من قيادة الجيش وعاد الى المدينة اشفق علي ان يبصرني عطلا من العمل فاهداني لفارس العرب عمر بن معدي كرب الزبيدي، وكان

ماثرا مع الجيوش لافتتاح بلاد الفرس. ففرقت في غمدي طربا حتى كدت اكسر القراب طيرا الى القتال

اسمعت بمعركة القادسية؟ تلك المعركة التي قضت على دولة الاكاسرة. اجل، لقد خضت غمارها في يد عمرى المغوار. وطالت المعركة اباما عديلة كانت عندي كليلة العرس وخضابي بها الدماء.

وبعد وفاة عمري بن معدي تهاقت على اقتناثي كبار القواد فنقلت من فرد الى فرد وكنت لكل منهم رمز اليمن والسطوة حتى انقضى عصر الخلفاء الفاتحين

اصغ الي فاني مكلمك باختصار عن ما فعلته في امجد عصور العرب. عصر الفتوحات والسلطة. انا السيف الذي تراني ملقى على الديباج في زاوية من زوايا المتحف ليست لي دموع لاظهر بها اسفي. ولكن دموعي هي الصدا الذي بدأ يا كل قلبي.

شاركت قوادا كثارا في الفتوحات ولكن اعظمهم واحبهم الى قلبي كان قتيبة بن مسلم. ظللت معه عشر سنين فتحنا بهم بخارى وبلاد الترك والصين. ثم تنقلت بعد قتله الى غيره من القواد وشاركهم في حروب كثيرة ختمت كلها بالنصر، ما عدا واحدة منها كانت وبالا على العرب لاختلافهم، وهي معركة طورس.

اشتراني عبد الرحمن الغافقي امير الاندلس من تاجر يهودي وكان ينقلني احيانا في حروبه. فلما ذهب لغزو اوروبا انتقاني من بين السيوف لاكون رفيقا له في الجهاد. وقضى سوء الطالع باندحاره وهلاكه في تلك المعركة التي جعلت لشارل مارتل اسما خالدا في التاريخ. قتل عبد الرحمن وهو قابض علي



والدماء تسيل مني ومنه. فظلمت بين اثلا. القتل حزينا حتى دفنتني الامطار في الطين. قلت: هذا آخر العهد بي وبامجاد العرب ومكثت مدفونا في التراب وانا احسبه قبري وفيت قبضي ولكن نصلي ظل صقيلا لا يشوبه خلل. لا ادري كم من السنين مكثت مدفونا في الظلمة ولكني احسبها اجيالا. وقبض الله لي فلاحا يحرق ارضه وهو لا يعلم انه يحرق ما فني من جسم العرب فخرجت الى سطح الارض وتنقلت من الفلاح الى بائع السلع الى يد صيقل اعاد لي روثي وجعل لي غمدا وقبضة وباعني من شارلمان امبراطور الفرنجة، فضمني في جملة هدية بعث بها الى الخليفة هرون الرشيد.

لا تسل عن فرحي بعودتي الى يد قومي العرب ولكنني اسفيت لما حجني الرشيد في خزانة سلاحه ولم يرسل بي الى ميادين القتال في حروبه مع الروم. وفي ذات يوم بينما كنت اجبر ياأسا من حياة خمول لم اعتدتها فتح الرشيد الخزانة بيده فافقت من غفلتي ورنوت اليه فرايت منه ما راعني. رايت وجهه مصفرا شاحبا وعيناه تتالقان وبجانبه حاجبه الفضل بن الربيع وخادمه مسرور. فعلمت من نظراته انه ينوي امرا جسيما. ولم يلبث ان مد يده الى السيوف المعلقة بجاني مترددا ثم وقع انتخابه علي فانتزعني من مكاني وانتضاني وهو يقول:

دونك امر قد بدت اشراطه ان السبيل واضح سراطه

لم يبق الا السيف واختراطه

ثم دفعني الى مسرور وقال له — خذ هذا البتار الذي لا ينو واقطع به راس الخائن.

لم تمض ساعات قليلة حتى اخترفت رقبة شاب جميل ما افظه كان يحلم بغير السعادة منذ دقائق. وعلمت ان اسمه جعفر بن يحيى البرمكي من سراة الفرس وكان وزيرا للرشيد وخليلا. ثم اخذني مسرور الى مقصورة في القصر رايت بها غادة لم يخلق الله اجمل منها وهي تنلوى حزنا وبأسا. قلت ما شائي وهذه الحسناء. وانفت من ان اكون سبيا لقتل امرأة ضعيفة، وانا سيف امجاد العرب. ولكن حاملي ضرب عنق الحسناء بالرغم مني فما شعرت الا وقد تغفلت بسرعة البرق بين اوداجها وعظامها فبريت عنقها اللطيف برياً سريعاً بقوة لم ادركها.

تلك هي المرة الوحيدة التي لم التذ بها بالدماء المراقبة على جانبي لاني كنت غير مطلع على مجرى الامور السياسية في المملكة العربية وانا سجين معتقل في خزانة السلاح. ولما خرج بي مسرور والدم يقطر مني مقرونا بدموعي رايت في يده راسي الوزير والحسناء. فسار بهما حتى طرحهما عند اقدام الرشيد. فاستفاق الخليفة من غيبوبة كان فيها وان انة كادت ان تخرج بروحه من صدره وتدحرجت دموعه من عينيه وقال لخادمه:

— اكسر هذا السيف، فاني لا كره ان ارى آلة فجعتني باختي وخليلي مهما يكن ذنبهما عظيما.

حاول الجلال اطاعة امر خليفته فلم يستطع قصفي لاني لم اتم مهمني بعد في هذا العالم. فامر الرشيد ان يسلمني الى مطرقة الحداد لتقصي علي فذهب ملبياً. ولكن الفضل بن الربيع لحق به. وانا مديون لهذا الحاجب الشديد العصية للعرب يبقائي الى الان سالماً. فلقد اقنع مسرورا بان يخفي امري ويدفعني اليه — الى الفضل ليحفظني ذكرا لانقاذ السلطة العربية من اكبر دسيمة

دبرت لقلبها. وقد علمت مما دار بينهما من الحديث شيئا عن اسباب قتل جعفر واخت الرشيد. وكنت اعد ذلك القتل جنابة فغيرت رأيي، اذ علمت ان جعفر تمكن بدهائه وحذقه من تزوج العباءة اخت الرشيد سرا لغاية في نفسه ووسوس لها انها جديرة ان تكون ملكة على العرب. ثم اطلعها على تدابيرها التي كان قد اعدّها منذ زمن ولاجلها استمال قلوب الخاصة والعامة بما كان يبذله من المال - وهي ان يتمس من الرشيد ان يوليه على خراسان موطنه الاصلي حيث الفرس ميالون اليه فاقومون على العرب فيذهب اليها بجيش عظيم ويستقل بالامر ثم يزحف على بغداد ويفتحها بمساعدة العباءة. فتصبح هي ملكة العرب وهو ملك العجم خليفة الاكاسرة وبضمان الشرق والغرب تحت تاج واحد. ولكن الرشيد درى بالدسيسة بطريق الصدفة ففضى على مدبرها قبل تفاقمها ولم يراع حرمة القرابة. واني، رغم امفي لسفك دماء غادة لطيفة شريفة خلقت لجر الذبول، لا اتمالك من الاقتحار بانني كنت هذه المرة ايضا مساعدا على حفظ دولة العرب.

رثا الفضل مسرورا ببال جزيل ليخفي امري، واحتفظ بي فكنت رفيق خلواته وشريك نجواه وموضع اسراره. وطالما كان يخرجني من خزائنه بعد موت الرشيد وتفاقم الفتن بين حزب الامين العربي وحزب المامون الفارسي فيطلعني على هواجه ويبوح امامي بما يهدد الملك من الفتن والاطماع فكنت اتلظى غيظا واتحرك في غمدي غضبا.

ومات الفضل حزينا على حالة قومه وتضعض امرهم. اما انا فدخلت بعده في دور من حياة خمول وراحة وذلة جعلني اكره العيش. ولست لاقص عليك بالتطويل ما لقيته من الضجر والاسى طيلة اجيال عديدة مضت عليّ وانا انتقل

في مخازن السلاح رهن الخمول اتوق الى من يستلمني لاختماد الفتن التي قسمت المملكة العربية الى اجزاء. وكان الله قضى عليّ ان يجهل الناس في ذلك العصر قدرتي لامر شاء وخطه القلم في لوح القضاء. وكم تمنيت لو بقيت مدفونا في مدين بلاد غربية فذلك افضل من ان اكون مدفونا في غمد الالهة.

ومرت عليّ سبع مائة سنة لم اعمل بها شيئا في سبيل العرب. اجل شاركت قومي في خمولهم بالرغم مني. فلم يستلني احد حين كانت البلاد ترجف بالثورات ولا انتفضت لصد التتر او الترك عن املاك العرب. وكنت انتقل من تاجر الى تاجر ومن بلاط الى بلاط دون ما عمل يذكر حتى ساقني يد الاقدار الى غرناطة اذ اهداني احد تجار اليهود الى عبدالله ملكها. فاعجبه مضائي ولم تعجبه بساطتي وخطر له ان يكسوني حلة من الزخرف والتبرج والفخفة التي تطرقت الى النفس العربية النبيلة فكانت سببا لضعفها. فامر هائنه بتحليلتي. فجعلني كما ترى ذا قبضة ذهبية ونصل منقوش مزخرف وكسب عليّ هذه الايات التي قراتها. وهي من اشعارهم التي كانوا ينظمونها في تلك الايام ولا يعملون بها.

صبرت على ما لقيته موملا ان يكون لي يوم في تاريخ العرب اكفر به عن خمولي. ولم يطل عليّ الامر حتى جاء اليوم المنتظر وجردت للمرة الاخيرة تجريدتي ياأس - اما لموت واما لحياة. جردت للدفاع عن كيان العرب في الاندلس حين هاجمتهم جيوش الاسبان لتجلبهم عن تلك البلاد، فاخفقت ونبت مضاربي لان الزينة التي تكسوني خفت كثيرا من حدتي. وما ذنبي اذا كان الله يريد ان يعلم العرب امثولة ينتفعون بها في المستقبل؟



سقط ابو عبدالله وذل العرب في الاندلس ثم ملردوا فهاموا على وجوههم في كل فج. واخذني الافرنج فلم يستعملني احد لضرب او قتال بل حجبوني كالغداة في خدرها وساروا بي من متحف الى آخر حتى افضى بي الترحال الى هذا المتحف حيث وضعوني في زاوية اسمع منها ضجيجا لا افقه له معنى وارى نورا ولا اعلم على اي المعالم يسطع. يمر بي اقوام من شعوب شتى فيرطنون بلغات لا افهمها فانظر اليهم باحتقار واعود الى سباتي لاحلم بالامجاد الدائرة التي كنت شريكا لها. ولم يوقظني من سباتي الا لك حين كلمتني بلسان عربي فصيح اضطربت له جوارحي.

انا الان سجين، وربما كنت مثلي في بلاد لا اظنها بلادك. وبني حنين شديد الى القتال تطرق منه الصدا الى قلبي. وكان النار السماوية التي كمنت في قد اخذت تناجج وتجبرني على ان اتهم نفسي لانه ليس لي من ياخذني فيضرب بي ضربة للحرية والمجد فيطفي غليلي بجرعة من النجيع القاني تجدد روحي وتنعش روحي. قتل لي — الا يزال قومك راضخين خاملين مستعبدين؟ اليس فيهم من ينقذ السيف من سجنه فيعيد بحده امجاد قحطان الذي استلني لاول مرة؟

«اليقظة»

فقلت للسيف وانا اضطرب احتراماً واعجاباً — هداً روعك ايها الهندوان المجيد واعلم ان العرب قد تحركوا لنهضة ستملاء الارض خيلاً ورجالا لاعادة امجادهم

فسمعت السيف يصرخ صرخة جنل شبيهة بهتاف الحرب. فساورتني لدى سماعها هزة الحماسة وشعرت بقوة هابطة علي من السماء. ففتحت عيني فاذا

بحارس المتحف قد وضع يده على كفتي يهزني ويقول:
— افق ايها الشاب، فقد حان ميعاد اغلاق المتحف. وكفاك تهذي في نومك فليس متحف الفنون مقيلاً للبطالين.

فنهضت افرك عيني حاثراً آمفاً وحانت مني نظرة الى السيف فرايته ملتجفاً بالسكون كأنه عاد الى سباته. فودعته وانا اردد قول المعتمد بن عباد:

كنا يهلك السيف في جفنه، اذا هز كف طويل الحنين
كنا يعطش الرمح لم اعتقله ولم تروه من نجيع يعني
الا شرف يرحم المشرفي مما به من سمات التوتين
الا كرم ينعش السهري ويشفيه من كل داء دفين

شجبت نفسي سبع مرات. المرة الاولى لما حاولت الحصول على الرفعة عن طريق الضعة. والمرة الثانية لما عرجت امام المقعدين. والمرة الثالثة لما خيرت بين الصعب واللين فاخترت اللين. والمرة الرابعة لما اخطأت فتعزيت بخطا غيرها. والمرة الخامسة لما تجللت عن ضعف وعزت جلدها الى القوة. والمرة السادسة لما لمت اذبالها عن احوال الحياة. والمرة السابعة لما وقفت مرتلة امام الله وحسبت الترتيل فضيلة فيها.

جبران خليل جبران

يا ثلج

لرشيد ايوب

يا ثلج، قد هيجت اشجاني ذكرني اهلي بلبنان
بالله عني قل لجيراني ما زال يرعى حرمة العهد

يا ثلج، قد ذكرني الوادي متنصتا لغديره الشادي
كم قد جلست بحضنه الهادي فكانني في جنة الخلد

يا ثلج، قد ذكرني امي ايام تقضي الليل في همي
مشغوفة تحار في ضمي تحنوني مخافة البرد

يا ثلج، قد ذكرني الموقد ايام كنا حوله نشد
نعنو لديه كانه المسجد وكاننا النساك في الزهد

يا ثلج، انت بثوبك الباهر وثقائه كطوية الشاعر
لو كنت تدري الناس يا طاهر لبعثت عنهم اياما بعد

لو لم تذب من زفرة القلب او دمعي المنهال كالسحب
لبنيت منك هياكل الحب وحفرت في اركانها لحدي

يا ما احيلى النجم ان لاحا! والثلج يكسو الارض اشباحا
والشاعر المسكين نوحا يقضي الليالي فاقد الرشدا

ان كنت تجهل انت في سر او كنت تعلم انت في عسر
انا لا اظن رواية العمر ادوارها هزل بلا جد

يا نفس، نادي صاحب العرش يا رازق النعاب في العش!
وتدري بالصبر ثم امشي لا بد بعد الجزر من مد



ان انا مت

لندره حداد

انا ان مت اصحابي ادفنوا جسدي في بقعة المرج الخصب
حيثما الببليل يشدو مائلا كيفما مال به الغصن الرطيب
حيثما الجدول يجري باكيا يسمع المحبوب انات الكئيب
حيثما الصفصاف يحني راسه شبه من اضناه هجران الحبيب
حيثما ترعى المواشي حرة لاتخاف الغدر من وحش وذيب
واذا شتم مناجاتي اجلسوا حول قبري ساعة عند المغيب
لا تنوحوا لفراقي حسرة انا من يكره اصوات النحيب
لا تظنوا القبر فيه غربة ليس من في صحبة القبر غريب
عشت في الدنيا زمانا لم اجد احدا في الناس ادعوه قريب

روءيا

لجبران خليل جبران

عندما جن الليل والقي الكرى رداءه على وجه الارض تركت مضجعي
وسرت نحو البحر قائلا في نفسي «البحر لا ينام وفي نقطة البحر تعزية لروح
لا تنام».

بلغت الشاطئ وكان الضباب قد انحدر من اعالي الجبال وغمر تلك
النواحي مثلما يوشى النقاب الرمادي وجه الصبية الحسناء. فوقفت محدقا
بجيوش الامواج مصغيا الى نهاليلها. مفكرا بالقوى السرمدية الكامنة وراءها
بـ تلك القوى التي تركض مع العواصف وتثور مع البراكين وتبتسم بتغور
الورود وترنم مع الجداول.

وبعد هنيهة التفت فاذا بثلاثة اشباح جالسين على صخر قريب واغشية الضباب
تسترهم ولا تسترهم. فمشيت نحوهم ببطء كأن في كيانهم جاذبا يستميلني
قسر ارادتي

ولما صرت على بعد بضع خطوات منهم وقفت شاخصا بهم كأن في المكان
سحرا اجمد ما بي من العزم وايقظ ما في روحي من الخيال.

وفي تلك الدقيقة وقف احد الاشباح الثلاثة. وبصوت خله آتيا من اعماق
البحر قال:

— «الحياة بغير حب كشجرة بغير ازهار ولا اثمار. والحب بغير جمال

كازهار بغير عطر . واثمار بغير بنور . . . الحياة والحب والجمال — ثلاثة
اقانيم في ذات واحدة مستقلة . مطلقاً لا تقبل التغيير ولا الانفصال . قال
هذا وجلس في مكانه

ثم انتصب الشبح الثاني . وبصوت يماثل هدير مياه غزيرة قال:

— «الحياة بغير تمرد كالفضول بغير ربيع . والتمرد بغير حق كالربيع في
الصحراء القاحلة الجرداء . . . الحياة والتمرد والحق — ثلاثة اقانيم في ذات
واحدة لا تقبل الانفصال ولا التغيير» .

ثم انتصب الشبح الثالث . وبصوت كقصف الرعد قال:

— «الحياة بغير الحرية كجسم بغير روح . والحرية بغير الفكر كالروح
المشوشة . . . الحياة والحرية والفكر — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة اذلية لا
تزول ولا تضمحل» .

ثم وقف الاشباح الثلاثة . وباصوات هائلة قالوا معاً:

— «الحب وما يولده . والتمرد وما يوجده . والحرية وما تنميه — ثلاثة
مظاهر من مظاهر الله . والله ضمير العالم العاقل

وحدث اذ ذاك مكوت منعم بحفيف اجنحة غير منظورة وارتعاش اجسام
اثيرية . فاغمضت عيني مصغياً الى صدى الاقوال التي سمعتها . ولما فتحتهما
ونظرت ثانية لم ار غير البحر متشحا بدثار الضباب فاقتربت من الصخرة
حيث كان الاشباح الثلاثة جالسين فلم ار الا عموداً من البخور متصاعداً نحو
السماء . . .

يا أخخي يا أخخي

لنسيب عريضة

يا أخخي، يا أخخي، المصاعب شتى وبعيد مرادنا والموارد
وامام العيون درب عسير لم تسر قبلنا عليها الاوابد
مظلم، موحش، كثير الافاعي والسعالى المستهويات الطرائد
غير ان الميسر لا بد منه ان اردنا ادراك بعض المواعد
فلنسر في الظلام، في القفر، في الوحشة، في الويل — في طريق المجاهد
فلنسر اعزليين الا من الحق سلاحاً، والفكر حاداً وقائد
واذا اشتدت الذئاب عواء فلنقابل عواءها بالثنايد
واذا احلوك الظلام اضاًنا مشعل القلب مثل نار المواعد
يا أخخي، يا رفيق عزمي وضعفي، سر نكابد، ان الشجاع المكابد!
فاذا ما عييتُ تسند ضعفي وانا بعد ذا لضعفك مائد
سر! تقدم لكي نخط طريقاً لأبواء الهوان عند الشدائد
يا أخخي، يا أخخي، المصاعب شتى غير انا في سيرنا غير واحد
فلنسر، فلنسر، واميأ هلكنا قبل ادراكنا المني والمواعد
فكفانا انا ابتداءنا وانا ان عجزنا فقد بدأنا نشاهد

فهرس

لميخائيل نعيمة	مقدمة	٣
لجبران خليل جبران	بين ليل وصباح	٩
لميخائيل نعيمة	أخي	١٥
لايليا أبي ماضي	لم أجد أحدا	١٧
لجبران خليل جبران	الشهرة	٢٠
لميخائيل نعيمة	من مذكرات الأرقش	٢١
لنسيب عريضة	على الطريق	٥٨
لجبران خليل جبران	البنفسجة الطموحة	٦٠
لرشيد أيوب	الضوء البعيد	٦٥
لوليم كاتسغليس	البثرون سنة ٢٥٢٠	٦٦
لرشيد أيوب	الأمال الضائعة	٧٥
لعبد المسيح حداد	الله يسعد ويبيد	٧٦
لميخائيل نعيمة	النهر المتجمد	٨١
لجبران خليل جبران	العاصفة	٨٤
لرشيد أيوب	أنفس الشعراء	٩٧
لجبران خليل جبران	أيها الليل	٩٩
لميخائيل نعيمة	إبتهالات	١٠٢
لنسيب عريضة	قصة ديك الجن الحمصي	١٠٥
لميخائيل نعيمة	صدى الأجراس	١٤١

لندره حداد	٢٦٨	الغد
لايليا ابي ماضي	٢٧٠	فلسفة الحياة
لجبران خليل جبران	٢٧٢	حفار القبور
لرشيد ايوب	٢٧٧	السطر الغامض
لوديع باحوط	٢٧٨	البرغثة
لجبران خليل جبران	٢٨٩	حرقه الشيوخ
لرشيد ايوب	٢٩٠	هل تذهين
لنسيب عريضة	٢٩١	قصة الصمصامة
لرشيد ايوب	٣٠٦	يا تلح
لندره حداد	٣٠٨	ان انا مت
لجبران خليل جبران	٣٠٩	روءيا
لنسيب عريضة	٣١١	يا اخي ، يا اخي

الشاعر	١٤٤
الارض	١٤٦
ضريح الشاعر	١٤٧
اجعلوا الحلم جميلا	١٥٠
المساء	١٥٣
العافر	١٥٦
مناجاة	١٨٠
ايتها الارض	١٨٢
نحن	١٨٥
الدرويش	١٨٦
اذا غزلتم . . .	١٨٧
شذرات	١٨٨
لو تدرك الاشواك سر الزهور	١٩٣
القلوب الجائعة	١٩٦
اغنية الليل	٢٠٦
في بيت الميت	٢٠٧
الربيع	٢١٢
مستقبل اللغة العربية	٢١٤
ميان . . .	٢٢٤
العبودية	٢٢٥
يا نفس	٢٢٩
الشعر والشعراء	٢٣٣
الدينونة	٢٤٥
ابنة الفجر	٢٤٧
ارم ذات العماد	٢٥٠
لجبران خليل جبران	
لجبران خليل جبران	
لندره حداد	
لوليم كاتسفليس	
لايليا ابي ماضي	
لميخائيل نعيمه	
لنسيب عريضة	
لجبران خليل جبران	
لايليا ابي ماضي	
لرشيد ايوب	
لجبران خليل جبران	
لرشيد ايوب	
لنسيب عريضة	
لندره حداد	
لندره حداد	
لايليا ابي ماضي	
لجبران خليل جبران	

فهرس اسماء الكتاب

وما لكل واحد منهم من المقالات والقصائد

إيليا أبي ماضي

- ١٧. لم أجد أحدا
- ١٥٢. المساء
- ١٨٥. نحن
- ٢٤٧. ابنة الفجر
- ٢٧٠. فلسفة الحياة

جبران خليل جبران

- ٩. بين ليل وصباح
- ٢٠. الشهرة
- ٦٠. البنفسج الطموحة
- ٨٤. العاصفة
- ٩٩. أيها الليل
- ١٤٤. الشاعر
- ١٤٦. الأرض
- ١٨٢. أيها الأرض
- ١٨٧. إذا غزلتم

مجموعة الرابطة العلمية

لجبران خليل جبران

(تابع)

- ١٨٨. شذرات
- ٢٠٦. أغنية الليل
- ٢١٤. مستقبل اللغة العربية
- ٢٢٥. العبودية
- ٢٥٠. أرم ذات العماد
- ٢٧٢. حفار القبور
- ٢٨٩. حرق الشيوخ
- ٣٠٩. روءيا

رشيد أيوب

- ٦٥. الضوء البعيد
- ٧٥. الآمال الضائعة
- ٩٧. أنفاس الشعراء
- ١٨٦. الدرويش
- ٢١٢. الربيع
- ٢٧٧. السطر الغامض
- ٢٩٠. هل تذهبن
- ٣٠٦. يا ثلج

عبد المسيح حداد

٧٦ الله يبعده ويبعده

٢٠٧ في بيت الميت

مخائيل نعيمة

١٥ اخي

٢١ من مذكرات الارقش

٨١ النهر المتجمد

١٠٢ ابتهالات

١٤١ صدى الاجراس

١٥٦ العافر

١٩٣ لو تدرك الاشواك سر الزم

٢٣٣ الشعر والشعراء

ندرم حداد

١٤٧ ضريح الشاعر

٢٤٥ الدينونة

٢٦٨ القد

٣٠٨ ان انا مت

مجموعة الرابطة القلمية

نسيب عريضة

٥٨ على الطرق

١٠٥ قصة ديك الجن الحمصى

١٨٠ مناجاة

٢٢٤ بيان ٠٠٠

٢٢٩ يا نفس

٢٩١ قصة الصمصامة

٣١١ يا اخي ، يا اخي

وديع باحوط

٢٧٨ البرغثة

وليم كاتسفليس

٦٦ البترون سنة ٢٥٢٠

١٥٠ اجعلوا الحلم جميلا

١٩٦ القلوب الجائعة



